

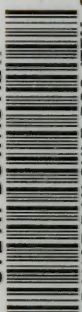
خاتمي الأرواح

إلى بلاد الأفراح

العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن عزيز الزرعي ثم الرستني
الفقيه الأصمعي الفقيه النحوي العارف شمس الدين أبي عبد الله بن
قيم الجوزية المولود سنة ٦٩١ - المتوفى ٧٥١

مطبع
دار الكتب العلمية
بيروت

UTL AT DOWNSVIEW



D RANGE BAY SHLF POS ITEM C
39 11 11 19 10 013 9

**PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET**

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

حَدِيثُ الْأَوَّاحِ

إِلَى بِلَادِ الْأَفْسَاحِ

للعلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي ثم الدمشقي
الفقيه الاصولي المفسر النحوي العارف شمس الدين أبي عبد الله بن
قيم الجوزية المولود سنة ٦٩١ - المتوفى ٧٥١

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وبه الاعانة)

﴿الحمد لله﴾ الذى جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين نزلاً * ويسرهم للأعمال الصالحة الموصلة اليها فلم يتخذوا سواها شغلاً * وسهل لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصلة اليها ذللاً * خلقها لهم قبل أن يخلقهم، وأسكنهم اياها قبل أن يوجدهم وحفها بالمنكاره، وأخرجهم إلى دار الامتحان ليبولغهم أيهم أحسن عملاً * وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه وضرب مدة الحياة الفانية دونه أجلاً ، وأودعها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وجلاها لهم حتى عاينوها بعين البصيرة التى هى أنفذ من رؤية البصر ، وبشرهم بما أعد لهم فيها على لسان رسوله فهى خير البشر، على لسان خير البشر، وكل لهم البشرى بكونهم خالدين فيها لا يبعثون عنها حولا (والحمد لله) فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلاً ، وباعث الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، إذ لم يخلقهم عبثاً، ولم يتركهم سدى، ولم يغفلهم هملاً ، بل خلقهم لأمر عظيم، وهياًهم لخطب جسيم، وعمرهم دارين فهذه لمن أجاب الداعى ولم يبع سوى ربه الكريم بدلاً ، وهذه لمن لم يجب دعوته ولم يرفع بها رأساً ولم يعلق بها أملاً . (والحمد لله) الذى رضى من عباده باليسير من العمل ، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل ، وأفض عليهم النعمة ، وكتب على نفسه الرحمة، وضمن الكتاب الذى كتبه أن رحمته سبقت غضبه ، دعا عباده إلى دار السلام فعمهم بالدعوة حجة منه عليهم وعدلاً ، وخص بالهداية والتوفيق من شاء نعمة ومنة وفضلاً. (فهذا) عدله وحكمته وهو العزيز الحكيم ، وذلك فضله يؤتاه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (وأشهد) أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته ، ومن لاغنى به طرفه عين عن فضله ورحمته ، ولا مطمع له فى الفوز بالجنة والنجاة من النار الا بعفوه ومغفرته. (وأشهد) أن محمد عبده ورسوله ، وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه ، أرسله رحمة للعالمين، وقدوة للعامة ومن محبة للسالكين ، وحجة على العباد اجمعين ، بعثه للإيمان منادياً ، وإلى دار

السلام داعيا، ولا خليقة هاديا، ولي كتابه تاليا، وفي مرضاته ساعيا، وبالمعروف آمرا
 وعن المنكر ناهيا، أرسله على حين فرة من الرسل، فهدى به إلى أقوم الطرق، وأوضح
 السبل، وافترض على العباد طاعته وعبادته، وتزيره وتوقيره والقيام بحقوقه، وسد
 إلى الجنة جميع الطرق فلم يفتحها لاحد الا من طريقه، ولو أتوا من كل طريق
 واستفتحوا من كل باب لما فتح لهم حتى يكونوا خلفه من الداخلين، وعلى
 منهاجه وطريقته من السالكين (فسبحان) من شرح له صدره، ووضع عنه
 وزره، ورفع له ذكره، وجعل لدنائه والصغار على من خالف أمره، فدعا إلى الله
 وإلى جنته سرا وجهارا، وأذن بذلك بين أظهر الأمة ليلا ونهارا، إلى أن طلع فجر
 الاسلام، واشترقت شمس الايمان، وعلت كلمة الرحمن، وبطلت دعوة الشيطان، واضاءت
 بنور رسالته الارض بعد ظلماتها، وتألفت به القلوب بعد تفرقها وشتاتها،
 فاشرق وجه الدهر حسنا، واصبح الظلام ضياء، واهتدى كل حيران، فلما كمل
 الله به دينه واتم به نعمته، ونشر به على الخلائق رحمته، فبلغ رسالات ربه
 ونصح عباده، وجاهد في الله حق جهاده، خيره بين المقام في الدنيا وبين لقاءه
 والقدوم عليه، فاختر لقاء ربه محبة له وشوقا اليه، فاستأثر به ونقله إلى الرفيق
 الاعلى، والمحلى الارفع الاسنى، وقد ترك أمته على الواضحة الغراء، والحجة البيضاء،
 فملك أصحابه وأتباعه على أثره إلى جنات النعيم، وعند الراغبون عن
 هديه إلى طرق الجحيم: «إيهالك من هالك عن بيعة ويحيى من حي عن بيعة وإن
 الله لسميع عليم» (فصلى الله) وملائكته وأنبياءه ورسله وعباده المؤمنين عليه كما
 وحده الله وعبداه، وعرفنا به ودعنا اليه (أما بعد) فإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق خلقه عبثا
 ولم يتركهم سدى، بل خلقهم لأمور عظيم، وخطب جسيم، عرض على السموات والارض
 والجبال فابتن وأشفقن منه اشفاقا ووجلا، وقلن ربنا إن أمرتنا فسمعنا وطاعة
 وإن خيرتنا ففعلنا فإنيك نريد لا نبتغي بها بدلا، وحمله الانسان على ضعفه وعجزه
 عن حمله، وباء به على ظلمه وجهله، فالقى أكثر الناس الحمل عن ظهورهم لشدة وثاقه
 عليهم ونقله، فحجبوا الدنيا صحبة الانعام السائمة، لا ينظرون في معرفة
 موجدكم وحقه عليهم، ولا في المراد من إيمانهم وإخراجهم إلى هذه الدار التي
 هي طريق ومعبور إلى دار القرار، ولا يتفكرون في فلة مقامهم في الدنيا الفانية،
 وسرعة رحيلهم إلى الآخرة الباقية، فقد ماكهم باعث الحس، وغاب عنهم
 داعي العقل، وشملتهم الغفلة وغرتهم الأماني الباطلة، والخذع الكاذبة * نخدعهم

طول الامل * وران على قلوبهم سوء العمل، فهمهم في لذات الدنيا، وشهوات
 النفوس كيف حصلت حصولها، ومن أى وجه لاحت أخذوها، إذا بدا لهم
 حظ من الدنيا بآخرتهم طاروا اليه زرافات ووحشانا. وإذا عرض لهم عاجل
 من الدنيا لم يؤثروا عليه ثوابا من الله ولا رضوانا * يعمون ظاهرا من
 الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون * نسوا الله فانسا هم انفسهم أولئك هم
 الفاسقون . والعجب كل العجب من غفلة من لحظاته معدودة عليه * وكل
 نفس من انفسه لا قيمة له إذا ذهب لم يرجع اليه، فطايا الليل والنهار تسرع
 به ولا يتفكر إلى أين يحمل، ويسار به أعظم من سير البريد، ولا يدري إلى أى الدارين
 ينقل، فإذا نزل به الموت اشتد قلقه لخراب ذاته وذهاب لذاته. لا لما سبق
 من جنائياته. وسلف من تفریطه، حيث لم يقدم لحياته. فإذا خطرت له خطرة
 عارضة لما خلق له دفعها باعتماده على العفو، وقال قد أنبئنا أنه هو الغفور الرحيم
 وكأنه لم ينبأ أن عذابه هو العذاب الاليم

فصل

ولما علم الموفقون ما خلقوا له وما أريد بايجادهم رفعوا رؤسهم فاذا علم الجنة قد رفع لهم
 فشمروا اليه، وإذا صراطها المستقيم قد وضع لهم فاستقاموا عليه، ورأوا من أعظم
 الغن ببع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر في أبد لا يزول ولا ينقد
 بصباقة عيش إنما هو كضغاث أحلام، أو كطيف زار في المنام، مشوب بالغصص، ممزوج
 بالغصص، إن أضحك قايلا أبكى كثيرا، وإن سرى يوما أحن شهورا. آلامه تزيد
 على لذاته، وأحزانه أضعاف أضعاف مسراته، أوله مخاوف وآخره متالف،
 فيأعجبا من سفيه في صورة حلیم، ومعتوه في مصلاح عاقل، آثر الحظ الفاني
 الخسيس، على الحظ الباقي النفيس، وباع جنة عرضها السموات والأرض، بسجن
 ضيق بين أرباب العاهات، والبلیات، ومساكن طيبة في جنات عدن تجري من
 تحتها الأنهار، بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار، وباكرا عرابا كابائهم
 الياقوت والمرجان، بقذرات دنسات سيئات الاخلاق مساخات أو متخذات
 أخذان، وحورا مقصورات في الخيام مخبيئات مسيات بين الانام، وانهارا
 من خمر لذة للشاربين، بشراب نجس مذهب للعقل منسد للدنيا والدين،
 ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الذميم، وسماع
 الخطاب من الرحمن، بسماع المعازف والغناء والألحان، والجلوس على منابر التلؤؤ

والياقوت والزرجد يوم المزيد ، بالجلوس في مجالس الفسوق مع كل شيطان
مريد ، ونداء المنادى يأهل الجنة إن لكم أن تنعموا فلا تياسوا ، وتحبوا فلا تموتوا
وتقيموا فلا تظعنوا ، وتشبوا فلا تهرموا ، بغناء المغنين

وقف الهوى بي حيث أنت فلبس لي متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذينة حبا للذكرك فليامني اللوم
وانما يظهر الغبن الفاحش في هذا البيع يوم القيامة ، وانما يمين سفيه بائعه
يوم الحسرة والندامة ، إذا حشر المتقون الى الرحمن وفدا ، وسيق المجرمون الى
جهنم وردا ، ونادى المنادى على رؤس الاشهاد ، ليعلمن أهل الموقف من أولى
بالكرم من بين العباد ، فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الاكرام ،
وادخر لهم من الفضل والانعام ، وما أنقضى لهم من قرة أعين لم يقع على
مثلها بصر ، ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر ، لعلم أى بضاعة أضاع ،
وأنه لا خير له في حياته وهو معدود من سقط المتاع ، وعلم ان القوم قد توسطوا
ملكا كبيرا لا تعتريه الآفات ، ولا يلحقه الزوال ، وفازوا بالنعيم المقيم في جوار
الكبير المتعال ، فهم في روضات الجنة يتقلبون ، وعلى أسرته تحت الحجال يجلسون
وعلى الفرش التي بطائنها من استبرق يتكئون ، وبالبحور العين يتنعمون ، وبانواع
الثمار يتفكهون ، يطوف عليهم ولدان مخلدون باكبواب وباريق وكأس من معين
لا يصدعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحور
عين كامثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون ، يطاف عليهم بصحاف من
ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلد الاعين وأنتم فيها خالدون ، تالله لقد
نودى عليها في سوق الكسادي ، فاق قلب ولا استنام الا أفراد من العباد ، فواعجبا
لها كيف نام طالبا ، وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها ، وكيف طاب العيش في
هذه الدار ، بعد سماع اخبارها ، وكيف قر للمشتاق القرار ، دون معانقة
ابكارها ، وكيف قرت دونها عين المشتاقين ، وكيف صبرت عنها انفس الموقنين ،
وكيف صدف عنها قلوب اكثر العالمين ، وبأى شيء تعوضت عنها نفوس
المعرضين

(شعر في وصف الجنة)

وما ذاك الا غيرة أن ينالها سوى كنفها والرب بالخلاق أعلم
وان حجبت عنا بكل كريهة وحفت بما يؤذى النفوس ويؤلم

فله ما في حشوها من مسرة واصناف لذات بها يتنعم
 ولله برد العيش بين خيامها وروضاتها والغفر في الروض يسبح
 ولله وادبها الذي هو موعد السمر يزيد لو قد الحب لو كنت منهم
 بذالك الوادي يهيم صبابة محب يرى أن الصبابة مغنم
 ولله أفراح المحبين عندما يخاطبهم من فوقهم ويسلم
 ولله أبصار ترى الله جهرة فلا الضيم يغشاها ولا هي تسأم
 في انظرة اهدت الى الوجه نظرة أمن بعدها يسلو المحب المتيم
 ولله كم من خيرة إن تبسمت أضاء لها نور من الفجر اعظم
 فيالذة الابصار ان هي أقبلت ويا لذة الاسماع حين تكلم
 ويا خجلة الغصن الرطيب إذا انثنت فلم يبق الا وصلها لك مرهم
 فان كنت ذا قاب عليل بحبها وقد صار منها تحت جيدك معصم
 ولا سيما في لثمتها عند صمها يلد به قبل الوصال وينعم
 تراه إذا أبدت له حسن وجهها فواكه شتى طلعها ليس بعدم
 تفكه منها العين عند اجتلائها ورمضان أغصان به القلب مغرم
 عناقيد من كرم وتفتح جنة ولاخمر ما قد ضمه الريق والقم
 وللورد ما قد ألبيسته خدودها فياء عجا من واحد يتقسم
 تقسم منها الحسن في جمع واحد بحملتها إن السلو محرم
 لها فرق شتى من الحسن أجمعت فينطق بالتسبيح لا يتلثم
 تذكر بالرحمن عن هو ناظر اذا قابات جيش الهموم بوجهها
 تولى على أعقابها الجيش يهزم فيا خاطب الحسناء ان كنت راغبا
 ولما جرى ماء الشباب بغصنها وكن مبعضا للخائنات لحبها
 وكن أيما ممن سواها فانها لمالك في جنات عدن تأيم
 وصم يومك الاذنى لعلك في غد تفوز بعيد الفطر والناس صوم
 وأقدم ولا تقنع بعيش منغص فما فاز بالذات من ليس يقدم
 وان ضاقت الدنيا عليك بأسرها ولم يك فيها منزل لك يعلم

فحى على جنات عدن فأثما
 ولكننا سبى العدو فهل ترى
 وقد زعموا ان الغريب إذا نأى
 وأى اغتراب فوق غربتنا التى
 وحى على السوق الذى فيه يلتقى
 فما شئت خذ منه بلا ثمن له
 وحى على يوم المزيد الذى به
 وحى على واد هنالك أفيح
 منابر من نور هناك وفضة
 وكثيران مسك قد جعلن مقاعدا
 فبيننا هموفى عيشهم وسرورهم
 ذاهم بنور ساطع أشرقت له
 تجلى لهم رب السموات جهرة
 سلام عليكم يسمعون جميعهم
 يقول سلونى ما اشتيتهم فكل ما
 فقبالوا جميعا نحن نسألك الرضا
 فيعطيتهم هذا ويشهد جمعهم
 فيابائنا هذا ببخس معجل
 فان كنت لا تدري فتلك مصيبة
 منازلنا الاولى وفيها الخيم
 نعود الى أوطاننا ونسلم
 وشطت به أوطانه فهو مغرم
 لها أضحت الاعداء فينا تحكم
 محبون ذاك السوق لا يقوم يعلم
 فقد أسلف التجار فيه وأسلموا
 زيارة رب العرش فالיום موسم
 وترتبه من إذفر المسك أعظم
 ومن خالص العقيان لا تتقصم
 لمن دون أصحاب المنابر يعلم
 وأرزاقهم تجرى عليهم ونقسم
 باقطارها الجنات لا يتوهم
 فيضحك فوق العرش ثم يكلم
 بأذانهم تسليمة اذ يسلم
 تريدون عندى انى أنا أرحم
 فانت الذى تولى الجميل وترحم
 عليه تعالى الله والله أكرم
 كأنك لا تدري ، بلى سوف تعلم
 وان كنت تدري فالمصيبة أعظم

﴿ فصل ﴾

وهذا كتاب اجتهدت في جمعه وترتيبه * وتفصيله وتبويبه ، فهو
 للمحزون سلوة . وللمشتاق إلى تلك العرائس جلوة . محرك للقلوب . إلى أجل
 مطلوب . وحاد للنفوس . الى مجاورة الملك القدوس . ممتع لقارئه . مشوق
 للناظر فيه . لايسأله الجليس . ولايعله الانيس : مشتمل من بدائع الفوائد .
 وفرائد القلائد . على ملعل المجتهد في الطلب . لا يظفر به فيما سواه من الكتب
 مع تضمينه لمجلة كثيرة من الاحاديث المرفوعات . والآثار الموقوفات .
 والاسرار المودعة في كثير من الآيات ، والنكت البديعات . وإيضاح كثير من
 المشكلات . وانتبيه على أصول من الاسماء والصفات . اذا نظر فيه الناظر زاده

إيماناً . وجلى عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عياناً . فهو مثير ساكن العزيمات إلى روضات الجنات . وباعث الهمم العليات . إلى العيش الهني في تلك الغرفات (وسميته حادى الارواح . إلى بلاد الافراح) فانه اسم يطابق مسماه . ولفظ بوافق معناه . والله يعلم ما قصدت . وما بجمعه وتأليفه أردت . فهو عند لسان كل عبد وقلبه . وهو المطلع على نيته وكسبه . وكان جل المقصود منه بشارة أهل السنة . بما أعد الله لهم في الجنة . فأنهم المستحقون للبشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة . ونعم الله عليهم باطنة وظاهرة . وهم أولياء الرسول وحزبه . ومن خرج عن سنته فهم أعداؤه وحربه . لا تأخذهم في نصره سفته ملامة اللوام ، ولا يتركون ما صح عنه لقول أحد من الانام . والسنة أجل في صدورهم من أن يقدموا عليها رأياً فقيهاً . أو بحثاً جدلياً ، أو خيالاً صوفياً ، أو تناقضاً كلامياً ، أو قياساً فلسفياً . أو حكماً سياسياً . فمن قدم عليها شيئاً من ذلك فباب الصواب عليه مسدود . وهو عن طريق الرشاد مسدود . فيأتيها الناظر فيه لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه . ولك صفوه . وعليه كبدته . وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك . وبنات أفسكاره تزف إليك . فاني صادفت كفواً كريماً لم تقدم منه امساكاً بمعروف أو تسريحاً بأحسان . وان كان غيره فالله المستعان . فما كان من صواب من الواحد المنان . وما كان من خطأ فني ومن الشيطان . والله برىء منه ورسوله وقد قسمت الكتاب سبعين باباً (الباب الأول) في بيان وجود الجنة الآن (الباب الثاني) في اختلاف الناس في الجنة التي أسألتهم هل هي جنة الخلد أو جنة في الارض (الباب الثالث) في سياق حجج من ذهب إلى أنها جنة الخلد (الباب الرابع) في سياق حجج الطائفة التي قالت انها في الارض (الباب الخامس) في جواب أرباب هذا القول لمن نازعهم (الباب السادس) في جواب من زعم أنها جنة الخلد عن حجج منازعيهم (الباب السابع) في ذكر شبه من زعم أن الجنة لم تخلق بعد (الباب الثامن) في الجواب عما احتجوا به من الشبه (الباب التاسع) في ذكر عدد أبواب الجنة (الباب العاشر) في ذكر سبعة أبوابها (الباب الحادى عشر) في صفة أبوابها (الباب الثانى عشر) في ذكر مسافة ما بين الباب والباب (الباب الثالث عشر) في مكان الجنة واين هي (الباب الرابع عشر) في مفتاح الجنة (الباب الخامس عشر) في توقيع الجنة ومنشورها الذى يكتب

لاهلها (الباب السادس عشر) في بيان توحد طريق الجنة وأنه ليس لها إلا طريق واحد (الباب السابع عشر) في درجات الجنة (الباب الثامن عشر) في ذكر أعلى درجاتها واسم تلك الدرجة (الباب التاسع عشر) في عرض الرب تعالى سلطته على عباده ونعمها الذي طاب به منهم، وعقد التبائع الذي وقع بين المؤمنين وبين ربهم الخ (الباب العشرون) في طلب الجنة أهلها من ربهم، وشفاعتها فيهم وطابهم لها (الباب الحادي والعشرون) في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقها (الباب الثاني والعشرون) في عدد الجنات وأنواعها (الباب الثالث والعشرون) في خاق الرب تعالى لبعضها بيده (الباب الرابع والعشرون) في ذكر بوابها وخزنتها (الباب الخامس والعشرون) في ذكر أول من يقرع باب الجنة (الباب السادس والعشرون) في ذكر أول الامم دخولا الجنة (الباب السابع والعشرون) في ذكر السابقين من هذه الامة الى الجنة وصفتهم (الباب الثامن والعشرون) في سبق الفقراء الاغنياء الى الجنة (الباب التاسع والعشرون) في ذكر أصناف أهل الجنة التي ضمنت لهم دون غيرهم (الباب الثلاثون) في أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم (الباب الحادي والثلاثون) في أن النساء في الجنة والتأرا أكثر من الرجال (الباب الثاني والثلاثون) فيمن يدخل الجنة من هذه الامة بغير حساب وذكر أوصافهم (الباب الثالث والثلاثون) في ذكر حثيات الرب عز وجل الذين يدخلهم الجنة (الباب الرابع والثلاثون) في ذكر تربة الجنة وطينها وحصبائها ونباتها (الباب الخامس والثلاثون) في ذكر نورها وبياضها (الباب السادس والثلاثون) في ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها وخيامها (الباب السابع والثلاثون) في ذكر معرفتهم بمنازلهم ومساكنهم اذا دخلوا الجنة وان لم يروها قبل ذلك (الباب الثامن والثلاثون) في كيفية دخولهم الجنة وما يستقبلون به عند دخولها (الباب التاسع والثلاثون) في ذكر صفة أهل الجنة في خلقهم وطولهم وعرضهم ومقادير أسنانهم (الباب الأربعون) في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناها (الباب الحادي والأربعون) في تحفة أهل الجنة أول ما يدخلونها (الباب الثاني والأربعون) في ذكر ربح الجنة ومن مسيرة كم يوجد (الباب الثالث والأربعون) في الاذان الذي يؤذن به المؤمن فيها (الباب الرابع والأربعون) في أشجار الجنة وبساتينها وظلالها (الباب الخامس والأربعون) في ذكر ثمارها وتعدد أنواعها وصفاتها (الباب السادس والأربعون) في ذكر الزرع في الجنة (الباب السابع والأربعون) في ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجرها الذي تجري

عليه (الباب الثامن والاربعون) في ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه
(الباب التاسع والاربعون) في ذكر آنياتهم التي يأكلون ويشربون فيها وأجناسها
وصفاتها (الباب الخمسون) في ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم
ووسائدهم ونمازقهم وزرايبهم (الباب الحادى والخمسون) في ذكر خيامهم
وسررهم وأرائكهم وبشخاناتهم (الباب الثانى والخمسون) في ذكر خدام أهل
الجنة وغلمانهم (الباب الثالث والخمسون) في ذكر نساء أهل الجنة وسراريهم
وأصنافهم وأوصافهم وحاهن الظاهر والباطن وجماهن (الباب الرابع والخمسون)
في ذكر المادة التي خلق منها الحور العين وذكر صفاتهن ومعرفتهن اليوم
بأزواجهن (الباب الخامس والخمسون) في ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم
والتذاثم بذلك، ونزاهته عن المذى والمنى (الباب السادس والخمسون) في
اختلاف الناس هل فى الجنة حمل وولادة أم لا؟ وحجة الفريقين (الباب السابع
والخمسون) في ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين (الباب الثامن والخمسون)
في ذكر مظايا أهل الجنة وخيولهم ومرابكهم (الباب التاسع والخمسون) في
زيارة أهل الجنة بعضهم بعضا ومدكرتهم ما كان بينهم فى الدنيا (الباب الستون)
فى ذكر سوق الجنة وما أعد الله فيها لاهلها (الباب الحادى والستون)
فى زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى (الباب الثانى والستون) فى ذكر
السحاب والمطر الذى يصيبهم فى الجنة (الباب الثالث والستون) فى ذكر ملك
الجنة وان أهلها كلهم ملوك فيها (الباب الرابع والستون) فى ان الجنة فوق ما
يخطر بالبال أو يدور فى الخيال، وأن موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها
(الباب الخامس والستون) فى رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى ببصائرهم
جبهة كما يرى القمر ليلة البدر وتجليه لهم ضاحكا اليهم سبحانه لا إله الا هو (الباب
السادس والستون) فى تكليمه سبحانه لاهل الجنة وخطابه لهم ومحاضراته ايامهم
وسلامه عليهم (الباب السابع والستون) فى أبدية الجنة وأنها لا تقضى ولا تبطل
(الباب الثامن والستون) فى ذكر آخر أهل الجنة دخولها اليها (الباب التاسع
والستون) وهو باب جامع فيه فصول منثورة (الباب السبعون) فى المستحق
لهذه البشارة دون غيره والله سبحانه وتعالى هو المسئول أن يجعله خالصا
لوجهه الكريم، مدنيا مؤلفه وقارعه وكاتبه من جنات النعيم * وأن يجعله حجة

له ولا يجعله حجة عليه؛ وأن ينفع به من انتهى إليه، إنه خير مسؤول؛ وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل

— الباب الاول في بيان وجود الجنة الآن —

لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الاسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته مستنديين في ذلك الى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم؛ فأنهم دعوا الامم اليها، وأخبروا بها الى ان نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن، وقالت بل الله ينشئها يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله؛ وأنه ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات، وقالوا خلق الجنة قبل الجزاء عبث فانها تصوير معطلة مدداً متطاولة ليس فيها سكانها، قالوا ومن المعلوم ان ملكاً لو اتخذ داراً وأعد فيها ألوان الاطعمة والآلات والمصالح وعطّلها من الناس ولم يمانعهم من دخولها قروناً متطاولة لم يكن مافعله واقعاً على وجه الحكمة؛ ووجد العقلاء سبيلاً إلى الاعتراض عليه؛ فحجروا على الرب تعالى بعقولهم الفاسدة؛ وآرائهم الباطلة؛ وأشبهوا أفعاله بأفعالهم وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب أو حرفوها عن مواضعها وضلوا وبدعوا من خالفهم فيها، والتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء ولهذا يذكر السلف في عقائدهم ان الجنة والنار مخلوقتان ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها (قال) أبو الحسن الاشعري في كتاب مقالات الاسلاميين واختلاف المصنفين، جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئاً وأن الله تعالى له واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله تعالى على عرشه، كما قال «الرحمن على العرش استوى» وأن له يدين بلا كيف كما قال «خلقت بيدي» وكما قال «بل يدها مبسوطتان» وأن له عينيّن بلا كيف كما

قال: «تجرى بأعيننا» وأن له وجهاً كما قال «ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام»
وأن أسماء الله تعالى لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج وأقروا أن
الله علما كما قال «أنزله بعلمه» وكما قال «وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه» وأثبتوا
السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما تعتقد المعتزلة، وأثبتوا الله القوة كما قال
: «أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة» وقالوا إنه لا يكون في الأرض من
خير ولا شر إلا ما شاء الله وأن الأشياء تكون مشيئة الله كما قال تعالى «وما تشاؤون إلا أن
يشاء الله» وكما قال المسلمون: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن (وقالوا) إن أحداً لا يستطيع
أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله أو يكون أحديقدر أن يخرج عن علم الله أو أن يفعل شيئاً علم
الله أنه لا يفعله، وأقروا أنه لا خالق إلا الله تعالى، وأن أفعال العباد تخلقها الله تعالى وأن
العباد لا يقدر أن يخلقوا شيئاً، وأن الله تعالى وفق المؤمنين لطاعته، وخذل الكافرين
ولطف بالمؤمنين ونظر لهم وأصلحهم وهداهم ولم يلفظ بالكافرين ولا أصلحهم
ولا هداهم ولو أصلحهم لكانوا صالحين، ولو هداهم لكانوا مهتدين؛ وأن الله
تعالى يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين؛ ولكنه أراد
أن يكونوا كافرين كما علم وخذلهم وأضلهم وطبع على قلوبهم، وأن الخير والشر
بقضاء الله وقدره، ويؤمنون بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره، ويؤمنون
أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله كما قال: (١) ويلجئون أمرهم إلى
الله؛ ويشبثون الحاجة إلى الله في كل وقت والفقر إلى الله في كل حال؛ ويقولون إن
القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام في الوقف واللفظ فن قال باللفظ أو بالوقف
فهو مبتدع عندهم؛ لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق؛ ويقولون
إن الله تعالى يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر؛ ويراه المؤمنون ولا
يراه الكافرون؛ لأنهم عن الله تعالى محجوبون؛ قال الله تعالى: «كلا إنهم عن ربهم
يومئذ لحجوبون» وأن موسى عليه السلام سأل الله سبحانه وتعالى الرؤية في الدنيا؛
وإن الله تعالى تجلى للجميل فجعله دكا، فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل يراه في
الآخرة؛ ولا يتفرون أحد من أهل القبلة بذنب يرتكبه كمنحو الزنا والسرقة وما أشبه
ذلك من الكبائر؛ وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر
والإيمان عندهم هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره
حلوه ومره؛ وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم؛ والاسلام
هو أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله كما جاء في الحديث والاسلام

(١) وهو قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله

عندهم غير الايمان، ويقررون بان الله مقلب القلوب، ويقررون بشفاعة رسول الله ﷺ،
وأنها لاهل الكبار من أمته، وبعذاب القبر وأن الحوض حق والصراط حق والبعث
بعد الموت حق، والمحاسبة من الله لعباده حق، والوقوف بين يدي الله تعالى حق
ويقررون بان الايمان قول وعمل يزيد وينقص، ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق
ويقولون اسماء الله هي الله تعالى ولا يشهدون على أحد من أهل الكبار بالنار ولا يحكون
بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله تعالى ينزلهم حيث شاء، ويقولون
أمرهم إلى الله ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم، ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قوما من
الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ، ويذكرون
الجدال والمراء في الدين والخصومة في القدر والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل
الجدل ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة، ولما جاءت به
الأثار التي رواها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ
ولا يقولون كيف ولا لم؟ لأن ذلك بدعة ويقولون إن الله تعالى لم يأمر بالسر، بل
نهى عنه وأمر بالخير، ولم يرض بالشرك وان كان مريداً له، ويعرفون حق السلف
الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، ويأخذون بفضايلهم ويمسكون عما شجر
بينهم صغيرهم وكبيرهم، ويقدمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً رضي الله عنهم
ويقررون بأنهم الخلفاء الراشدون المهديون، وأنهم أفضل الناس كلهم بعد رسول
الله ﷺ ويصدقون بالاحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم «أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول هل من مستغفر؟» كما جاء في الحديث
عن رسول الله ﷺ «يأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى «فان تنازعتم في
شئ فردوه إلى الله والرسول» ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين وأن لا
يتبعوا في دينهم ما لم يأذن به الله ويقررون ان الله تعالى يجيء يوم القيامة كما قال «وجاء
ربك والملك صفا صفا» وأن الله تعالى يقرب من خلقه كيف شاء كما قال «ونحن
أقرب إليه من حبل الوريد» ويرون العيدين والجمعة والجماعة خلف كل امام
بر أو فاجر، ويثبتون المسح على الخفين سنة ويروونه في الحضر والسفر، ويثبتون
فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه ﷺ إلى آخر عصاة تقاتل الدجال
وبعد ذلك يرون الداء لأئمة المسامين بالصلاح وأن لا يخرج عليهم بالسيف
وأن لا يقاتلوا في الفتنة، ويصدقون بخروج الدجال وان عيسى بن مريم عليه

الصلاة والسلام يقتله؛ ويؤمنون بمنكر ونكير والمعراج والرؤيا في المنام؛ وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعدم موتهم تصل إليهم؛ ويصدقون أن في الدنيا سحرة وأن الساحر كافر كما قال الله تعالى (١) وأن السحر كائن موجود في الدنيا ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم؛ ويقررون أن الجنة والنار مخلوقتان وأن من مات باجله، وكذلك كل من قتل قتل باجله؛ وأن الارزاق من قبل الله تعالى يرزقها عباده حلالات كانت أو حراما؛ وأن الشيطان يوسوس للانسان ويشدكه ويخبطه وأن الصالحين قد يجوز أن يخضهم الله تعالى بآيات تظهر عليهم؛ وأن السنة لا تنسخ بالقرآن؛ وأن الاطفال أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم؛ وإن شاء فعل بهم ما أراد وإن الله تعالى عالم ما العباد عاملون؛ وكتب أن ذلك يكون؛ وأن الامور بيد الله تعالى ويرون الصبر على حكم الله والاخذ بما أمر الله تعالى والانتفاء عما نهى الله عنه؛ واخلاص العمل لله والنصيحة للمسلمين ويدرنون بعبادة الله في العابدین والنصيحة لجماعة المسلمين؛ واجتناب الدبائر والزنا وقول الزور والمعصية والتشاغل والكبر والازدراء على الناس والعجب؛ ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة؛ والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الاذى وترك النية والخمية والسعاية وتفقد المآكل والمشارب فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب وماتوا فيقننا لا بالاله وهو حسبنا ونعم الوكيل؛ وبه نستعين وعليه نتوكل واليه المصير؛ والمقصود حكايته عن جميع أهل السنة والحديث أن الجنة والنار مخلوقتان وسقنا جملة كلامه ليكون الكتاب مؤسسا على معرفة من يستحق البشارة المذكورة وأن أهل هذه المقالة هم أهلها وبالله التوفيق * وقد دل على ذلك من القرآن قوله تعالى: «ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى» وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى كما في الصحيحين من حديث أنس في قصة الاسراء وفي آخره «ثم انطلق بي جبريل حتى انتهى إلى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي؟ قال ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنانا بذا اللؤلؤ وإذا ترابها المسك وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أحدكم

إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى يوم القيامة « وفي المسند وصحيح الحاكم وابن حبان وغيرهم من حديث البراء بن عازب قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار . فذكر الحديث بطوله وفيه : فينادى من السماء إن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها » وذكر الحديث . وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم قال فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل قال قال المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله قال فيقولان له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً في الجنة » قال نبي الله صلى الله عليه وسلم فيراها جميعاً . « وفي صحيح أبي عوانة الاسفرائيني وسنن أبي داود من حديث البراء بن عازب الطويل في قبض الروح « ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار فيقال هذا كان منزلك لو عصيت الله تعالى أبدلك الله به هذا فاذا رأى ما في الجنة قال رب عجل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلي ومالي فيقال اسكن » وفي مسند البراء وغيره من حديث أبي سعيد قال : « شهدنا مع النبي صلى الله عليه وسلم جنازة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس إن هذه الامة تبتلى في قبورها فاذا دفن الانسان وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق فأقعده فقال ما تقول في هذا الرجل ؟ يعني محمداً صلى الله عليه وسلم فان كان مؤمناً قال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فيقولون له صدقت ثم يفتح له باب إلى النار فيقولون هذا كان منزلك لو كفرت بربك فاما اذ آمنت به فهذا منزلك فيفتح له باب إلى الجنة فيريد أن ينهض إلى الجنة فيقولون له اسكن » وذكر الحديث وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت : « خسفت الشمس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت الحديث إلى ان قالت ثم قام فخطب الناس فاثني على الله بما هو أهله ثم قال إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتهم حتى لقد رأيتني آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتموني

أقدم ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتهموني تأخرت . وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن عبد الله بن عباس قال: «انخفضت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وفيه فقال ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخرسان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيت ذلك فاذكروا الله؛ فقالوا يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ثم رأيناك تكعكت ؛ فقال اني رأيت الجنة وتناولت عنقوداً ولو أصبته لا كلمت منه ما بقيت الدنيا؛ ورأيت النار ثم أرميها كالיום قط أفظم؛ ورأيت أكثر أهلها النساء؛ قالوا يا رسول الله؟ قل بكفرن قيل أيكفرن بالله؟ قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان؛ لو أحسنت إلى احداهن الدهر كله ثم رأيت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط» وفي صحيح البخاري عن أسماء بنت أبي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الخسوف قال «قد دنت مني الجنة حتى لو اجتريت عليها لجمتكم بقطاف من قطافها؛ ودنت مني النار حتى قات أي رب وأنا معهم فاذا امرأة حسبت أنه قال تحذشها هرة قلت ما شأن هذه؟ قالوا حبستها حتى ماتت جوعاً لا أطعمتها ولا أرسلتها تأكل» وفي صحيح مسلم من حديث جابر في هذه القصة قال: «عرض على كل شيء وتولجونه فعرضت على الجنة حتى تناولت منها قطفاً فقصرت يدي عنه؛ وعرضت على النار فرأيت فيها امرأة من بني اسرائيل تعذب في هرة لها» وذكر الحديث. وفي صحيح مسلم عنه في هذا الحديث: «ما من شيء توعدونه إلا قدر رأيته في صلاتي هذه؛ لقد جيء بالنار وذلك حين رأيتهموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها؛ وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبة في النار وكان يسرق الحاج بمحجنه فاذا فطن له قال انما تعاق بمحجني وان غفل عنه ذهب به؛ وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الارض حتى ماتت جوعاً؛ ثم جيء بالجنة وذلك حين رأيتهموني تقدمت حتى قمت في مقامي ولقد مددت يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا اليه ثم بدأ لي أن لا أفعل فما من شيء توعدونه الا قدر رأيته في صلاتي هذه» . وفي مسند الامام أحمد وسنن أبي داود والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو في هذه القصة «والذي نفس محمد بيده لقد أدنيت الجنة حتى لو بسطت يدي لتعاطيت من قطوفها؛ ولقد أدنيت النار مني حتى لقد جعلت أنقيها خشية أن تغشاكم» وذكر الحديث: وفي صحيح

مسلم من حديث أنس بن مالك قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ أقيمت الصلاة فقال يا أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا ترفعوا رؤوسكم قاني أراكم من أمامي ومن خلفي وأيم الذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، قالوا وما رأيتم يا رسول الله؟ قال رأيتم الجنة والنار» وفي الموطأ والسنن من حديث كعب ابن مالك قال قل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة» وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة ومثله حديث كعب بن مالك أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم «أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعاق في ثمر الجنة أو شجر الجنة» رواه أهل السنن وصححه الترمذي. وسيأتي في آخر هذا الكتاب في الباب الذي يذكر فيه دخول أرواح المؤمنين الجنة قبل يوم القيامة تمام هذه الأحاديث أن شاء الله تعالى، وذكر دلالة القرآن على ما دلت عليه السنة من ذلك. وفي صحيح مسلم والسنن والمسند من حديث أبي هريرة «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لاهلها فيها فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لاهلها فيها فرجع فقال وعزتك لا يسمع بها أحد الا دخلها، فامر بالجنة فحففت بالمكاره، فقال فارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لاهلها فيها، قال فنظر إليها ثم رجع فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، قال ثم أرسله إلى النار قال اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لاهلها فيها قال فنظر إليها فاذا هي يركب بعضها بعضها ثم رجع فقال وعزتك وجلالك لا يدخلها أحد، فامر بها فامر بها فحففت بالشهوات ثم قال اذهب فانظر إلى ما أعددت لاهلها فيها فذهب فنظر إليها فرجع فقال وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد الا دخلها» قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة «حجبت الجنة بالمكاره وحجبت النار بالشهوات». وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اختصمت الجنة والنار فقالت الجنة يارب ما لها أنما يدخلها ضعفاء الناس وسقطتهم، وقالت النار يارب ما لها يدخلها الجبارون والمتكبرون فقال أنت رحمتي أصيب بك من أشاء وأنت عذابي أصيب بك من أشاء ولكل

واحدة منك ماؤها» وفي الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضى بعضا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف» وروى الليث بن سعد عن معاوية ابن صالح عن عبد الملك بن بشير ورفع الحديث قال «ما من يوم الا والجنة والنار يسألان تقول الجنة يارب قد طاب ثمرى واطردت أنهارى واشتقت إلى أوليائى فعجل إلى بأهلى، وتقول النار اشتد حرى وبعد قعرى وعظم جهرى فعجل على بأهلى» وفي صحيح البخارى من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «بينما أنا أسير في الجنة وإذا بنهر في الجنة حافته قباب الدر المحجوف قال قلت ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك، فضرب الملك بيده فاذا طينه المسك الاذفر» وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «دخلت الجنة فرأيت فيها قصر اودار افقلت لمن هذا؟ فقيل لرجل من قريش فرجوت أن أكون أنا هو، فقيل لعمر بن الخطاب فلو لا غيرتك يا أبا حفص لدخلته، قال فبكى عمر وقال أويغار عليك يا رسول الله» وسيأتى حديث بلال وقول النبي صلى الله عليه وسلم لم «ما دخلت الجنة الا سمعت خشخشتك بين يدي» وغير ذلك من الاحاديث التى تأتى ان شاء الله تعالى .

وقال عبد الله بن وهب أنبأنا معاوية بن صالح عن عيسى بن عاصم عن زر بن حبیش عن أنس بن مالك قال: «صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم صلاة الصبح ثم مديده ثم أخرها فلما سلم قيل له يا رسول الله لقد صنعت فى صلاتك شيئا لم تصنعه فى غيرها، قال انى رأيت الجنة فرأيت فيها دالية قطوفها دانية حبهها كالدباء فأردت أن أتناول منها فوحي إليها أن استأخرى فامتأخرت ثم رأيت النار فيما بينى وبينكم حتى لقد رأيت ظلى وظلكم قومأت اليكم أن استأخروا فوحي الى أقرهم فانك اسأمت وأسأموا وهاجرت وهاجروا وجاهدت وجاهدوا فلم أر الى عليكم فضلا الا بالنبوة» فان قيل فما منعكم عن الاحتجاج على وجودها الآن بقصا آدم ودخوله الجنة واخراجه منها بأكله من الشجرة والاستدلال بها فى غاية الظهور؟ قيل «الاستدلال بذلك وان كان عند العامة فى غاية الظهور فهو فى غاية الغموض لاختلاف الناس فى الجنة التى أسكنها آدم هل كانت جنة الخلد التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة أو كانت جنة فى الارض فى شرفها ونجم

بذكر من قال بهذا ومن قال بهذا وما احتج به كل فريق على قولهم، وما رد به الفريق الآخر عليهم بحول الله وقوته

﴿الباب الثاني﴾

(في اختلاف الناس في الجنة التي أسكنها آدم عليه الصلاة والسلام وأهبط منها هل هي جنة الخلد أو جنة أخرى غيرها في موضع عال من الأرض)
قال منذر ابن سعيد في تفسيره دوأما قوله تعالى لا آدم «أسكن أنت وزوجك الجنة» فقالت طائفة أسكن الله آدم جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة وقال آخرون هي جنة غيرها جعلها الله له وأسكنه إياها ليست جنة الخلد، قال وهذا قول تكثر الدلائل الشاهدة له والموجبة للقول به وقال أبو الحسن الماوردي في تفسيره واختلاف الناس في الجنة التي أسكنها على قولين (أحدهم) أنها جنة الخلد (الثاني) أنها جنة أعدّها الله تعالى لها وجعلها دار ابتلاء وليست هي جنة الخلد التي جعلها دار جزاء، ومن قال بهذا اختلفوا فيه على قولين (أحدهم) أنها في السماء لأنه أهبطهما منها فهذا قول الحسن (الثاني) أنها في الأرض لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نهاي عنها دون غيرها من الثمار، وهذا قول ابن بحر وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم عاينه الصلاة والسلام والله أعلم بصواب ذلك هذا كلامه وقال ابن الخطيب في تفسيره المشهور واختلفوا في الجنة المذكورة في هذه الآية هل كانت في الأرض أو في السماء؟ وبتقدير أنها كانت في السماء فهل هي الجنة التي هي دار الثواب وجنة الخلد أو جنة أخرى؟ فقال أبو القاسم الباغي وأبو مسلم الأصبهاني هذه الجنة في الأرض وحملوا الهمزة على الانتقال من بقعة إلى بقعة كما في قول «أهبطوا مصرأ» واحتجوا عليه بوجوده. (القول الثاني) وهو قول الجبائي أن تلك الجنة كانت في السماء السابعة (والقول الثالث) وهو قول جمهور أصحابنا أن هذه الجنة هي دار الثواب. وقال أبو القاسم الراغب في تفسيره واختلف في الجنة التي أسكنها آدم فقال بعض المتكلمين كان يستأنا جعله الله تعالى له امتحانا ولم تكن جنة المأوى وذكر بعض الاستدلال على القولين ومن ذكر الخلاف أيضاً أبو عيسى الرمانى في تفسيره واختار أنها جنة الخلد ثم قال والمذهب الذي اخترناه قول الحسن وعمر بن واصل وأكثر أصحابنا وهو قول أبي علي وشيخنا أبي بكر وعليه أهل التفسير واختار ابن الخطيب التوقف في المسألة وجعله قولاً رابعاً فقال (والقول الرابع) أن السكلى ممكن والأدلة متعارضة فوجب التوقف وترك القطع قال منذر بن سعيد والقول

بأنها جنة في الارض ليست جنة الخلد قول أبي حنيفة وأصحابه قال وقد رأيت
 أقواما نهضوا لمخالفتنا في جنة آدم عليه السلام بتصويب مذهبهم من غير حجة
 إلا الدعاوى والاماني ما أتوا بحجة من كتاب ولا سنة ولا أثر عن صاحب ولا
 تابع ولا تابع التابع ولا موصول ولا شاذاً مشهوراً . وقد أوجدناهم ان فقيه العراق
 ومن قال بقوله قلوا ان جنة آدم ليست جنة الخلد وهذه الدواوين مشحونة من
 علومهم ليسوا عند أحد من الشاذين بل بين رؤساء المخالفين وانما قلت هذا
 ليعلم أني لا انصر مذهب أبي حنيفة وانما أنصر ما قام لي عليه الدليل من القرآن
 والسنة هذا ابن زيد المالكي يقول في تفسيره سألت ابن نافع عن الجنة أمخلوقة
 هي فقال السكوت عن الكلام في هذا أفضل، وهذا ابن عيينة يقول في قوله
 عز وجل «إن لك أن لا تجد جنة فيها ولا تعري» قال يعني في الارض وابن نافع امام
 وابن عيينة امام وهم لا يأتوننا بمثلهما ولا من يضاد قوله قولها وهذا ابن قتيبة
 ذكر في كتاب المعارف بعد ذكره خلق الله لآدم وزوجه قال ثم تركها وقال
 انمروا واكثروا وامأوا الارض وتسلطوا على أنوان البحور وطيور السماء والانعام
 وعشب الارض وشجرها وثمرها فأخبر أن في الارض خلقه وفيها أمره ثم قال
 ونصب الفردوس فانقسم على أربعة أنهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات
 ثم ذكر الحية فقال وكانت أعظم دواب البر فقالت للمرأة انكها لتوتان إن
 أكلتما من هذه الشجرة، ثم قال بعد كلام ثم أخرجه من مشرق جنة عدن إلى الارض
 التي منها أخذ ثم قال قال وهب وكان مهبطه حين أهبط من جنة عدن في شرقي
 أرض الهند قال واحتمل قابيل أخاه حتى أتى به واديا من أودية اليمن في شرقي
 عدن فكن فيه وقال غيره فيما نقل أبو صالح عن ابن عباس في قوله أهبطوا
 هو كما يقال هبط فلان أرض كذا وكذا قال منذر بن سعيد فهذا وهب بن
 منبه يحكي ان آدم عليه السلام خاق في الارض وفيها سكن وفيها نصب له
 الفردوس وانه كان بعدن وان أربعة أنهار انقسمت من ذلك النهر الذي كان يسمى
 فردوس آدم وتلك الانهار بقيت في الارض لاختلاف بين المسلمين في ذلك فاعتبروا
 يا أولى الالباب وأخبر أن الحية التي كلمت آدم كانت من أعظم دواب البر ولم يقل من أعظم
 دواب السماء فهم يقولون ان الجنة لم تكن في الارض وانما كانت فوق السماء السابعة ثم قال
 وأخرجه من مشرق جنة عدن وليس في جنة المأوى مشرق ولا مغرب لانه

لا شمس فيها ثم قال وأخرجه إلى الأرض التي أخذ منها يعني أخرجه من الفردوس الذي نصب له في عدن في شرقي أرض الهند وهذه الاخبار التي حكى ابن قتيبة إنما تنبئ عن أرض اليمن وعن عدن وهي من أرض اليمن وأخبر أن الله نصب الفردوس لآدم عليه الصلاة والسلام بعد أن أكل ذلك بأن قال الاربعة الانهار التي ذكرناها منقسمة عن النهر الذي كن يسمى فردوس آدم قال منذر وقال ابن قتيبة عن ابن منبه عن أبي هريرة قال واشتهى آدم عند موته قطفا من الجنة التي كن فيها بزعمهم على ظهر السماء السابعة وهو في الأرض فخرج أولاده يطلبون ذلك له حتى بلغتهم الملائكة موته فأولاد آدم كانوا مجانين عندكم إن كان ما نقله ابن قتيبة حقا يطلبون لا بهم ثم جنة الخلد في الأرض قال ونحن لم نقل غير ما قال هؤلاء ولو كانت جنة الخلد خلد فيها ونحن استدلنا من القرآن وغيرنا قطع وادعى بما ليس له عليه برهان . فهذا ذكر بعض أقوال من حكى الخلاف في هذه المسئلة ونحن نسوق حجج الفريقين إن شاء الله تعالى ونبين ما لهم وما عليهم

(الباب الثالث)

١ (في سياق حجج من اختار أنها جنة الخلد التي يدخلها الناس يوم القيامة) قالوا قولنا هذا هو الذي فطر الله عليه الناس صغيرهم وكبيرهم لم يخطر بقلوبهم سوا هو أكثرهم لا يعلم في ذلك نزاعاً ، قالوا وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك عن أبي حازم عن أبي هريرة وأبي مالك عن ربي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجمع الله تعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم عليه السلام فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم ؟ » وذكر الحديث قالوا وهذا يدل على أن الجنة التي أخرج منها هي بعينها التي يطلب منها ان يستفتحها . وفي الصحيحين حديث احتجاج آدم وموسى وقول موسى أخرجتنا ونفسك من الجنة ولو كانت في الأرض فهم قد خرجوا من بساتين فلم يخرجوا من الجنة وكذلك قول آدم للمؤمنين يوم القيامة وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم وخطيئته لم تخرجهم من جنات الدنيا . قالوا وقد قل تعالى في سورة البقرة « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما

كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع إلى حين» فهذا يدل على أن هبوطهم كان من الجنة إلى الارض من وجهين (أحدهما) من لطف اهبطوا فانه نزول من علو إلى سفلى (الثاني) قوله ولكم في الارض مستقر عقب قوله اهبطوا فدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الارض ثم أكد هذا بقوله في سورة الاعراف «قال فيها تخيون وفيها تموتون، ومنها تخرجون» ولو كانت الجنة في الارض لكانت حياتهم فيها قبل الاخراج وبعده قالوا وقد وصف سبحانه جنة آدم بصفات لا تكون الا في جنة الخلد فقال: «إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضجى» وهذا لا يكون في الدنيا أصلاً فأن الرجل ولو كان في أطيب منازلها لا بد أن يعرض له شيء من ذلك وقابل سبحانه بين الجوع والظمأ والعرى والضجى فإن الجوع ذل الباطن والعرى ذل الظاهر والظمأ حر الباطن والضجى حر الظاهر فنفى عن سكانها ذل الظاهر والباطن وحر الظاهر والباطن وذلك أحسن من المقابلة بين الجوع والعطش والعرى والضجى وهذا شأن ساكن جنة الخلد . قالوا أيضاً فلو كانت تلك الجنة في الدنيا لعلم آدم كذب ابليس في قوله «هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى» فأن آدم كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية وان ملكها يبلى، قالوا أيضاً هذه القصة في سورة البقرة ظاهرة جداً في أن الجنة التي أخرج منها فوق السماء فانه سبحانه قال: «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا إبليس» أبي واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع إلى حين، فتلقي آدم من ربه كلمات فتب عليه إنه هو التواب الرحيم» فهذا اهبط آدم وحواء وإبليس من الجنة فلماذا أتى فيه بضمير الجمع وقد قيل إن الخطاب لهما وللحية وهذا ضعيف جداً إذ لا ذكر للحية في شيء من قصة آدم ولا في السياق ما يدل عليها . وقيل الخطاب لآدم وحواء وأتى فيه بضمير الجمع كقوله «وكننا لحكمهم شاهدين» وهما داود وسليمان وقيل لآدم وحواء وذريتهما وهذه الأقوال ضعيفة غير الاول لأنها بين قول لا دليل عليه وبين ما يدل اللفظ على خلافه فثبت أن إبليس داخل في هذا الخطاب وأنه من

المهبطين فإذا تقرر هذا فقد ذكر سبحانه الالهباط ثانيا بقوله «فلما اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» والظاهر أن هذا الالهباط الثاني غير الاول وهو اهباط من السماء إلى الارض والاول اهباط من الجنة وحينئذ فتكون الجنة إلى اهبط منها أولا فوق السماء جنة الخلد وقد ظن الزمخشري أن قوله اهبطوا منها جميعاً خطاب لآدم وحواء خاصة وعبر عنهما بالجمع لاستتباعهما ذريتهما قال والدليل عليه قوله تعالى: «قل اهبطوا منها جميعاً بعضهم لبعض عدو» قال ويدل على ذلك قوله «فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» وهو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى قوله بعضهم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادى والتباغى وتضليل بعضهم بعضاً . وهذا الذى اختاره أضعف الاقوال فى الآية فان العداوة التى ذكرها الله تعالى إنما هى بين آدم وابليس وذريتهما كما قال الله تعالى: «ان الشيطان لـكم عدو فاتخذوه عدواً» وهو سبحانه قد أكد أمر العداوة بين الشيطان والانسان وأعاد وأبدى ذكرها فى القرآن لشدة الحاجة الى التحرز من هذا العدو، وأما آدم وزوجته فانه إنما أخبر فى كتابه أنه خلقها ليسكن اليها وجعل بينهما مودة ورحمة فلمودة والرحمة بين الرجل وامرأته والعداوة بين الانسان والشيطان وقد تقدم ذكر آدم وزوجه وابليس وهم ثلاثة فلماذا يعود الضمير على بعض المذنوبين مع منافرتهم لطريق الكلام دون جميعه مع أن اللفظ والمعنى يقتضيه فلم يصنع الزمخشري شيئاً . وأما قوله تعالى فى سورة طه: «قال اهبطوا منها جميعاً بعضهم لبعض عدو» وهذا خطاب لآدم وحواء ولم يجعل بعضهم لبعض عدواً فليضمير فى قوله اهبطوا منها أما أن يرجع إلى آدم وزوجه أو إلى آدم وابليس ولم يذكر الزوجة لانها تتبع له وعلى هذا لعداوة المذكورة للمخاطبين بالالهباط وهما آدم وابليس فالامر ظاهر، وأما على الاول فتكون الآية قد اشتملت على أمرين (أحدهما) أمره تعالى لآدم وزوجه بالهبوط والثانى اخباره بالعداوة بين آدم وزوجه وبين ابليس ولهذا أتى بضمير الجمع فى الثانى دون الاول ولا بد أن يكون ابليس داخل فى حكم هذه العداوة قطعاً كما قال تعالى: «ان هذا عدو لك ولزوجك» وقال للذرية: «ان الشيطان لـكم عدو فاتخذوه عدواً» وتأمل كيف اتفقت المواضع التى فيها ذكر العداوة على ضمير

الجمع دون التثنية؟ وأما الالهباط فتارة يذكره بلفظ الجمع وتارة بلفظ التثنية وتارة بلفظ الافراد كقوله في سورة الاعراف قال اهبط منها وكذلك في سورة ص وهذا لابلis وحده وحيث ورد بصيغة الجمع فهو لآدم وزوجه وابلis اذ مدار القصة عليهم وحيث ورد بلفظ لتثنية فأما أن يكون لآدم وزوجه اذما اللذان باسرا الاكل من الشجرة وأقدا على المعصية ، وإما أن يكون لآدم وابلis اذهما أبوا الثقليين وأصلا الذرية فذكر حالهما ومآل أمرهما ليكون عظة وعبرة لأولادهما وقد حكيت القولين في ذلك والذي يوضح أن الضمير في قوله اهبطا منها جميعا لآدم وابلis أن الله سبحانه لما ذكر المعصية أفرد بها آدم دون زوجته فقال «وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبا ربه فتاب عليه وهدى» قال اهبطا منها جميعاً» وهذا يدل على ان المخاطب بالالهباط هو آدم ومن زين له المعصية ودخلت الزوجة تبعاً فان المقصود إختيار الله تعالى للثقلين بما جرى على أبويهما من شؤم المعصية ومخالفة الامر فذكر أبويهما أبلغ في حصول هذا المعنى من ذكر أبوى الانس فقط وقد أخبر سبحانه عن الزوجة بأنها أكلت مع آدم وأخبر أنه أهبطه وأخرجه من الجنة بتلك الاكلة فعلم أن حكم الزوجة كذلك وأنها صارت الى ما صار اليه آدم، وكان تجريد العناية إلى ذكر حال أبوى الثقلين أولى من تجريده الى ذكر أبى الانس وأمههم فتمأله . وبالحجة فقوله «اهبطوا بعضكم لبعض عدو» ظاهر في الجمع فلا يخلو عن حمله على الاثنين في قوله «اهبطا» من غير موجب . قلوا وأيضا فالجنة جاءت معرفة بلام التعريف في جميع المواضع كقوله «اسكن أنت وزوجك الجنة» ونظائر دول الجنة يعهدا المخاطبون ويعرفونها الاجنة الخلد التي وعد الرحمن عباداه بالغيب فقد صار هذا الاسم عالماً عليها بالقلبة كالمدينة والنجم والبيت والكتاب ونظائرها حيث ورد لنظامها معروفا انصرف الى الجنة المعهودة المعلومة في قلوب المؤمنين وأما ان أريد به جنة غيرها فأنها تحجب منكرة أو مقيدة بالاضافة ، أو مقيدة من السياق بما يدل على أنها جنة في الارض فالاول كقوله «جنتين من أعناب» والثاني كقوله «ولولا اذ دخلت جنتك» والثالث كقوله «انا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة» قلوا أو مما يدل على أن جنة آدم هي جنة المأوى ماروى هوذة بن خليفة عن عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى الاشعري قل «ان الله تعالى لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة كل شيء

فما رآكم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير» قالوا وقد ضمن الله سبحانه وتعالى له أن تاب إليه وأناب أن يعيده اليها كما روى المنهال عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه» قال (يا رب ألم تخلفني بيدك؟ قال بلى، قال أى رب ألم تنفخ في من روحك؟ قال بلى، قال أى رب ألم تسكني جنتك؟ قال بلى، قال أى رب ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال بلى، قال أرأيت أن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال بلى، قال فهو قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) وله طروق عن ابن عباس وفي بعضها: «كان آدم قال لربه اذ عصاه رب أن تبت وأصلحت فقال له ربه أنى راجعتك إلى الجنة» فهذا بعض ما احتج به القائلون بأنها جنة الخلد ونحن نسوق حجج الآخرين

(الباب الرابع)

في سياق حجج الطائفة التي قالت ليست جنة الخلد وانما هي جنة في الارض قالوا هذا قول تسكر الدلائل الموجبة للقول به فنذكر بعضها قالوا قد أخبر الله سبحانه على لسان جميع رسله أن جنة الخلد انما يكون الدخول اليها يوم القيامة، ولم يأت زمن دخولها بعد، وقد وصفها الله سبحانه وتعالى لنا في كتابه بصفات ومحال أن يصف الله سبحانه وتعالى شيئاً بصفة ثم يكون ذلك الشيء بغير تلك الصفة التي وصفه بها قالوا فوجدنا الله تعالى وصف الجنة التي أعدت للمعتقين بأنها دار المقامة فمن دخلها أقام بها ولم يقم آدم بالجنة التي دُخِلَ فيها ووصفها بأنها جنة الخلد وآدم لم يخلد فيها ووصفها بأنها دار ثواب وجزاء لادار تكليف وأمر ونهى، ووصفها بأنها دار سلامة مطلقة لا دار ابتلاء وامتحان وقد ابتلى آدم فيها بأعظم الابتلاء ووصفها بأنها دار لا يعصى الله فيها أبداً وقد عصى آدم ربه في جنته التي دخلها ووصفها بأنها ليست دار خوف ولا حزن وقد حصل للابوين فيها من الخوف والحزن ما حصل وسماها دار السلام ولم يسلم فيها الابوان من الفتنة، ودار القرار ولم يستقرا فيها وقال في داخلها «وما هم منها بمخرجين» وقد أخرج منها الابوان، وقال «لا يمسه» فيها نصب، وقد ند فيها آدم هارباً فاراً وطلق يخصف ورق الجنة على نفسه وهذا النص بعبثه، وأخبر أنه لا لغو فيها ولا تأثيم وقد سمع فيها آدم لغو ابليس وأثمه وأخبر أنه لا يسمع فيها لغو ولا كذاب وقد سمع فيها آدم عليه السلام كذب

إبليس وقد سماها الله سبحانه وتعالى متعدي صدق وقد كذب فيها إبليس وحلف على كذبه وقد قال تعالى للملائكة «إني جاعل في الأرض خليفة» ولم يقل إني جاعل في جنة المأوى «فقالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟» ومحال أن يكون هذا في جنة المأوى وقد أخبر الله تعالى عن إبليس أنه قال لا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى «فإن كان الله سبحانه وتعالى قد أسكن آدم جنة الخلد والملك الذي لا يبلى فكيف لم يرد عليه ويقول له كيف تدلني على شيء أنا فيه وقد أعطيته ولم يكن الله سبحانه وتعالى قد أخبر آدم إذا أسكنه الجنة أنه فيها من الخالدين ولو علم أنها دار الخلد لما ركن إلى قبول إبليس ولا مال إلى نصيحته ولكنه لما كان في غير دار خلود غره بما أطمعه فيه من الخلد قالوا ولو كان آدم أسكن جنة الخلد وهي دار القدس التي لا يسكنها إلا طاهر مقدس فكيف توصل اليها إبليس الرجس النجس المذموم المدحور حتى فتن فيها آدم عليه السلام ووسوس له وهذه الوسوسة إما أن تكون في قلبه وإما أن تكون في أذنه وعلى التقديرين فكيف توصل اللعين إلى دخول دار المتقين وأيضاً فبعد أن قيل له اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها أينسج له أن يرقى إلى جنة المأوى فوق السماء السابعة بعد السخط عليه والابعاد له والزجر والطرده بعثوه واستكبار ذبوه هل هذا يلائم قوله «فما يكون لك أن تتكبر فيها» فإن كانت مخاطبته لا آدم بما خاطبه به وقاسمه عليه ليست تكبراً فالتكبر بعد هذا؟ فإن قلتم فلعل وسوسته وصات إلى الابوين وهو في الأرض وهما فوق السماء في عالمين فهذا غير معقول لغة ولا حساً ولا عرفاً وإن زعمتم أنه دخل في بطن الحية حتى أوصل اليهما الوسوسة فأبطل وأبطل إذ كيف يرتقى بعد الاهباط إلى أن يدخل الجنة ولو في بطن الحية وإذا قلتم إنه دخل في قلوبهما ووسوس اليهما فاحذرو قائم وأيضاً فإن الله سبحانه وتعالى حكى مخاطبته لهما كلاماً سمعاه شهاهاً «فقال ما نهاك ربكما عن هذه الشجرة» وهذا دليل على مشاهدته لهما وللشجرة ولما كان آدم خارجاً من الجنة وغير ساكن فيها قال الله تعالى له «ألم أعلمكما عن تلكما الشجرة» ولم يقل عن هذه الشجرة فعند ما قل لهما ما نهاك ربكما عن هذه الشجرة لما أطمعهما في ملكها والخلود في مقرها أتى باسم الإشارة بلفظ الحضور تقریباً لها واحضاراً لها عندهما وربهما تعالى قال لهما ألم أعلمكما عن

تلكما الشجرة؟ ولما أراد اخرجهم منها فأتى باسم الإشارة بلفظ البعد والغيبة
 كأنهما لم يبق لهما من الجنة حتى ولا مشاهدة الشجرة التي نهيا عنها وأيضاً فإنه
 سبحانه قال: «إليه يصعد الحكم الطيب» ووسوسة اللعين من أخبث الحكم فلا
 تصعد إلى محل القدس . قال منذر وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم «أن
 آدم عاينه السلام نام في جنته» وجنة الخلد لا نوم فيها بالنص واجماع المسلمين
 فإن النبي صلى الله عليه وسلم سئل «أينام أهل الجنة في الجنة؟ قال لا النوم أخو
 الموت والغوم وفاة» وقد نطق به القرآن والوفاة نقاب حال ودار السلام
 مسماة من قلب الاحوال والنائم ميت أو كالميت (قات) الحديث الذي
 أشار إليه المعروف أنه موقوف من رواية ابن أبي نجیح عن مجاهد قال
 «خلقت حواء من قصيرى آدم وهو نائم» وقال اسباط عن السدى «أسكن آدم عليه
 السلام الجنة وكان يمشى فيها وحشا ليس له زوج يسكن اليها فنام نومة فاستيقظ
 فاذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسأها ما أنت؟ قالت امرأة قال
 ولم خلقت؟ قالت لتسكن الى» وقال ابن اسحاق عن ابن عباس «ألقى الله على آدم
 عليه السلام السنة ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر ولألم مكانه فخا
 وآدم نائم لم يهب من نومته حتى خاق الله من ضلعه تلك زوجته حواء فسواها
 امرأة يسكن اليها فلما كشف عنه السنة وهب من نومته رآها الى جنبه فقال لحي
 ودعى وروحي فسكن اليها» قالوا ولا نزاع أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم في الارض
 ولم يذكر في موضع واحد أصلا أنه نقله إلى السماء بعد ذلك ولو كان قد نقله بعد
 ذلك إلى السماء لكان هذا أولى بالذكر لأنه من أعظم الآيات ومن أعظم النعم عليه
 فإنه كان معراجا ببدنه وروحه من الارض إلى فوق السموات قالوا وكيف
 ينقله سبحانه ويسكنه فوق السماء وقد أخبر ملائكته أنه جاعله في الارض خليفة
 وكيف يسكنه دار الخلد التي من دخلها خلد فيها ولا يخرج منها قال تعالى «وما هم منها
 بمخرجين» قالوا ولم يكن معنا في المسألة إلا أن الله سبحانه أهبط ابليس من
 السماء حين امتنع من السجود لآدم عليه السلام وهذا أمر تكوين لا يمكن وقوع
 خلافه ثم أدخل آدم عليه السلام الجنة بعد هذا فان الامر بالسجود كان عقب
 خلقه من غير فصل فلو كانت الجنة فوق السموات لم يكن لابليس سبيل إلى صعوده

اليهم وقد أهبط منها وأما تلك التقادير التي قدرتموها فتكافات ظاهرة كقول من
قال يجوز أن يصعد اليهم صعوداً طارفاً لاستقرا وقول من قل أدخلته
الحية وقول من قل دخل في أجوافها وقول من قل يجوز أن تصل وسوسته
اليهما وهو في الأرض وهما فوق السماء ولا يخفى ما في ذلك من التعسف الشديد
والتكافؤ البعيد وهذا بخلاف قولنا فإنه سبحانه لما أهبطه من ملكوت السماء
حيث لم يسجد لآدم عليه السلام أشرب عداوته فلما أسكنه جنته حسده عدوه
وسعى بكيد وغروره في إخراجه منها والله أعلم . قالوا وما يدل على أن جنة
آدم لم تكن جنة الخلد التي وعد المتقون أن الله سبحانه لما خلقه أعلمه أن
لعمره أجلاً ينتهي إليه وأنه لم يخلقه للبقاء كما روي الترمذي في جامعه من حديث
أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لما خلق الله آدم عليه السلام
ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فحمد الله بأذنه فقال ربه يرحمك الله يا آدم
اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملائكتهم فجلس فقال السلام عليكم قالوا وعليك
السلام الخ ثم رجع إلى ربه فقال ان هذه تحببتك وتحببنيك بينهم فقال الله له
ويداد مقبوضتان اختر أيهما شئت . فقال اخترت يمين ربي وكلتا يدي يمين مباركة
ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته فقال يا رب ما هؤلاء ؟ قال هؤلاء ذريتك فإذا كل
السان مكتوب بين عينيه عمره فإذا فيهم رجل ضوؤهم قال يا رب من هذا ؟ قال هذا
بنك داود قد كتبت له عمراً أربعين سنة قال يا رب زده في عمره . قال ذلك الذي كتبت
له قال أي رب فاني قد جعلت له من عمري ستين سنة قال أنت وذلك . قال ثم أسكن
الجنة ما شاء الله ثم أهبط منها فكان آدم عليه السلام يعد لنفسه قال فأنا ملك
الموت فقال له آدم قد عجلت قد كتبت لي ألف سنة قال بلى ولكنك جعلت
لأهلك داود ستين سنة فوجدت ذريته . ونسئ فنسيت ذريته . قال فن يومئذ
أمر بالسؤال والشهود . قال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . وقد
روى من غير وجه عن أبي هريرة قالوا فهذا صريح في أن آدم عليه السلام
لم يخلق في دار البقاء التي لا يموت من دخلها وإنما خلق في دار الفناء التي جعل الله
تعالى فيها أسكنها أجلاً معلوماً وفيها أسكن . « فإن قيل » فإذا كان آدم عليه السلام قد
عجل له عمراً مقدراً وأجلاً ينتهي إليه وأنه ليس من الخالدين فكيف لم يعلم
كذلك في قوله « هل أدلك على شجرة الخلد » وقوله « أو تكونوا من الخالدين »
فالجواب من وجهين (أحدهما) أن الخلد لا يستلزم الدوام والبقاء بل هو المآل

الطويل كإسياتي (الثاني) ان إبليس لما حلف له وغره وأطمعه في الخلود نسي ما قدر له من عمره . قالوا وأيضا فمن المعلوم الذي لا ينزع فيه مسلم أن الله سبحانه خلق آدم عليه السلام من تربة هذه الارض وأخبر أنه خلقه من سلاله من طين وأنه خلقه من صلصال من حمأ مسنون فقل هو الذي له صلصلة ليبسه وقيل هو الذي تغيرت رائحته من قولهم صل اللحم إذا تغير، والحمأ الطين الاسود. المتغير والمسنون المصبوب وهذه كلها أطوار للتراب الذي هو مبدؤه الاول كما أخبر عن أطوار خلق الذرية من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة ولم يخبر سبحانه وتعالى أنه رفعه من الارض إلى فوق السموات لا قبل التخليق ولا بعده فأين الدليل الدال على إصعاد مادته أو إصعاده هو بعد خلقه وهذا ما لا دليل لكم عليه ولا هو لازم من لوازم ما أخبر الله به . قلوا ومن المعلوم أن ما فوق السموات ليس بمكان للطين الارضى المتغير الرائحة الذي قد انتن من تغيره وانما محل هذا الارض التي هي محل المتغيرات الفاسدات وأما ما فوق الافلاك فلا يحقه تغير ولا نتن ولا فساد ولا استحالة فهذا أمر لا يرتاب فيه العقلاء . قلوا وقد قال الله تعالى: «وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ» فأخبر سبحانه أن عطاء جنة الخلد غير مجذوذ قالوا فاذا جمع ما أخبر به سبحانه من أنه خلقه من الارض وجعله خليفة في الارض وان إبليس وسوس اليه في مكانه الذي أسكنه فيه بعد أن أهبطه من السماء بامتناعه من السجود له وانه أخبر ملائكته أنه جاعل في الارض خليفة وأن دار الخلد دار جزاء وثواب على الامتحان والتكاليف وانه لا لغو فيها ولا تأثيم ولا كذاب وأن من دخلها لا يخرج منها ولا يمأس ولا يحزن ولا يخف ولا ينام وأن الله حرمها على الكافرين، وإبليس رأس الكفر فاذا جمع ذلك بعضه إلى بعض وفكر فيه المنصف الذي رفع له علم الدليل فشمع اليه ورأى بنفسه عن حضيض التقليد تبين له الصواب والله الموفق قلوا ولو لم يكن في المسألة الا أن الجنة ليست دار تكليف وقد كلف الله سبحانه الابوين بنهيهما عن الاكل من الشجرة فدل على أنها دار تكليف لا جزاء وخلد: فهذا أيضا بعض ما احتجت به هذه الفرقة على قولها والله أعلم

(الباب الخامس)

(في جواب أرباب هذا القول لا صحاب القول الاول)

قلوا أما قولكم ان قولنا هو الذي فطر الله عليه عباده بحيث لا يعرفون سواه فالمسألة سمعية لا تعرف الا باخبار الرسل ونحن وأنتم انما تلقينا هذا من القرآن لا من

المعقول ولا من الفطرة فلتتبع فيه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ونحن نطالبكم
 بصاحب واحد أو تابع أو أثر صحيح أو حسن بأنها جنة الخلد التي أعدها الله للمؤمنين
 بعينها ولن تجدوا إلى ذلك سبيلا وقد أوجدنا لكم من كلام السلف ما يدل على خلافه
 ولكن لما وردت الجنة مطلقة في هذه القصة ووافقت اسم الجنة التي أعدها الله
 لعباده في ادلائقها وبعض أوصافها فذهب كثير من الاوهام إلى أنها هي بعينها
 فإن أردتم بالفطرة هذا القدر لم يندكم شيئا وإن أردتم أن الله فطر الخلق على ذلك
 كما فطرهم على حسن العدل وقبح الظلم وغير ذلك من الامور الفطرية فدعوى باطلة
 ونحن إذا رجعنا إلى فطرنا لم نجد علمها بذلك كعلمها بوجوب الواجبات واستحالة
 المستحيلات وأما استدلالكم بحديث أبي هريرة رضي الله عنه وقول آدم وهل أخرجكم
 منها الاخطيئة أبيكم فانما يدل على تأخر آدم عليه السلام عن الاستقباح للخطيئة
 التي قد تقدمت منه في دار الدنيا وأنه بسبب تلك الخطيئة حصل له الخروج
 من الجنة كما في اللفظ الآخر اني نهيت عن أكل الشجرة فأتت منها فإني في هذا
 ما يدل على انها جنة المأوى بمطابقة أو تضمن أو استلزام وكذلك قول موسى له
 أخرجتنا ونفسك من الجنة فانه لم يقل له أخرجتنا من جنة الخلد وقولكم انهم
 خرجوا إلى بساتين من جنس الجنة التي في الارض فاسم الجنة وان أطلق على تلك
 البساتين فبينها وبين جنة آدم لا يعلمه إلا الله وهي كالسجن بالنسبة اليها واشتراكها
 في كونها في الارض لا ينفي تفاوتها أعظم تماوت في جميع الاشياء وأما استدلالكم
 بقوله تعالى وقلنا اهبطوا عقيب اخرجهم من الجنة فلفظ اهبطوا لا يستلزم النزول من
 السماء إلى الارض غاية أنه يدل على النزول من مكان عال إلى أسفل منه وهذا غير منكر
 فانها كانت جنة في أعلى الارض فاهبطوا منها إلى الارض وقد بينا ان الأمر كان لآدم
 عليه السلام وزوجه وعدوها فلو كانت الجنة في السماء لما كان عدوها متمكن منها
 بعد اهباطه الاول لما أبى السجود لآدم عليه السلام فالآية أيضا من أظهر الحجج
 عليكم ولا تغني عنكم وجود التعسفات والتكافئات التي قدرتموها وقد تقدمت وأما
 قوله تعالى: «ولكم في الارض مستقر ومتاع إلى حين» فهذا لا يدل على أنهم لم يكونوا
 قبل ذلك في الارض فان الارض اسم جنس وكانوا في أعلاها وأطبيها وأفضلها في
 محل لا يدركهم فيه جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا ضجى فاهبطوا إلى ارض يعرض
 فيها ذلك كله وفيها حياتهم وموتهم وخروجهم من القبور والجنة التي اسكنها
 لم تكن دار نصب ولا تعب ولا اذى والارض التي اهبطوا اليها هي محل التعب

والنصب والاذى وانواع المكاره، وأما قولكم إنه سبحانه وتعالى وصفها بصفات لا تكون في الدنيا، فجوابه أن تلك الصفات لا تكون في الأرض التي اهبطوا إليها فمن أين لكم أنها لا تكون في الأرض التي اهبطوا منها؟ وأما قولكم إن آدم عليه السلام كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية فلو كانت الجنة فيها لعلم كذب الميسر في قوله هل أدلك على شجرة الخلد؟ لجوابه من وجهين (أحدهما) أن اللفظ إنما يدل على الخلد وهو اعم من الدوام الذي لا انقطاع له فانه في اللغة الممتد الضويل وممتد كل شيء بحسبه، ومنه قولهم رجل مخلص إذا أسن وكبر، ومنه قولهم لا تأثافي الصخور خوالد لطول بقائها بعد دروس الاطلال قال

الارمادا هامدا دفعت عنه الرياح خوالد نسجم

ونظير هذا اطلاقهم القديم على ما تقدم عهدوه وان كان له أول كما قال تعالى «كل امرجون القديم» «وإنك لفي ضلالك القديم» «وافك قديم» وقد أضاف تعالى الخلود في النار على عذاب بعض العصاة كقاتل النفس واطلقه النبي صلى الله عليه وسلم على قاتل نفسه (الوجه الثاني) أن العلم بانقطاع الدنيا ويجيء الآخرة إنما يعلم بلوحى ولم يتقدم لآدم عليه الصلاة والسلام نبوة يعلم بها ذلك وهو وإن نبأه الله سبحانه وتعالى وأوحى إليه وأنزل عليه صحفًا كما في حديث أبي ذر لكن هذا بعد اهبطه إلى الأرض بنص القرآن قل تعالى: «اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى» وكذلك في سورة البقرة: «قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى» الآية. وأما قولكم أن الجنة وردت معرفة باللام التي لا عهد فتنصرف إلى جنة الخلد فقد وردت معرفة باللام غير مراد بها جنة الخلد قطعاً كقوله تعالى «أنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصر منها مصجيز» وقولكم أن السياق ما هنالك على أنها جنة في الأرض «قلنا» والأدلة التي ذكرناها دلت على أن جنة آدم عليه السلام في الأرض فلذلك صرنا إلى موجبها إذا تجاوز تعطيل دلالة الدليل الصحيح. وأما استدلالكم بأثر أبي موسى «أن الله أخرج آدم عليه السلام من الجنة وزوده من ثمارها» فليس فيه زيادة على ما دل عليه القرآن ألا تزوده منها وهذا لا يقتضى أن تكون جنة الخلد. وقولكم أن هذه تنفيرونك لا تنغير فمن أين لكم أن الجنة التي أسكنها آدم كن التنغير يعرض لثمارها كما يعرض لهذه الثمار وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لولا بنو إسرائيل لم يخن المحرم» أى لم يخنه ولم يخن وقد بقي الله سبحانه وتعالى

في هذا العالم طعام العزيز وشرابه مائة سنة لم يتغير . وأما قولكم ان الله سبحانه وتعالى ضمن لآدم عليه السلام ان تاب أن يعيده إلى الجنة فلا ريب أن الامر كذلك ولكن ليس يعلم أن الضمان إنما يتناول عوده إلى تلك الجنة بعينها بل إذا أعاده إلى الجنة الخلد فقد وفي سبحانه بضمانه حق الوفاء ، ولفظ العود لا يستلزم الرجوع إلى عين الحالة الأولى ولا زمانها ولا مكانها بل ولا إلى نظيرها كما قال شعيب لقومه «قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا» وقد جعل الله سبحانه المظاهر طائداً بارادته الوطء نائياً أو بنفس الوطء أو بالامساك وكل منها غير الاول لا عينه فهذا ما أجابت به هذه الطائفة لمن نازعها

﴿الباب السادس﴾

(في جواب من زعم أنها جنة الخلد عما احتج به منازعوهم)

(قالوا) اما قولكم ان الله سبحانه أخبر أن جنة الخلد إنما يقع الدخول اليها يوم القيامة ولم يأت زمن دخولها بعد ، فهذا حق في الدخول المطلق الذي هو دخول استقرار ودوام وأما الدخول العارض فيقع قبل يوم القيامة وقد دخل النبي صلى الله عليه وسلم الجنة ليلة الاسراء وأرواح المؤمنين والشهداء في البرزخ في الجنة ، وهذا غير الدخول الذي أخبر الله به في يوم القيامة ، فدخول الخلود إنما يكون يوم القيامة فمن أين لكم أن مطلق الدخول لا يكون في الدنيا وبهذا خرج الجواب عن استدلالكم بكونها دار المقامة ودار الخلد ؟ قالوا أما احتجاجكم بسائر الوجوه التي ذكرتموها في الجنة وأنها لم توجد في جنة آدم عليه السلام من العرى والنصب والحزن واللغو والكذب وغيرها فهذا كله حق لا ننكره نحن ولا أحد من أهل الاسلام ولكن هذا إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة كما يدل عليه سياق الآيات كلها فان نفى ذلك مقرون بدخول المؤمنين إياها وهذا لا ينفي أن يكون فيها بين أبوي الثقلين ما حكاه الله سبحانه وتعالى من ذلك ، ثم يصير الامر عند دخول المؤمنين إياها إلى ما أخبر الله عنها فلا تنافي بين الامرين (وأما) قولكم انها دار جزاء وثواب لادار تكليف وقد كلف الله سبحانه آدم بالنهي عن الاكل من تلك الشجرة فدل على ان تلك الجنة دار تكليف لادار خلود جُوابه من وجهين (أحدهما) أنه إنما تمتنع أن تكون دار تكليف إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة حينئذ ينقطع التكليف (وأما) وقوع التكليف فيها في دار الدنيا فلا دليل على

امتناعه البتة ، كيف وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « دخلت البارحة الجنة فرأيت امرأة تموضاً إلى جانب قصر فقلت لمن أنت » الحديث وغير ممتنع أن يكون فيها من يعمل بامر الله ويعبد الله قبل يوم القيامة بل هذا هو الواقع فان من فيها الآن مؤمنون بأوامر من قبل ربهم لا يتعدونها سواء سمي ذلك تكليفاً أو لم يسم (الوجه الثاني) ان التكليف فيها لم يكن بالأعمال التي يكلف بها الناس في الدنيا من الصيام والصلاة والجهاد ونحوها وإنما كان حجراً عليهما في شجرة واحدة من جملة أشجارها إما واحدة بالعين أو بالنوع وهذا القدر لا يمتنع وقوعه في دار الخلد كما أن كل واحد محجور عليه أن يقرب أهل غيره فيها ، فان أردتم بكونها ليست دار تكليف امتناع وقوع مثل هذا فيها في وقت من الاوقات فلا دليل عليه ، وان أردتم أن تكاليف الدنيا منتفعة عنها فهو حق ولكن لا يدل على مطلوبكم . وأما استدلالكم بنوم آدم فيها والجنة لا ينام أهلها ؛ فهذا ان ثبت النقل بنوم آدم فانما ينفي النوم عن أهلها يوم دخول الخلود حيث لا يموتون وأما قبل ذلك فلا . وأما استدلالكم بقصة وسوسة إبليس له بعد اهبطه واخراجه من السماء فلعمري الله انه لمن أقوى الأدلة وأظهرها على صحة قولكم وتلك التعسفات لدخوله الجنة وصعوده إلى السماء بعد اهبط الله له منها لا يرتضيها منصف ، ولكن لا يمتنع أن يصعد إلى هناك صعوداً عارضاً لتزام الابتلاء والامتحان الذي قدره الله تعالى وقدر أسبابه وان لم يكن ذلك المكان مقعداً له مستقراً كما كان وقد أخبر الله سبحانه عن الشياطين أنهم كانوا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعدون من السماء مقاعد للسمع فيستمعون الشيء من الوحي وهذا صعود إلى هناك ولكنه صعود عارض لا يستقرون في المكان الذي يصعدون اليه مع قوله تعالى « اهبطوا بعضكم لبعض عدو » فلا تنافي بين هذا الصعود وبين الأمر بالهبوط فهذا محتمل والله أعلم . وأما استدلالكم بأن الله سبحانه أعلم آدم عليه السلام بمقدار أجله وما ذكرتم من الحديث وتقرير الدلالة منه ، فجاوبه أن إعلامه بذلك لا ينافي ادخاله الجنة الخلد واسكانه فيها مدة . وأما اخباره سبحانه ان داخلها لا يموت وان لا يخرج منها فهذا يوم القيامة . وأما احتجاجكم بكونه خلق من الارض فلا ريب في ذلك ولكن من أين لكم انه كمل خلقه فيها ، وقد جاء في بعض الآثار « أن الله

سبحانه ألقاه على باب الجنة أربعين صباحاً فجعل إبليس يطوف به ويقول لا مر ما خلقت، فلما رآه أجوف علم أنه خاق لا يتمالك فقال لمن سلطت عليه لا هلكته، ولئن ساط على لا عصيته مع ان قوله سبحانه «وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم باسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والارض» يدل على انه كان معهم في السماء حيث أنبأهم بتلك الاسماء والا فهم لم ينزلوا كلهم إلى الارض حتى سمعوا منه ذلك ولو كان خلقه قد كل في الارض لم يمتنع أن يصعده سبحانه إلى السماء لا مر دبره وقدره ثم يعيده إلى الارض فقد أصدق المسيح صلوات الله عليه إلى السماء ثم ينزله إلى الارض قبل يوم القيامة وقد أسرى بيدن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروحه إلى فوق السموات فهذا جواب القائلين بأنها جنة الخلد لمن أزيهم والله أعلم

الباب السابع

(في ذكر شبهة من زعم ان الجنة لم تخلق بعد)

قالوا لو كانت الجنة مخلوقة الآن لوجب اضطرار أن تقضى يوم القيامة وأن يهلك كل ما فيها ويموت لقوله تعالى: «كل شيء هالك الا وجهه» و«كل نفس ذائقة الموت» فتموت الحور العين التي فيها والولدان وقد أخبر الله سبحانه ان الدار دار خلود ومن فيها مخلدون لا يموتون فيها وخبره سبحانه لا يجوز عليه خلف ولا نسخ قالوا وقد روى الترمذي في جامعه من حديث ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقيت ابراهيم ليلة أسرى بي فقال يا محمد أقرىء أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر» قال هذا حديث حسن غريب وفيه أيضاً من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي صلوات الله عليه أنه قال: «من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة» قال هذا حديث حسن صحيح قالوا فلو كانت الجنة مخلوقة مفروغا منها لم تكن قيعاناً ولم يكن لهذا الغرس معنى قالوا وقد قال تعالى عن امرأة فرعون إنها قالت رب ابني لي عندك بيتاً في الجنة ومحال أن يقول قائل لمن نسج له ثوباً أو بنى له بيتاً أن نسج له ثوباً أو بنى له بيتاً وأصرح من هذا قول النبي صلوات الله عليه: «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة» متفق عليه وهذه جملة مركبة من شرط ومجزأ تقتضي وقوع الجزاء بعد الشرط باع جأ

أهل العربية وهذا ثابت عن النبي ﷺ من رواية عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعمر بن الخطاب قتلوا وقد جاءت آثار بان الملائكة تغرس فيها وتبنى للعبد ما دام يعمل فإذا فتر فتر الملك عن العمل . قتلوا وقد روى ابن حبان في صحيحه والامام أحمد في مسنده من حديث أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قبض الله ولد العبد قل يملك الموت قبضت ولد عبدى، قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده» قال نعم قال في قال: قال حمدك واسترجع قال ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الخلد» وفي المسند من حديثه أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من صلى في يوم وليلة ثلثي عشرة ركعة سوى الفريضة بنى الله له بيتا في الجنة» قتلوا وليس هذا من أقوال أهل البدع والاعتزال كما زعمتم فهذا ابن مزين قد ذكر في تفسيره عن ابن نافع وهو من أئمة السنة أنه سئل عن الجنة مخلوقة هي؟ فقال السكوت عن هذا أفضل والله أعلم

— الباب الثامن —

(في الجواب عما احتجبت به هذه الطائفة)

قد تقدم في الباب الاول من ذكر الادلة الدالة على وجود الجنة الآن وفيه كفاية فنقول ما تعنون بقولكم إن الجنة لم تخلق بعد؛ أتريدون أنها الآن عدم محض لم تدخل إلى الوجود بعد بل هي بمنزلة النفخ في الصور وقيام الناس من القبور؟ فهذا قول باطل يرده المعلوم بالضرورة من الاحاديث الصريحة الصحيحة التي تقدم بعضها وسيأتي بعضها وهذا قول لم يقله أحد من السلف ولا أهل السنة وهو باطل قطعاً . أم تريدون أنها لم تخلق بكما لها، وجميع ما أعد الله فيها لاهاها وانها لا يزال الله يحدث فيها شيئاً بعد شيء وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أموراً آخر فهذا حق لا يمكن رده ، وأدلتكم هذه انما دلت على هذا القدر وحديث ابن مسعود الذي ذكرتموه وحديث أبي الزبير عن جابر صريحان في أن أرضها مخلوقة وأن الذكر ينشئ الله سبحانه لقاءه منه غراساً في تلك الأرض، وكذا بناء البيوت فيها بالاعمال المذكورة والعبد كلما وسع في أعمال البر وسع له في الجنة وكلما عمل خيراً غرس له به هناك غراس وبنى له بناء، وأنشئ له من عمله أنواع مما يتمتع به فهذا القدر لا يدل على أن الجنة لم تخلق بعد ولا يسوغ إطلاق ذلك؛ وإنما احتجناكم بقوله تعالى: « كل شيء هالك إلا وجهه » فانما أتيت من عدم فهمكم معنى الآية واحتجناكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن نظير احتجناكم بها على فناءها

وخرابها وموت أهلها فلا أنتم وفقتم لنفهم معناها ولا اخوانكم وانما وفق لنفهم
 معناها السلف وأئمة الاسلام. ونحن نذكر بعض كلامهم في الآية قال البخاري في
 صحيحه يقال كل شيء هالك إلا وجهه الملائكة ويقال الامأريد به وجهه وقال
 الامام أحمد في رواية ابنه عبد الله فاما السماء والارض فقد زالتا لان أهلها
 صاروا إلى الجنة وإلى النار وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب لانه سقف الجنة والله
 سبحانه وتعالى غايه فلا يهلك ولا يبيد وأما قوله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه
 فذلك أن الله سبحانه وتعالى أنزل «كل من عليها فان» فقالت الملائكة هلك أهل
 الارض وطمعوا في البقاء فاخبر الله تعالى عن أهل السموات وأهل الارض
 أنهم يموتون فقال كل شيء هالك يعني ميت إلا وجهه لانه حي لا يموت فايقت
 الملائكة عند ذلك بالموت انتهى كلامه وقال في رواية أبي العباس أحمد بن جعفر
 ابن يعقوب الاصطخري ذكره أبو الحسين في كتاب الطبقات قال قال أبو عبد
 الله أحمد بن حنبل هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الاثر وأهل السنة المتمسكين
 بعروتها المعروفين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب نبينا ﷺ إلى يومنا هذا
 وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها فن خالف شيئا
 من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائمها فهو مخالف مبتدع خارج عن
 الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق وساق أقوالهم إلى أن قال وقد خلقت
 الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها خلقهما الله عز وجل وخلق الخلق لهما ولا
 يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبدا فان احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل
 (كل شيء هالك إلا وجهه) ونحو هذا من متشابه القرآن قيل له كل شيء مما
 كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك
 وهما من الآخرة لا من الدنيا والخور العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النسخة ولا
 أبدا لان الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت فمن قال خلاف
 هذا فهو مبتدع وقد ضل عن سواء السبيل. وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض
 وسبع ارضين بعضها أسفل من بعض وبين الارض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام
 وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام والماء فوق السماء العليا السابعة وعرش الرحمن
 عز وجل فوق الماء وان الله عز وجل على العرش والكرسي موضع قدميه وهو يعلم
 ما في السموات والارضين السمع وما بينهم وما تحت الثرى وما في قعر البحر ومنبت كل

شجرة وكل زرع وكل نبات ومسقط كل ورقة وعدد كل كلمة وعدد الحصى والتراب
والرمل ومثاقيل الجبال وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وإناسهم ويعلم كل شيء
لا يخفى عليه من ذلك شيء وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب
من نار ونور وظلمة وما هو أعلم بها فإن احتج مبتدع وبخالف بقول الله عز
وجل «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» وقوله «وهو معكم أينما كنتم» وقوله «الاهو
معهم أينما كانوا» وقوله «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو
سادسهم» ونحو هذا من مشابه القرآن فقل إنما يعنى بذلك العلم لأن الله عز وجل
على العرش فوق السماء السابعة العليا يعلم ذلك كله وهو بائن من خلقه لا يخلو من
علمه مكان، وقال في رواية أبي جعفر الطائفي محمد بن عوف بن سفيان الحمصي قال
الحلال حافظ أمم في زمانه معروف بالتقدم في العلم والمعرفة كان أحمد بن حنبل
يعرف له ذلك ويقبل منه ويسأله عن الرجال من أهل بلده قال أملى على أحمد
ابن حنبل فذكر رسالة في السنة ثم قال في أنثائها وإن الجنة والنار مخلوقتان
قد خلقتا كما جاء الخبر قال النبي صلى الله عليه وسلم: «دخلت الجنة فرأيت فيها
قصرا ورأيت الكوثر، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا» فن
زعم أنهما لم يخلقا فهو مكذب برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالقرآن كافر
بالجنة والنار، يستتاب فإن تاب ولاقتل . وقال في رواية عبدوس بن مالك العطار
وذكر رسالة في السنة قال فيها والجنة والنار مخلوقتان قد خاقتا كما جاء
عن رسول الله ﷺ «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا واطلعت
في النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا» فن زعم أنهما لم يخلقا فهو مكذب
بالقرآن وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار
فتأمل هذه الأبواب وما تضمنته من النقول والمباحث والنكت والفوائد التي
لا تطفربها في غير هذا الكتاب البتة ونحن اختصرنا الكلام في ذلك ولو
بسطناه لقام منه سفر ضخيم والله المستعان ودلييه التكلان وهو
الموفق للصواب

— الباب التاسع —

(في ذكر عدد أبواب الجنة)

قال الله تعالى: «وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤوها
وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طيبتم فادخلوها خالدين»

وقال في صفة النار : « حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها » بغير واو فقالت طائفة هذه واو الثمانية دخلت في أبواب الجنة لكونها ثمانية ، وأبواب النار سبعة فلم تدخلها الواو ، وهذا قول ضعيف لا دليل عليه ولا تعرفه العرب ولا أئمة العربية وإنما هو من استنباط بعض المتأخرين ، وقالت طائفة أخرى : الواو زائدة والجواب الفعل الذي بعدها كما هو في الآية الثمانية وهذا أيضاً ضعيف فإن زيادة الواو غير معروف في كلامهم ولا يليق بأفصح الكلام أن يكون فيه حرف زائد لمير معنى ولا فائدة وقالت طائفة ناللة الجواب محذوف وقوله وفتحت أبوابها عطف على قوله جاؤها وهذا اختيار أبي عبيدة والمبرد والزجاج وغيرهم قال المبرد وحذف الجواب أبلغ عند أهل العلم قال أبو الفتح ابن جني : وأصحابنا يدفعون زيادة الواو ولا يحيزونه ويرون أن الجواب محذوف للعلم به . بقي أن يقال فما السر في حذف الجواب في آية أهل الجنة وذكره في آية أهل النار ؟ فيقال هذا أبلغ في الموضعين فإن الملائكة تسوق أهل النار إليها وأبوابها مغلقة حتى إذا وصلوا إليها فتحت في وجوههم فينفجأهم العذاب بغته فحين انتهوا إليها فتحت أبوابها بلا مهلة فإن هذا شأن الجزاء المرتب على الشرط أن يكون عقبيه فانهادار الاهانة والخزي فلم يستأذن لهم في دخولها ويطلب إلى خزنتها أن يكنوهم من الدخول ، وأما الجنة فانها دار الله ودار كرامته ومحل خواصه وأوليائه فاذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم ويستشفعون إليه بأولى العزم من رسله وكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضالهم فيقول أنا لها فيأتني إلى تحت العرش ويخرساجدا لربه فيدعه ما شاء أن يدعه ثم يأذن له في رفع رأسه وأن يسأل حاجته فيشفع إليه سبحانه في فتح أبوابها فيشفعه ويفتحها تعظيماً لخطرها ، وإظهاراً لمنزلة رسوله وكرامته عليه ، وإن مثل هذه الدار التي هي دار ملك الملوك ورب العالمين إنما يدخل إليها بعد تلك الأهوال العظيمة التي أولها من حين عقل العبد في هذه الدار إلى أن انتهى إليها ، وماركبه من الاطباق طبقة بعد طبقة وقاساه من الشدائد شدة بعد شدة حتى أذن الله تعالى لخاتم أنبيائه ورسله وأحب خلقه إليه أن يشفع إليه في فتحها لهم وهذا أبلغ وأعظم في تمام النعمة وحصول الفرح والسرور مما يقدر بخلاف ذلك لئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان الذي يدخله من شاء ، فجنة الله عالية غالية بين الناس وبينها من العقبات والمفاوز والخطار مالا تنال إلا به فمن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني ولهذه الدر فليعد

عنها إلى ما هو أولى به، وقد خلق له وهبىء له، وتأمل ما في سوق الفريقين إلى
 الدارين زمرا من فرحة هؤلاء بأخوانهم وسيرهم معهم كل زمرة على حدة كل مشتركين
 في عمل متصاحبين فيه على زمرتهم وجماعتهم مستبشرين بأقوياء القلوب كما
 كانوا في الدنيا وقت اجتماعهم على الخير، وكذلك يؤنس بعضهم بعضا ويفرح
 بعضهم ببعض، وكذلك أصحاب الدار الأخرى يساقون اليها زمرا بلعن بعضهم
 بعضا ويتأذى بعضهم ببعض وذلك أبلغ في الخزي والفضيحة والهتكة من أن
 يساقوا واحدا واحدا فلا تهمل تدبر قوله زمرا، وقال خزنة أهل الجنة لاهلها
 سلام عليكم فبدؤهم بالسلام المتضمن للسلامة من كل شر ومنزوه أى سلمتم فلا
 يلحقكم بعد اليوم ما تكرهون، ثم قالوا لهم طبتم فادخلوها خالدين، أى سلامتكم
 ودخلوها بطيبيكم فإن الله حرمها إلا على الطيبين فبشروهم بالسلامة والطيب والدخول
 والخلود وأما أهل النار فانهم لما انتهوا إليها على تلك الحال من الهم والغم والحزن
 وفتحت لهم أبوابها وقفوا عليها وزيدوا على ما هم عليه فوبخ خزنتها وتبكيتهم
 لهم بقولهم: «ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء
 يومكم هذا» فاعترفوا وقالوا بلى فبشروهم بدخولها والخلود فيها وانها بنس المئوى
 لهم، وتأمل قول خزنة الجنة لاهلها ادخلوها وقول خزنة النار لاهلها ادخلوا
 أبواب جهنم، تجد تحتها سرا لظيفا ومعنى بديعا لا يخفى على المتأمل وهو انها
 لما كانت دار العقوبة وابوابها افضع شىء واشده حرا وأعظمه غما يستقبل فيها
 الداخل من العذاب ما هو أشد منها ويدنوا من الغم والخزي والحزن والكرب
 بدخول الابواب فقبل ادخلوا أبوابها صغارا لهم واذلالا وخزيا ثم قيل لهم لا
 يقتصر بكم على مجرد دخول الابواب الفظيعة ولكن وراءها الخلود في النار وأما
 الجنة فبى دار الكرامة والمنزل الذى أعده الله لأوليائه فبشروا من أول وهلة
 بالدخول إلى المقاعد والمنازل والخلود فيها وتأمل قوله سبحانه: «جنات عدن
 مفتحة لهم الأبواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب» كيف تجد
 تحتها معنى بديعا وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة
 كما هى وأما النار فاذا دخلها أهلها اغلقت عليهم أبوابها كما قال تعالى: «انها عليهم
 مؤصدة» أى مضبوطة مغلقة ومنه سعى الباب وصيدوا هو «مؤصدة في عمد ممددة»
 قد جعلت العمدة مرساة للابواب من خلفها كالحجر العظيم الذى يجعل خاف الباب

قال مقاتل يعني ابوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح آخر الأبد وأيضاً فإن في تفتيح الابواب لهم إشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتبوءهم في الجنة حيث شاؤوا ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والالطاف من ربهم ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت وأيضاً إشارة إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الابواب كما كانوا يحتاجون إلى ذلك في الدنيا وقد اختلف أهل العربية في الضمير العائد من الصفة على الموصوف في هذه الجملة فقال الكوفيون التقدير مفتحة لهم أبوابها والعرب تعاقب بين الالف واللام والاضافة فيقولون مرتت برجل حسن العين أى عينه ومنه قوله تعالى : «فإن الجحيم هي المأوى» أى مأواه وقال بعض البصريين التقدير مفتحة لهم الابواب منها حذف الضمير وما اتصل به قال وهذا التقدير في العربية أجود من أن يجعل الالف واللام بدلا من الهاء والالف لان معنى الالف واللام ليس من معنى الهاء والالف في شيء لان الهاء والالف اسم والالف واللام دخلتا للتعريف ولا يبدل حرف من اسم ولا ينوب عنه. قالوا وأيضاً لو كانت الالف واللام بدلا من الضمير لوجب أن يكون في «مفتحة» ضمير الجنات ويكون المعنى مفتحة هي ثم ابدل منها الابواب ولو كان كذلك لوجب نصب الابواب لكون مفتحة قد رفع ضمير الفاعل فلا يجوز ان يرفع به اسم آخر لامتناع ارتفاع فاعلين بفعل واحد فلما ارتفع الابواب دل على ان مفتحة خال من ضمير والابواب مرتفعة به وإذا كان في الصفة ضمير تعين نصب الثاني كما تقول مرتت برجل حسن الوجه ولو رفعت الوجه وفوت حسناً لم يجوز فالالف واللام إذا للتعريف ليس الا فلا بد من ضمير يعود على الموصوف الذي هو جنات عدن ولا ضمير في اللفظ فهو محذوف تقديره الابواب منها وغندى ان هذا غير مبطل لقول الكوفيين فانهم لم يريدوا بالبدل الا ان الالف واللام خلف وعوض عن الضمير تغني عنه. واجماع العرب على قولهم حسن الوجه وحسن وجهه شاهد بذلك وقد قالوا ان التنوين بدل من الالف واللام بمعنى انهما لا يجتمعان وكذلك المضاف اليه يكون بدلا من التنوين والتنوين بدل من الاضافة بمعنى التعاقب والتوارد ولا يريدون بقولهم هذا بدل من هذا أن معنى البدل معنى المبدل منه بل قد يكون في كل منهما معنى لا يكون في الآخر فالكوفيون أرادوا ان الالف واللام في الابواب اغنت عن الضمير لو قيل أبوابها وهذا صحيح

فان المقصود الربط بين الصفة والموصوف بأمر يجعلها له لا مستقلة فلما كان الضمير عائداً على الموصوف نفى توهم الاستقلال وكذلك لام التعريف فان كلا من الضمير واللام يعين صاحبه هذا بعين مفسره وهذا يعين مادخل عليه وقد قلوا في زيد نعم الرجل إن الالف واللام اغنت عن الضمير والله أعلم. وقد اعرب الزهخشري هذه الآية اعراباً اعترض عليه فقال جنات عدن معرفة كقوله «جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب» وانتماجها على انها عطف بيان لحسن مأب ومفتحة حال والعامل فيها مافى المتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات، والابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الابواب كقوله ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال، هذا اعرابه فاعترض عليه بان جنات عدن ليس فيها ما يقتضى تعريفها وأما قوله «التي وعد الرحمن عباده» فبدل لصفة وبان جنات عدن لا يسهل أن تكون عطف ببيان لحسن مأب على قوله لان جريان المعرفة على الفكرة عطف ببيان لا قائل به فان القائل قائلان احدهما أنه لا يكون إلا في المعارف كقول البصريين والنائي أنه يكون في المعارف والتكررات بشرط المطابقة كقول الكوفيين وأبى على الفارسي وقوله ان في مفتحة ضمير الجنات فالظاهر خلافه وان الابواب مرتفع به ولا ضمير فيه وقوله ان الابواب بدل اشتمال فبدل الاشتمال قد صرح هو وغيره أنه لا بد فيه من الضمير وان نازعهم فيه آخرون ولكن يجوز أن يكون الضمير مافوظاً به وان يكون مقدرأ وهنا لم يلفظ به فلا بد من تقديره أى الابواب منها فاذا كان التقدير مفتحة لهم هي الابواب منها كان فيه تكثير للاضمار وتقليله أولى . وفي الصحيحين من حديث أبى حازم عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « في الجنة ثمانية أبواب باب منها يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون ». وفي الصحيحين من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أنفق زوجين في شيء من الاشياء في سبيل الله دعى من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان » فقال أبو بكر يا بى أنت وأبى يا رسول الله ما على من دعى من تلك الابواب من ضرورة فيها

يدعى أحد من تلك الابواب كلها؟ فقال نعم وأرجو أن تكون منهم» وفي صحيح مسلم
عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبالغ أو فيسبغ
الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
الافتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» زاد الترمذي بهذا التشهد
(اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين) زاد أبو داود والامام احمد
ثم رفع نظره الى السماء فقال: . وعند الامام أحمد من رواية أنس يرفعه
«من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات أشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية من
أيها شاء دخل» . وعن عتبة بن عبد الله السلمي قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول: «ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث الا
تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل» رواه ابن ماجه وعبد الله بن
احمد عن ابن نمير ثنا اسحق بن سليمان ثنا جرير ابن عثمان عن شريك
ابن شعبة عن عتبة

الباب العاشر

(في ذكر سعة أبوابها)

عن أبي هريرة قال: «وضعت بين يدي رسول الله ﷺ قصعة من ثريد
ولحم فتناول الذراع وكان أحب الشاة اليه فنهش نهشة وقال أنا سيد الناس يوم
القيامة : ثم نهش أخرى وقال أنا سيد الناس يوم القيامة فلما رأى أصحابه لا يسألونه
قال ألا تقولون كيف؟ قالوا كيف يا رسول الله؟ قال يقوم الناس لرب العالمين فيسمعهم
الداعي وينفذهم البصر فذكر حديث الشفاعة بطوله وقال في آخره فأناطق فأتى تحت
العرش فقع سجداً لربي فيقيمني رب العالمين مقاما لم يقمه أحد قبلي ولن يقمه
أحد بعدى فأقول يا رب أمتي أمتي فيقول يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب
عليهم من الباب الايمن وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب، والذي نفس
محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو هجر ومكة»
وفي لفظ «لكي بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصري» متفق على صحته .
وفي لفظ خارج الصحيح باسناده «ان ما بين عبادتي الباب لكما بين مكة وهجر»
وعن خالد بن عمير الجدوي قال: «خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه

ثم قال: أما بعد، فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء، ولم يبق منها الاصابة كصباية الاناء يصطبها صاحبها وانكم منقلبون منها إلى دار لازوال لها فانقلبوا بخير ما بحضرتكم. ولقد ذكر لنا ان مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، فهذا موقوف والذي قبله مرفوع فان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذاكر له كان هذا ما بين باب من أبوابها ولعله الباب الاعظم، وان كان الذاكر ذلك غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقدم على حديث أبي هريرة المتقدم ولكن قد روى الامام احمد في مسنده من طريق حماد بن سلمة قال سمعت الجريري يحدث عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنتم موفون سبعين أمة أتم خيرها وأكرمها على الله وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً وليأتين عليه يوم وله كظيظ» وقد رواه ابن أبي داود أنبأنا اسحاق بن شاهين أنبأنا خالد عن الجريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه يرفعه: «ما بين كل مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة سبع سنين» وروينا في مسند عبد بن حميد أنبأنا الحسن بن موسى أنبأنا ابن لهيعة أنبأنا دراج أبو السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ان ما بين مصراعين في الجنة مسيرة أربعين سنة» وحديث أبي هريرة أصح وهذه النسخة ضعيفة والله أعلم. وروى أبو الشيخ أنبأنا جعفر بن احمد بن فارس أنبأنا يعقوب بن حميد أنبأنا معن حدثنا خالد بن أبي بكر عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الباب الذي يدخل منه أهل الجنة مسيرة الراكب المجذ ثلثاً، ثم انهم ليضططعون عليه حتى تكاد منا كبهم تزول» رواه أبو نعيم عنه وهذا مطابق للحديث المتفق عليه: «ان ما بين المصراعين كما بين مكة وبصرى» فان الراكب المجذ غاية الاجادة على أسرع هجين لا يفتر ليل ولا نهاراً يقطع هذه المسافة في هذا القدر أو قريب منه. وأما حديث حكيم بن معاوية فقد اضطرب رواه خفاف بن سامة ذكر عن الجريري التقدير بأربعين عاماً وخالد ذكر عنه التقدير بسبع سنين أو حديث أبي سعيد المرفوع فيه التقدير بأربعين عاماً على طريقة دراج عن أبي الهيثم. قال الامام احمد: أحاديث دراج منا كبير وقال أبو حاتم الرازي

سميف وقال النسائي ليس بالقوى فالصحيح المرفوع السالم عن الاضطراب
والشدوذ والعلة حديث أبي هريرة المتفق على صحته . على ان حديث حكيم
ابن معاوية ليس التقدير فيه بظاهر الرفع ويحتمل انه مدرج في الحديث موقوف
فيكون كحديث عتبة بن غزوان

﴿الباب الحادى عشر﴾

(فى صفة أبوابها وانها ذات حاق)

روى الوليد بن مسلم عن خليم عن الحسن (مفتحة لهم الابواب) قال
ابواب ترى وذكر ايضا عن خليم عن قتادة قال : أبواب يرى ظاهرها من
باطلها وباطنها من ظاهرها تتكلم وتكلم . وتفهم ما يقال لها ، انفتحت
انغلقت . وقال أبو الشيخ انبأنا محمد بن عبد الله بن محمد القيسي انبأنا
محمد بن اسحق انبأنا احمد بن أبي الحرارى انبأنا عبد الله بن غياث عن
الفرزاري قال : « لكل مؤمن فى الجنة أربعة أبواب فباب يدخل عليه منه زواره
من الملائكة ، وباب يدخل عليه منه ازواجه من الحور العين ، وباب مقفل فيما بينه
وبين أهل النار يفتحه إذا شاء ينظر اليهم لتعظيم النعمة عليه ، وباب فيما بينه
وبين دار السلام يدخل منه على ربه إذا شاء » وقد روى سهيل بن أبى صالح عن
زياد النميرى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أول
من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر » وفى حديث الشفاعة الطويل من رواية
ابن عيينة عن على بن زيد عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(فأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها) وهذا صريح فى أنها حاقة حسية تحرك وتقعقع .
وروى سهيل عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « آخذ بحلقة
باب الجنة فيمرؤنلى » ويذكر عن على رضى الله عنه : « من قال لا إله إلا الله الملك الحق
المبين فى كل يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر ومن وحشة القبر واستجاب
به الغنى واستقرع به باب الجنة »

(فصل — ل)

ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض كانت أبوابها كذلك وباب
الجنة العالية فوق باب الجنة التى تحتها وكلما علت الجنة اتسعت فعالها أوسع مما دونه
وسعة الباب بحسب وسع الجنة ولعل هذا وجه الاختلاف الذى جاء فى مسافة ما بين

مصراتى الباب فان أبوابها بعضها أعلى من بعض. وهذه الامة باب مختص بهم يدخلون منه دون سائر الامم كما فى المسند من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «باب أمتى الذى يدخلون منه الجنة عرض مسيرة الراكب ثلاثاً ثم انهم لم يصفطغظون حتى تكاد منا كبهم تزول» وفيه من حديث أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم «أتانى جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذى تدخل منه أمتى» الحديث وميتا فى بتمامه إن شاء الله تعالى. وقول خاف بن هشام البزار ثمة أبو شهاب عن عمرو بن قيس الملائي عن أبى اسحاق عن عاصم ابن حمزة عن علي بن أبى طالب قال: «إن أبواب الجنة هكذا بعضها فوق بعض ثم قرأ حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها إذا هم عندها بشجرة فى أصلها عينان تجريان فيشربون من إحداها فلا تترك فى بطونهم قذى ولا أذى إلا رمته ويغتسلون من الأخرى فتجرى عليهم نضرة النعيم فلا تشعث رؤسهم ولا تغير أبشارهم بعد هذا أبداً ثم قرأ طبتم فادخلوها خالدين فيدخل الرجل وهو يعرف منزله ويتلقاهم الولدان فيستبشرون برؤيتهم كما يستبشر الأهل بالخير يقدم من الغيبة فينظفون إلى أزواجهم فيخبرونهم بما نلتهم فنقول أنت رأيت؟ فيقوم إلى الباب فيدخل إلى بيته فيتكىء على سريره فينظر إلى أساس بيته فإذا هو قد أسس على اللؤلؤ ثم ينظر فى أخضر وأحمر وأصفر ثم يرفع رأسه إلى سماء بيته ذلولاً أنه خاق له لا التمع (١) بصره فيقول الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله» والله أعلم

﴿الباب الثمانى عشر﴾

(فى ذكر مسافة ما بين الباب والباب)

روينا فى معجم الطبرانى أنبأنا مصعب بن إبراهيم بن حمزة الزبيرى وعبد الله بن الصقر السكرى قالاً أنبأنا إبراهيم ابن المنذر الحرامى ثمة عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن حرام حدثني عبد الرحمن بن عياش الأنصارى حدثنا دهم بن الاسود بن عبد الله بن حاجب بن المنتقى. قال دهم وحدثني أيضاً أبو الاسود عن عاصم ابن لقيط أن لقيط بن عامر خرج وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قلت يا رسول الله فما الجنة والنار؟ قال لعمر الهلك ان للنار سبعة أبواب مامنهن بابان الايسر الراكب بينهما سبعين طاماً وان للجنة ثمانية أبواب مامنهن بابان الايسر

الراكب بينهما سبعين عاماً» وذكر الحديث بطوله وهذا الظاهر منه أن هذه المسافة بين الباب والباب لأن ما بين مكة وبصرى لا يحتمل التقدير بسبعين عاماً ولا يمكن حمله على باب معين لقوله ما منهن بابان والله أعلم

﴿الباب الثالث عشر﴾

(في مكان الجنة وأين هي ؟)

قال الله تعالى : « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى » وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء وتسمى بذلك لأنها ينتهى إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها وما يصعد إليه فيقبض منها وقال تعالى « وفي السماء رزقكم وما توعدون » قال ابن أبي نجيع عن مجاهد هو الجنة وكذلك تلقاه الناس عنه وقد ذكر ابن المنذر في تفسيره وغيره أيضاً عن مجاهد قال هو الجنة والنار وهذا يحتاج إلى تفسير فإن النار في أسفل السافين ليست في السماء ومعنى هذا مقالة في رواية ابن أبي نجيع عنه وقلة أبو صالح عن ابن عباس الخير والشر كلاهما يأتي من السماء وعلى هذا فالمعنى أسباب الجنة والنار بقدر ثابت في السماء من عند الله . وقال الحارث بن أبي أسامة حدثنا عبد العزيز بن أبي أسامة حدثنا مهيدي بن هيمون حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن بشر بن شغاف قال سمعت عبد الله بن سلام يقول : « إن أكرم خليفة الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وإن الجنة في السماء » رواه أبو نعيم عنه قال ورواه معمر بن راشد عن محمد بن أبي يعقوب مرفوعاً ثم ساقه من طريق ابن منيع قال ثنا عمرو والناسد ثنا عمرو بن عثمان ثنا موسى بن أعين عن معمر به مرفوعاً . ثم ساق من طريق محمد بن فضيل ثنا محمد بن عبد الله عن عطية عن ابن عباس أنه قال : « الجنة فوق السماء السابعة ويجعلها الله حيث شاء يوم القيامة . وجهنم في الأرض السابعة » وقال ابن منده ثنا أحمد بن إسحاق قال ثنا أبو أحمد الزبيري ثنا محمد بن عبد الله عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن عبد الله قال : « الجنة في السماء الرابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء ، والنار في الأرض السابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء » وقال مجاهد : « قلت لابن عباس أين الجنة ؟ قال فوق سبع سموات ؟ قلت فإين النار قال تحت سبعة أبحر مطبقة » رواه ابن منده عن أحمد ابن إسحاق عن الزبيري عن إسرائيل عن ابن أبي يحيى عن مجاهد . وأما الأثر

الذي رواه أبو بكر بن أبي شيبة ثنا عيسى بن يونس عن نويرة بن يزيد عن خالد
ابن معدان عن عبد الله بن عمرو قال: « الجنة مطوية معاقلة بقرون الشمس تشرف في
كل عام مرة وإن أرواح المؤمنين في غير كالزراير يتعارفون ويرزقون من ثمر
الجنة » فهذا قديظهر منه التناقض بين أول كلامه وآخره ولا تناقض فيه فإن الجنة
المعلقة بقرون الشمس ما يحده الله سبحانه وتعالى بالكس في كل سنة مرة من
أنواع الثمار والنواكه والنبات جعله الله تعالى مذكراً بملك الجنة وآية دال على ما
كما جعل هذه النار مذكورة بملك وإلا فالجنة التي عرضها السموات والارض
ليست معاقلة بقرون الشمس وهي فوق الشمس وأكبر منها وقد ثبت في الصحيحين
عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: « الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء
والارض » وهذا يدل على أنها في غاية الارتفاع والارتفاع والله أعلم. والحديث لثلاثين
هذا أحدهما الثاني « إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض
أعدها الله للمجاهدين في سبيله » وشيخنا يرجح هذا اللفظ وهو لا ينبغي أن
يكون درج الجنة أكثر من ذلك ونظير هذا قوله في الحديث الصحيح « إن لله تسعة
وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » أي من جملة أسمائه هذا القدر فيكون
الكلام جملة واحدة في الموضوعين ويدل على صحة هذا أن منزلة نبينا صلى الله عليه
وسلم فوق هذا كله في درجة في الجنة ليس فوقها درجة وتلك المائة ينالها آحاد
أمتة بالجهاد والجنة مقبلة أعلاها وأوسعها ووسطها هو الزردوس وسقفه العرش
كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: « إذا سألت الله فاسأله الزردوس
فانه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفرج أبواب الجنة » قال شيخنا
أبو الحجاج المزي والصاب رواية من رواه وفوقه بضم القاف على أنه اسم
لا ظرف أي وسقفه عرش الرحمن « ذن قيل » فالجنة جميعها تحت العرش والعرش
سقفها فإن الكرسي وسع السموات والارض والعرش أكبر منه « قيل » لما كان
العرش أقرب إلى الفردوس مما دونه من الجنات بحيث لا الجنة فوقه دون
العرش كان سقفها له دون ماتحته من الجنات ولعظم سعة الجنة وغاية ارتفاعها
يكون الصعود من أدناها إلى أعلاها بالتدريج شيئاً فشيئاً درجة فوق درجة
كما يقال لقارئ القرآن اقرأ وارق فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها، وهذا
يحتمل شيئين أن تكون منزلته عند آخر حفظه وأن تكون عند آخر تلاوته
لحفظه والله أعلم

--- الباب الرابع عشر ---

(في مفتاح الجنة)

قال الحسن بن عرفة ثنا اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسن عن ثمر بن حوشب عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله» رواه الإمام أحمد في مسنده ولفظه «مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله» وذكر البخاري في صحيحه عن وهب ابن منبه أنه قيل له أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال بلى، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح» وروى أبو نعيم من حديث أبان عن أنس قال قال أعرابي: «يا رسول الله ما مفتاح الجنة؟ قال لا إله إلا الله» وذكر أبو الشيخ من حديث الأعمش عن مجاهد عن يزيد بن سحيرة قال: «إن السيوف من أنبياء الجنة» وفي المسند من حديث معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟ قلت بلى، قال لا حول ولا قوة إلا بالله» وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوب مفتاحا يفتح به فجعل مفتاح الصلاة الطهور كما قال ﷺ «مفتاح الصلاة الطهور» ومفتاح الحج الاحرام ومفتاح البر الصدق ومفتاح الجنة التوحيد، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الاصغاء، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر، ومفتاح الولاية المحبة والذكر، ومفتاح الفلاح التقوى، ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة ومفتاح الاجابة الدعاء، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا، ومفتاح الايمان التفكير فيما دعا الله عباده إلى التفكير فيه، ومفتاح الدخول على الله اسلام القلب وسلامته له والاخلاص له في الحب والبغض والفعل والترك، ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالاسحار وترك الذنوب، ومفتاح حصول الرحمة الاحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبده، ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى، ومفتاح العز طاعة الله ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الامل، ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الامل. وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر لا يوفق لمعرفة ومراعاته الا من عظم حظه وتوفيقه فان الله سبحانه وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحا وباباً يدخل منه اليه كما جعل

الشرك والكبر والاعراض عما بعث الله به رسوله ، والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحاً للنار، وكما جعل الحر مفتاح كل اثم، وجعل الغنى مفتاح الزنا، وجعل اطلاق النظر في الصور مفتاح الطيب والعشق، وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان، وجعل المعاصي مفتاح الكفر، وجعل الكذب مفتاح النفاق وجعل الشح والحرص مفتاح البخل وقطيعة الرحم وأخذ المال من غير حله، وجعل الاعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة، وهذه الامور لا يصدق بها الا كل من له بصيرة صحيحة وعقل يعرف به ما في نفسه وما في الوجود من الخير والشر فينبغي للعبد أن يعتنى كل الاعتناء بمعرفة المناسبات وما جعلت المناسبات له والله من وراء توفيقه وعدله له الملك وله الحمد وله النعمة والتفضل لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

(الباب الخامس عشر)

(في توقيع الجنة ومنشورها الذي يوقع به لاصحابها عند الموت وعند دخولها) قال تعالى: « كلاً ان كتاب الابرار في لميين، وما أدراك ما علمون؟ كتاب مرقوم يشهده المقربون » فاخبر تعالى ان كتابهم مرقوم تحقيقاً ليكون له مكتوباً كتابة حقيقة وخص تعالى كتاب الابرار انه يكتب ويوقع لهم به مشهد المقربين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار تنويعاً بكتاب الابرار وما وقع لهم به، واشهارا له واظهاراً بين خواص خلقه كما يكتب الملوك توقيع من تعظمه بين الامراء وخواص أهل المملكة تنويعاً باسم المكتوب له واشادة بذكره، وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على عبده، وروى الامام أحمد في مسنده وابن حبان وأبو عوانة الاسنرياني في صحيحيهما من حديث المنهال عن زاذان عن البراء بن عازب قال: « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة خاس رسون الله صلى الله عليه وسلم على القبر وجلسنا حوله كأن على رؤسنا الطير وهو ياحمده، فقال أعوذ بالله من عذاب القبر ثلاث مرات ثم قال ان المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطع من الدنيا نزلت اليه الملائكة كأن على وجوههم الشمس مع كل واحد منهم حنوط وكنن فجلسوا منه مد بصره ثم يحىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها

في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط ويخرج
 منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال فيصعدون بها فلا يمرون
 بها يعني على ملائكة من الملائكة إلا قتلوا ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون فلان
 ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء
 الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم ويشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي
 تليها حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل فيقول الله عز وجل
 اكتبوا كتاب عبدى في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم
 ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه
 فيقولان له من ربك؟ فيقول ربى الله، فيقولان له ما دينك؟ فيقول دينى الإسلام
 فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول هو رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فيقولان له وما علمك؟ فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، قال
 فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة والبسوه من الجنة
 وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد
 بصره، قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر
 بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعده، فيقول له من أنت فوجهك الوجه
 الذى يحبى بالخير؟ فيقول أنا عمالك الصالح، فيقول رب اقم الساعة، رب اقم
 الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى، قال وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من
 الآخرة وإقبال على الدنيا نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم
 المسوح فيجلسون منه مد البصر، ثم يحبى ملك الموت حتى يجلس عند رأسه
 فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب، قال فتفرق فى
 جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها
 لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ويخرج منها كأتين
 ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملائكة من
 الملائكة إلا قتلوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان باقبح أسمائه
 التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهى إلى سباء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح
 له، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون
 الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه فى سبعين
 فى الأرض السفلى وتطرح روحه طرحا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق) فتعد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجاسانه فيقولان له من ربك؟ فيقول هاه هاه!! لا أدري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هاه هاه، لا أدري. فينادى مناد من السماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول له ابشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول من أنت فوجهك ألوجه الذي يحبني بالشر؟ فيقول أنا عمالك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة» ورواه أبو داود بطوله بنحوه فهذا التوقيع والمنشور الأول

﴿فصل وأما المنشور الثاني﴾

فقال الطبراني في معجمه: حدثنا اسحاق بن ابراهيم الديري عن عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة أحد الا بحواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية» وأخبرنا سليمان بن حمزة الحاكم أنبأنا محمد بن عبد الواحد المقدسي أنبأنا زاهر النقي أن عبد السلام بن محمد بن عبد الله أخبرهم أنبأنا المطهر بن عبد الواحد البراق حدثنا محمد بن اسحاق بن منده أنبأنا محمد بن علي البلخي حدثنا محمد ابن حسام حدثنا العباس بن زياد ثقة ثنا سعدان بن سعيد ثنا سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يعطى المؤمن جوازا على الصراط بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان ابن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية» قلت وقع المؤمن في قبضة أصحاب اليمن يوم القبضتين ثم كتب من أهل الجنة يوم نفخ الروح فيه ثم يكتب في ديوان أهل الجنة يوم موته ثم يعطى هذا المنشور يوم القيامة قاله المستعان .

﴿الباب السادس عشر﴾

(في توحيد طريق الجنة وأنه ليس لها الا طريق واحد)

هذا مما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم (وأما)

طرق الجحيم فأكثروا أن تحصي ولهذا يوجد سبحانه سبيله ويجمع سبل النار كقوله
 تعالى: «وأن هذا صراط مستقيم فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله»
 وقال: «وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر» أي ومن السبيل جائز عن القصد وهي سبيل
 النبي وقال: «هذا صراط على مستقيم» وقال ابن مسعود: «خط لنا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم خطاً وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره ثم
 قال هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ وأن هذا صراط على
 مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل» الآية فان قيل فقد قال الله تعالى: «قد جاءكم
 من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام» قيل هي
 سبيل تجمع في سبيل واحد وهي بمنزلة الجواد والطرق في الطريق الأعظم فهذه
 هي شعب الإيمان يجمعها الإيمان وهو شعبة كما يجمع ساق الشجرة أغصانها وشعبها
 وهذه السبل هي إجابة داعي الله بتصديق خبره وطاعة أمره وطريق الجنة هي إجابة
 الداعي إليها ليس إلا وقد روى البخاري في صحيحه عن جابر قال: «جاءت ملائكة
 إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم أنه نائم وقد بعضهم العين نائمة والقلب يقظان
 فقالوا إن لصاحبكم هذا مثلاً فضر بواله مثلاً فقالوا مثله مثل رجل بنى داراً وجعل
 فيها مأدبة وبعث داعياً فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن
 لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها له يفقهها فقال
 بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان الدار الجنة والداعي محمد فمن أطاع محمداً
 فقد أطاع الله ومن عصى محمداً فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس» ورواه
 الترمذي عنه ولمنظمه «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال إني
 رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي يقول أأخذها لصاحبه
 اضرب له مثلاً فقال اسمع سمعت أذنك وعاقل عقل قلبك إنما مثلك ومثل
 أمتك كمثل ملك اتخذ داراً ثم بنى فيها بيتاً ثم جعل مأدبة ثم بعث رسولاً يدعو
 الناس إلى طعامه ففهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه فالله هو الملك والدار الإسلام
 والبيت الجنة وأنت يا محمد الرسول فمن أجابك دخل الإسلام ومن دخل الإسلام دخل
 الجنة ومن دخل الجنة أكل ما فيها» وصحح الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود قال
 «صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء ثم انصرف فاخذ بيدي حتى خرجني
 إلى بطحاء مكة فجلسني ثم خط على خطا ثم قال لا تبرحن خطك فإنه سينتهي
 إليك رجال فلا تسكهم فانهم لا يكلمونك ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم

حيث أراد فبينما أنا جالس في خطي إذ أتاني رجال كأنهم الزط أشعارهم وأجسامهم لا أرى عورة ولا أرى بشراً وينتمون إلى لا يحاذون الخط ثم يصدرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان آخر الليل (١) لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءني وأنا جالس فقال لقد رأيته منذ ليلة ثم دخل علي في خطي فتوسد نخذي فرقد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرقد نفخ فبينما أنا قاعد ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوسد نخذي إذا برجال عليهم ثياب بيض الله أعلم ما بهم من الجمال فانتهموا إلى مجلس طائفة منهم عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة منهم عند رجله ثم قالوا ما رأيينا عبداً قد أوقى مثل ما أوقى هذا النبي إن عينيه تنامان وقلبه يقظان اضر بواله مثلاً، مثل سيد بني قصراً ثم جعل مأدبة فعدا الناس إلى طعامه وشربه فن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه ومن لم يحبه عاقبه أو قال عذبه ثم ارتفعوا واستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فقال سمعت ما قال هؤلاء؟ وهل تدري من؟ قلت الله ورسوله أعلم قال هم الملائكة فتدري ما المثل الذي ضربوه؟ قلت الله ورسوله أعلم قال الرحمن بنى الجنة وعبادها إليها عباده فن أجابه دخل الجنة ومن لم يحبه عذبه»

— الباب السابع عشر —

(في درجات الجنة)

قال تعالى: «لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة، وكلا وعد الله الحسنى، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً» ذكر ابن جرير عن هشام ابن حسان عن جبلة بن عتيبة عن ابن محرز قال: «فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه قال هي سبعون درجة ما بين الدرجتين عدو الفرس الجواد المضر سبعين عاماً» وقال ابن المبارك أنبأنا سامة بن نبيط عن أنس حاك في قوله تعالى (لهم درجات عند ربهم قال بعضهم أفضل من بعض فيرى الذي قد فضل به فضله ولا يرى الذي هو أسفل منه أنه فضل عليه أحد من الناس وتأمل قوله كيف أوقع التفضيل أولاً بدرجة ثم أوقعه ثانياً بدرجات

(١) من قوله لتأت الخ كذا في النسخ ولعل في الحديث تحريفاً فلا يرجع . ع

فقليل الاول بين القاعد المعذور والمجاهد والثاني بين القاعد بلا عذر والمجاهد وقال تعالى : « أفئن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون » وقال تعالى : « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله ، وجات قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حتماً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » وفي الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء ابن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر من الافق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم » قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يباغها غيرهم ؟ قال بلى ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » ولنظ البخري في الافق وهو أبين والغابر هو الذهب الماضي الذي قد تدلى للغروب ، وفي التمثيل به دون الكوكب المسامت للرأس وهو أعلى فأتدنان ، (احداهما) بعده عن العميون (والثانية) أن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض وان لم تسامت العليا السفلى كلبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله والله أعلم . وفي الصحيحين أيضاً من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف في الجنة كما ترون الكوكب في أفق السماء » . وقال الإمام أحمد حدثنا فرات اخبرني فليح عن هلال يعني ابن علي عن عطاء عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان أهل الجنة ليتراءون في الجنة كما تراءون أو ترون الكوكب الدري الغابر في الافق الطالع في تفاضل الدرجات » قالوا يا رسول الله أولئك النبيون ؟ قال بلى والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » ورجال هذا الاسناد احتج بهم البخاري في صحيحه وفي هذا الحديث الغابر وفي حديث أبي سعيد الخدري الغابر ، وقوله الطالع صفة للكوكب وصفه بكونه غارباً وبكونه طالعا وقد صرح بهذا المعنى في الحديث الذي رواه ابن المبارك عن فليح بن سليمان عن هلال ابن علي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان أهل الجنة ليتراءون في الغرف كما يرى الكوكب الشرقي والكوكب الغربي في الافق في تفاضل الدرجات » قالوا يا رسول الله أولئك النبيون ؟ قال بلى ، والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله

وصدقوا المرسلين» وهذا على شرط البخارى أيضاً . وفى المسند من حديث أبى
 سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان المتحابين لترى
 غرفهم فى الجنة كالكوكب الطالع الشرقى أو الغربى فيقال من هؤلاء؟ فيقال
 هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل » . وفى المسند من حديث أبى سعيد الخدرى
 أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان فى الجنة مائة درجة ولو أن العالمين
 اجتمعوا فى إحداهن وسعتهم » وفى المسند عنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال : « يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل
 آية درجة حتى يقرأ آخر شئ معه » وهذا صريح فى أن درج الجنة تزيد على
 مائة درجة ، وأما حديث أبى هريرة الذى رواه البخارى فى صحيحه عن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال : « ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى
 سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والارض ، فإذا سألتهم الله فأسألوه الفردوس
 فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تخرج أنهار الجنة » فأما أن
 تكون هذه المائة من جملة الدرج وإما أن تكون نهايتها هذه المائة وفى ضمن
 كل درجة درجة دونها ، ويدل على المعنى الاول حديث زيد بن أسلم عن عطاء
 ابن يسار عن معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 : « من صلى هؤلاء الصلوات الخمس وصام شهر رمضان كان حقاً على الله أن يغفر له
 هاجر أو تعد حيث ولدته أمه ، قلت يا رسول الله ألا أخرج فأؤذن الناس؟ قال
 لا ، بذر الناس يعملون وإن فى الجنة مائة درجة بين كل درجتين منها مثل ما بين
 السماء والارض ، وأعلى درجة منها الفردوس وعليها يكون العرش وهى أو وسط
 شئ فى الجنة ومنها تخرج أنهار الجنة ، وإذا سألتهم الله فأسألوه الفردوس » رواه
 الترمذى هكذا بلفظه وروى أيضاً من حديث عطاء بن عباد بن الصامت أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان فى الجنة مائة درجة » ثم ذكر نحو
 حديث معاذ وفيه أيضاً من حديث عطاء عن أبى هريرة قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : « فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة
 عام » قال هذا حديث حسن غريب . وفيه أيضاً من حديث أبى سعيد يرفعه
 « ان فى الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا فى إحداهن لو سعتهم » ورواه أحمد
 بدنو لفظه فى كما تقدم وقد رويت هذه الأحاديث بلفظة فى وبدونها وإن كان

المحفوظ ثبوتها فهي من جملة درجها، وإن كان المحفوظ سقوطها فهي الدرج
الكبار المتضمنة للدرج الصغار والله أعلم. ولا تناقض بين تقدير ما بين
الدرجتين بالمائة وتقديره بالخمسة لاختلاف السير في السرعة والبطء والنبي
صلى الله عليه وسلم ذكر هذا تقريباً للإفهام ويدل عليه حديث زيد بن حبان
حدثنا عبد الرحمن بن شريح حدثني أبو هانيء التميمي سمعت أبا علي التميمي
سمعت أبا سعيد الخدري يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
: «مائة درجة في الجنة ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض، أو بعد ما بين السماء
والأرض، قلت يا رسول الله لمن؟ قال للمجاهدين في سبيل الله»

❦ الباب الثامن عشر ❦

(في ذكر أعلى درجاتها واسم تلك الدرجة)

روى مسلم في صحيحه من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبي ^{صلى الله عليه وسلم} يقول : «إذا
سمعتهم المؤذن يقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة واحدة
صلى الله عليه عشر أثم سلوا إلى الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله
وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل إلى الوسيلة حلت عليه شفاعتي» وقال أحمد
أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا سفيان عن ليث عن كعب عن أبي هريرة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : «إذا صليتم فسلوا الله إلى الوسيلة قيل يا رسول الله
وما الوسيلة؟ قال أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا
هو» هكذا الرواية (أن أكون أنا هو) ووجهها أن تكون الجملة خبراً عن اسم كان
المستتر فيها ولا يكون أنا فصلاً ولا توكيداً بل مبتدأ. وفي الصحيحين من
حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من قال حين يسمع النداء
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة
الرفيعة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، الأحاط له الشفاعاة يوم القيامة» .
هكذا لفظ الحديث «مقاماً» بالتنكير ليوافق لفظ الآية ولأنه لما تعين وانحصر
نوعه في شخصه جرى مجرى المعرفة فوصف بما توصف به المعارف وهذا
ألطف من جعل الذي وعدته بدلاً فتأمل. وفي المسند من حديث عمار بن غزيرة
عن مرسى بن وردان عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: «الوسيلة درجة عند الله عز وجل ليس فوقها درجة فسلوا الله لي الوسيلة» وذكره ابن أبي الدنيا وقال فيه «درجة في الجنة ليس في الجنة درجة أعلى منها فسلوا الله أن يؤتمنهم على رؤوس الخلائق» وقال أبو نعيم أنبأنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن عمرو بن مسلم الخلال حدثنا عبد الله بن عمران العابدی حدثنا فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله والله أنك لأحب إلى من نفسي وإنك لأحب إلى من أهلي وأحب إلى من ولدي وإنى لا أكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإنى إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل جبريل بهذه الآية (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)» قال الحافظ أبو عبد الله المقدسى لا أعلم بأسناد هذا الحديث بأسا. وسُميت درجة النبي صلى الله عليه وسلم الوسيلة لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن وهي أقرب الدرجات إلى الله وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القرب وهي فعيلة من وسل إليه إذا تقرب إليه قال لبيد: * بلى كل ذي رأى إلى الله واسل * ومعنى الوسيلة من الوصلة ولهذا كانت أفضل الجنة. أشرفها، وأعظمها نورا. وقال صالح بن عبد الكريم قال لنا فضيل بن عياض أتدرون لم حسنت الجنة؟ لأن عرش رب العالمين سقمها. وقال الحكم ابن أبان عن عكرمة عن ابن عباس: «نور سقف مساكنكم نور عرشه» وقال بكر عن أشعث عن الحسن: «أنما سميت عدن لأن فوقها العرش ومنها تنجر أنهار الجنة وللحور العذرية الفضل على سائر الحور والقربى والزلفى واحد، وإن كان في الوسيلة معنى التقرب إليه بأنواع الوسائل» وقال الكاكي: «اطلبوا إليه القربة بالأعمال الصالحة» وقد كشف سبحانه عن هذا المعنى كل الكشف بقوله: «أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب» فقوله أيهم أقرب هو تفسير للوسيلة التي يبتغيها هؤلاء الذين يدعونهم المشركون من دون الله فيتمنوا فسوف في القرب منه ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق عبودية لربه وأعظمهم به وأشدهم له خشية وأعظمهم له محبة كانت منزلته أقرب المنازل إلى

الله وهي أعلى درجة في الجنة وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته أن يسألوها
 له لينالوا بهذا الدعاء زلفى من الله وزيادة الايمان وأيضاً فإن الله سبحانه قد رها
 له بأسباب (منها) دعاء أمته له بها بما نالوه على يده من الايمان والهدى صلوات الله
 وسلامه عليه . وقوله: «حات عليه يروى عليه» و«له» فن رواه باللام فعناه حصلت
 له ومن رواه بعلى فعناه وقعت عليه شفاعتى والله أعلم

الباب التاسع عشر

(فى عرض الرب تعالى سلعته الجنة على عباده ونعمتها الذى طلبه منهم وعقد التبائع
 الذى وقع بين المؤمنين وبين ربهم)

قال تعالى: «ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون
 فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن
 أوفى بعهده من الله؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم»
 فجعل سبحانه هاهنا الجنة ثمناً لنفوس المؤمنين وأموالهم بحيث اذا بذلوا
 فيه استحقوا الثمن وعقد معهم هذا العقد وأكده بانواع من التأكيد (أحدها)
 اخبارهم سبحانه وتعالى بصيغة الخبر المؤكد باداة ان (اثنان) الاخبار بذلك
 بصيغة المرضى الذى قد وقع وثبت واستقر (الثالث) اضافة هذا العقد الى نفسه
 سبحانه وأنه هو الذى اشترى هذا المبيع (الرابع) أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا
 الثمن وعداً لا يخلفه ولا يتركه (الخامس) أنه أتى بصيغة على التى للوجوب اعلاماً
 لعباده بأن ذلك حق عليه أحقّه هو على نفسه (السادس) أنه أكد ذلك بكونه
 حتماً عليه (السابع) أنه أخبر عن محل هذا الوعد وأنه فى أفضل كتيبه المنزل من السماء
 وفى التوراة والانجيل والقرآن (الثامن) اعلامه لعباده بصيغة استفهام الانكار
 وأنه لا أحد أوفى بعهده منه سبحانه (التاسع) أنه سبحانه وتعالى أمرهم أن
 يستبشروا بهذا العقد ويبشروا به بعضهم بعضاً بشارة من قد تم له العقد ولزم
 بحيث لا يثبت فيه خيار ولا يعرض له ما يفسخه (العاشر) أنه أخبرهم إخباراً
 مؤكداً بأن ذلك المبيع الذى بايعوه به هو الفوز العظيم والمبيع ههنا بمعنى المبيع
 الذى أخذوه بهذا الثمن وهو الجنة وقوله بايعتم به أى علوَضتم ونامنتم به ثم
 ذكر سبحانه انه قد وقع العقد الذى وعد لهم دون غيرهم وهم التائبون

مما يكرهه العابدون له بما يحب، الحامدون له على ما يحبون وما يكرهون، السائحون وفسرت السياحة بالصيام وفسرت بالسفر في طاب العلم وفسرت بالجهاد وفسرت بدوام الطاعة، والتحقق فيها أنها سياحة القلب في ذكر الله ومحبة والاناة اليه والشوق الى لقائه ويترب عليها كل ما ذكر من الافعال ولذلك وصف الله سبحانه نساء النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي لو طاق أزواجه بدله بهن بأنهن سائحات وليست سياحتهن جهادا ولا سفراً في طاب علم ولا إقامة صيام، وانما هي سياحة قلوبهن في محبة الله تعالى وخشيته والاناة اليه وذكره . وتأمل كيف جعل الله سبحانه التوبة والعبادة قرينتين هذه ترك ما يكره وهذه فعل ما يحب، والحمد والسياحة قرينتين هذا الثناء عليه باوصاف كماله، وسياحة اللسان في أفضل ذكره وهذه سياحة القلب في حبه وذكره واجلاله، كما جعل سبحانه العبادة والسياحة قرينتين في صفة الأزواج فهذه عبادة البدن وهذه عبادة القلب وجعل الاسلام والايمان قرينين فهذا علانية وهذا في القلب كما في المسند عنه صلى الله عليه وسلم « الاسلام علانية ، والايمان في القلب » وجعل القنوت والتوبة قرينين هذا فعل ما يحب وهذا ترك ما يكره ، وجعل التوبة والبركة قرينتين فهذه قد وطئت وارتاضت وذلت صعوبتها . وهذه روضة نف لم يرتع فيها بعد ، وجعل الركوع والسجود قرينين وجعل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قرينين وأدخل بينهما الواو دون متقدم إعلاما بأن أحدهما لا ياتي حتى يكون مع الآخر ، وجعل ذلك قريناً لحفظ حدوده فهذا حفظها في نفس الانسان وذلك أمر غيره بحفظها . وأفهمت الآية خطر النفس الانسانية وشرفها وعظم مقدارها فان السلعة إذا خفي عليك قدرها فانظر إلى المشتري لها من هو ، ونظر إلى الثمن المبذول فيها ما هو ؟ وانظر إلى من جرى على يده عقد التبايع فالسلعة النفس والله سبحانه المشتري لها ، والثمن لها جنات النعيم والسفر في هذا العقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه .

قد هيؤك لأمر لو فطنت له فاربأ بمسبك أن ترعى مع الهمل
وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة قل قل رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية : ألا إن
(م-٥- حادي الارواح)

مسألة الله الجنة قال هذا حديث حسن غريب ، وفي كتاب صفة الجنة لابي
 نعيم من حديث ابان عن أنس قال : « جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال ما تمن الجنة؟ قال لا إله إلا الله » وشواهد هذا الحديث كثيرة جداً .
 وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة « أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة . فقال تعبد
 الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان
 قل والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه ، فلما ولى قال
 من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا » وفي صحيح مسلم
 عن جابر قال : « أتى النعمان بن قوقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 يا رسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبة وحرمت الحرام وأحلت الحلال أدخل
 الجنة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم » وفي صحيح مسلم عن عثمان بن عفان
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل
 الجنة » وفي سنن أبي داود عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : « سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة »
 وفي الصحيحين عن أبي ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 : « أتاني آت من ربي فأخبرني أو قال فبشرني انه من مات من أمتك لا يشرك
 شيئاً دخل الجنة ، قلت وان زني وان سرق ؟ قال وان زني وان سرق . » وفي
 صحيحين من حديث عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 : « من قل أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله
 وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق
 وأن النار حق أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء » وفي لفظ « أدخله الله
 الجنة على ما كان من عمل » وفي صحيح مسلم « أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أعطى أبا هريرة نعيه فقال اذهب بنعي هاتين فن لقيت من وراء هذا
 الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستقيماً بها قلبه فبشره بالجنة . » وقال روح
 ابن عبادة عن حبيب بن الشهيد عن الحسن قال : « تمن الجنة لا إله إلا الله . »
 وروى أبو نعيم من حديث أبي الزبير عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول : « لا يدخل أحداً منكم الجنة عمله ولا يجيره من النار ولا أنا

إلا بتوحيد الله تعالى» واسناده على شرط مسلم وأصل الحديث في الصحيح

﴿فصل﴾

وههنا أمر يجب التفهيم عليه وهو أن الجنة إنما تدخل برحمة الله تعالى وليس عمل العبد مستقلاً بدخولها وإن كان سبباً ولهذا أثبت الله تعالى دخولها بالأعمال في قوله بما كنتم تعملون، ونفى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخولها بالأعمال بقوله «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله» ولا تنافي بين الأمرين لوجهين (أحدهما) ما ذكره سنن ابن أبي شيبة وغيره قال كانوا يقولون النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة برحمته. واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال وبديل على هذا حديث أبي هريرة الذي سيأتي إن شاء الله تعالى أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، رواه الترمذي (والثاني) أن الباء التي نعت الدخول هي باء المعاوضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر والباء التي أثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره وإن لم يكن مستقلاً بمحصوله وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين الأمرين بقوله «سودوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أن أحدا منكم لن ينجو بعمله، قلوبوا ولا أنت يا رسول الله. قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته» ومن عرف الله تعالى وشهده وشهد حقه عليه وشهده تقصيره وذنبه وأبصر هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وجزم به والله سبحانه وتعالى المستعان

﴿الباب العشرون﴾

(في طلب أهل الجنة لها من ربهم وظلها لهم وشفاعتها فيهم إلى ربها عز وجل) قال الله تعالى حكاية عن أولى الالباب من عباده قولهم: «ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا. ربنا فاعف لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار. ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخاف الميعاد» والمعنى وآتانا ما وعدتنا على السنة رسلك من دخول الجنة. وقلت طائفة

معناه وآتناما وعدتنا على الايمان برسلك وليس بسهل حذف الاسم والحرف معاً
إلا أن يقدر على تصديق رسلك وطاعة رسلك وحينئذ فية تكافؤ التقديران، ويرجع
الاول بانه قد تقدم قولهم ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم
فآمنّا وهذا صريح في الايمان بالرسول والمرسل ثم توسلوا اليه بأيمانهم أن يؤتيهم
ما وعدهم على ألسنة الرسل فانهم إنما سمعوا بوعدهم لهم بذلك من الرسل وذلك
أيضاً يتضمن التصديق بهم وانهم بلغوهم وعده فصدقوا به، وسألوه أن يؤتيهم
إياه. وهذا هو الذي ذكره الساف والخلف في الآية. وقيل المعنى آتناما وعدتنا من النصر
والظفر على ألسنة الرسل. والاول أعم وأكمل (وتأمل) كيف تضمن ايمانهم به
الايمان بامرهم ونهيهم ورسوله ووعده ووعيده وأسماؤه وصفاته وأفعاله وصدق وعده
والخوف من وعيده واستجابتهم لأمره. فبمجموع ذلك صاروا مؤمنين بربهم
فبذلك صح لهم التوسل إلى سؤال ما وعدهم به والنجاة من عذابه. وقد أشكل
على بعض الناس سؤالهم أن ينجز لهم وعده مع أنه فاعل لذلك ولا بد. وأجاب
بأن هذا تعبد محض كقوله «رب احكم بالحق» وقول الملائكة «فاغفر للذين تابوا
واتبعوا سبيلك» وخفي على هؤلاء أن الوعد معلق بشروط منها الرغبة اليه
سبحانه وتعالى وسؤاله أن ينجزه لهم كما أنه معلق بالايمان وموافاتهم به. وأن لا
يلحقه ما يحبطه. فاذا سألوه سبحانه أن ينجز لهم ما وعدهم تضمن ذلك توفيقهم
ونشيتهم واعانتهم على الاسباب التي ينجز لهم بها وعده فكان هذا الدعاء من
أهم الادعية وأنفعها وهم أحوج اليه من كثير من الادعية. وأما قوله رب احكم
فهذا سؤال له سبحانه وتعالى أن ينصرهم على أعدائهم فيحكم لهم عليهم بالنصر
والغلبة وكذا سؤال الملائكة ربهم أن يغفر للتائبين هو من الاسباب التي يوجب
بها لهم المغفرة فهو سبحانه نصب الاسباب التي يفعل بها ما يريد به بوليائيه
وأعدائه وجعلها أسباباً لأرادته كما جعلها أسباباً لوقوع مراده فمنه السبب
والمسبب. وإن أشكل عليك ذلك فانظر إلى خلقه الاسباب التي توجب محبته
وغضبه فهو يحب ويرضى ويغضب ويسخط عن الاسباب التي خلقها وشاءها
فالشكل منه وبه مبتدأ من مشيئته وعائده إلى حكمته وحده. وهذا باب عظيم
من أبواب التوحيد لا يلججه الا العالمون بالله. ونظير هذه الآية في سؤاله ما
وعده به قوله تعالى: «قل أذلك خيراً أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء

ومسيرهم فيها ما يشاؤون خالدين على ربك وعداً مسؤولاً » يسأله آياه عبادته
 المؤمنون ويسأله آياه ملائكته لهم : فالجنة تسأل ربها أهلها ، وأهلها يسألونه آياها
 والملائكة تسألها لهم والرسول يسألونه آياها لهم ولا تبايعهم ، ويوم القيامة يقيمهم
 سبحانه بين يديه يشفعون فيها لعباده المؤمنين ، وفي هذا من تمام ملكه وأظهار
 رحمته وإحسانه وجوده وكرمه وإعطاءه مسائل ما هو من لوازم أسمائه وصفاته
 واقتضائها لا آثارها ومتعلقاتها فلا يجوز تعطيلها عن آثارها وأحكامها ، فرب
 تعالى جواد له الجود كله يحب أن يسئل ويطلب منه ويرغب إليه ، يخلق من يسأله
 وألهمه سؤاله وخاق له ما يسأله آياه فهو خالق السائل وسؤاله هو مسأوله ، وذلك
 بحبته سؤال عباده له ورغبتهم إليه وظلمهم منه وهو يغضب إذا لم يسئل

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسئل يغضب

وأحب خلقه إليه أكثرهم وأفضاهم له سؤالاً ، وهو يحب المالحين في الدعاء وكما
 ألح العبد عليه في السؤال أحبه وقربه وأعضاده ، وفي الحديث « من لم يسأل الله
 يغضب عليه » فلا إله إلا هو : أي جنات جنت القواعد الفاسدة على الإيمان وحالات
 بين القلوب ، بين معرفة ربها وأسمائه وصفات كماله ونعوت جلاله !! والحمد لله الذي
 هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . قال أبو نعيم الفضل حدثنا
 يونس هو ابن أبي إسحاق حدثنا يزيد بن أبي مرثد قال قال أنس بن مالك
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يسأل الله الجنة ثلاثاً
 إلا قالت الجنة اللهم أدخله الجنة . ومن استجار من النار بالله ثلاثاً قالت النار
 اللهم أجره من النار » رواه ترمذي والنسائي وابن ماجه عن هناد بن السرى
 عن أبي الاحوص عن أبي إسحاق عن يزيد بن . وقال الحسن بن سفيان حدثنا
 عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن ليث عن يونس بن حبان عن أبي حزم
 عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « ما سأل الله عبد الجنة في يوم سبع
 مرات إلا قالت الجنة يا رب ان عبدك فلان يسألني فأدخلني » وقال أبو يعلى الموصلي
 حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا جرير عن يونس عن أبي حازم عن أبي
 هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما استجار عبد
 من النار سبع مرات إلا قالت النار ان عبدك فلان استجار مني فأجره ، ولا
 يسأل عبد الجنة سبع مرات إلا قالت الجنة يا رب ان عبدك فلان يسألني فأدخله

الجنة» واسناده على شرط الصحيحين . وقال أبو داود في مسنده حدثنا شعبة
حدثني يونس بن حبان سمع أبا علقمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « من قال أسأل الله الجنة سبعاً قالت الجنة اللهم أدخله الجنة »
وقال الحسن بن سفيان حدثنا المقدمي حدثنا عمر بن علي عن يحيى بن عبد الله عن
أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « أكثروا مسألة الله الجنة
واستعينوا به من النار فأنهما شافعتان مشفعتان ، وإن العبد إذا أكثر
مسألة الله الجنة قالت الجنة يا رب عبدك هذا الذي سألتك فأسكنه إياي . وتقول النار
يا رب عبدك هذا الذي استعاذ بك مني فأعذه » وقد كان جماعة من الساف
لا يسألون الله الجنة ويقولون حسبنا أن يحيرنا من النار فمنهم أبو الصهباء صله بن
أشيم صلى ليلة إلى السحر ثم رفع يديه وقال اللهم أجرني من النار أو مثلي يحترق أن يسألك
الجنة . ومنهم عطاء السلمى كن لا يسأل الجنة فقال له صالح المري أن أبان حدثني
عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله عز وجل انظروا في ديوان
عبدى فمن رأيتموه سألتى الجنة أعطيته ومن استعذ بي من النار أعذته »
فقال عطاء كفانى أن يحيرنى من النار ، ذكرها أبو نعيم وقد روى أبو داود في
سننه من حديث جابر فى قصة صلاة معاذ وتطويله بهم أن النبى صلى الله
عليه وسلم قال للفتى يعنى الذى شكاه « كيف تصنع يا ابن أخى إذا صليت ؟ قال
أقرأ بفاتحة الكتاب وأسأل الله الجنة وأعوذ به من النار وإنى لأدري ما ندنتك
ودندنة معاذ فقال النبى صلى الله عليه وسلم أنى ومعاذا حولها ندندن » وفى
سنن أبى داود من حديث محمد بن المنكدر عن جابر عن عبد الله قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « لا يسئل بوجه الله الا الجنة » رواه عن أحمد بن عمرو
العصفري حدثنا يعقوب بن اسحاق حدثنا سليمان بن معاذ عن محمد فذكره
وقد تقدم فى أول الكتاب حديث الليث عن معاوية عن صالح عن عبد الملك
ابن أبى بشير يرفع الحديث : « ما من يوم الا والجنة والنار يسألان تقول الجنة
يا رب قد طابت ثمارى ، واطردت أنهارى ، واشتقت الى أوليائى ، فعجل الى باهلى »
الحديث فالجنة تطلب أهلها بالذات وتجذبهم اليها جذبا . والنار كذلك وقد أمرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نزال نذكرها ولا ننساها كما روى أبو يعلى
الموصلى فى مسنده حدثنا اسحاق بن أبى اسرائيل حدثنا أيوب بن أبى

شبيب الصنعاني قال: كان فيما عرضنا على رباح بن زيد حدثني عبد الله بن نمير سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تنسوا العظيمنتين قلنا وما العظيمنتان يا رسول الله؟ قال الجنة والنار» وذكر أبو بكر الشافعي من حديث كليب بن حرب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اطلبوا الجنة جهداً واهربوا من النار جهداً، فإن الجنة لا ينام طالبها وإن النار لا ينام هاربها وإن الآخرة اليوم محفوفة بالمسكاره وإن الدنيا محفوفة بالذات والشهوات فلا تاهينكم عن الآخرة»

— الباب الحادي والعشرون —

(في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقاتها ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها، ومسماتها واحد باعتبار الذات فهي مترادفة من هذا الوجه، وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه، وهكذا أسماء الرب سبحانه وتعالى، وأسماء كتابه وأسماء رسله وأسماء اليوم الآخر وأسماء النار)

(الاسم الاول) الجنة وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقررة العين، وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية ومنه الجنين لاستتاراه في البطن، والجان لاستتاراه عن العيون، والمجن لستره ووقايته الوجه، والمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه، والجان وهي الحية الصغيرة الرقيقة ومنه قول الشاعر

فدقت وجات واسبكرت وأكملت فلو جن إنسان من الحدن جنت -
أي لو غطي وستر عن العيون لفعل بها ذلك. ومنه سمي البستان جنة لانه يستر داخله بالأشجار ويغطيه ولا يستحق هذا الاسم الاموضع كثير الاشجار مختلف الانواع والجنة بالضم ما يستجن به من ترس أو غيره، ومنه قوله تعالى: «اتخذوا أيمانهم جنة» أي يستترون بها من انكار المؤمنين عاينهم، ومنه الجنة بالكسر الجن كما قال تعالى «من الجنة والناس» وذهبت طائفة من المفسرين إلى ان الملائكة يسمون جنة واحتجوا بقوله تعالى «وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا» قولا وهذا النسب قولهم الملائكة بنات الله ورجحوا هذا القول بوجهين (أحدهما) ان النسب الذي جعلوه انما زعموا أنه بين الملائكة وبينه لا بين الجن

وبينه (الثاني) قوله تعالى : « ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون » أى قد علمت الملائكة أن الذين قالوا هذا القول محضرون للعذاب . والصحيح خلاف ما ذهب إليه هؤلاء ، وإن الجنة هم الجن أنفسهم كما قال تعالى « من الجنة والناس » وعلى هذا فنى الآية قولان (أحدهما) قول مجاهد قال قالت كفار قريش : الملائكة بنات الله . فقال لهم أبو بكر فمن أمهاتهم ؟ قالوا سروات الجن . وقال السكابي : قالوا تزوج من الجن فخرج من بينهما الملائكة . وقال قتادة قالوا صاهر الجن (والقول الثاني هو) قول الحسن قال : أشركوا الشياطين في عبادة الله فهو النسب الذى جعلوه والصحيح قول مجاهد وغيره وما احتج به أصحاب القول الاول ليس بمسئزىم لصحة قولهم فانهم لما قالوا الملائكة بنات الله وهم من الجن عقدوا بينه وبين الجن نسباً بهذا الالاد وجعلوا هذا النسب متولداً بينه وبين الجن وأما قوله « ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون » فالضمير يرجع إلى الجنة أى قد علمت الجنة انهم محضرون الحساب قاله مجاهد أى لو كان بينه وبينهم نسب لم محضروا للحساب كما قال تعالى « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ » فجعل سبحانه عقوبتهم بذنوبهم واحضارهم للعذاب مبطلاً لدعواهم الكاذبة وهذا التقدير فى الآية أبلغ فى ابطال قولهم من التقدير الاول فتأمله والمقصود ذكر أسماء الجنة

(فصل)

(الاسم الثانى) دار السلام وقد سماها الله بهذا الاسم فى قوله « لهم دار السلام عند ربهم » وقوله « والله يدعو الى دار السلام » وهى أحق بهذا الاسم فانها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه وهى دار الله واسمه سبحانه وتعالى السلام الذى سألها وسلم أهلها « وتحيتهم فيها سلام » والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم « والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم » كما قال تعالى : « لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولاً من رب رحيم » وسيأتى حديث جابر فى سلام الرب تبارك وتعالى عليهم فى الجنة : وكلامهم كلهم فيها سلام أى لا لغو فيها ولا خش ولا باطل ، كما قال تعالى : « لا يسمعون فيها لغواً ولا سلاماً » وأما قوله تعالى : « وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين » فأكثر المفسرين حاموا حول المعنى وما وردوه وقالوا أقوالاً لا يخفى بعدها عن المقصود . وإنما معنى الآية والله أعلم فسلام لك أيها الراحل عن الدنيا حال كونك من أصحاب اليمين

أى فسلامه لك كائننا من أصحاب اليمين الذين سلموا من الدنيا وأنكادها ومن النار وندابها، فبشر بالسلامة عند ارتحاله من الدنيا وتدومه على الله كما يبشر الملك روحه عند أخذها بقوله: «بشرى بروح وريحان ورب غير غضبان . وهذا أول البشرى التى للمؤمن فى الآخرة

(فصل)

(الاسم الثالث) دار الخلد وسميت بذلك لان أهلها لا يظعنون عنها أبداً كما قال تعالى : «عطاء غير مجدوذ» وقال : «ان هذا رزقنا ما له من تقاد» وقال : «أكلها دائم وظلها» وقال : «وما هم منها بمخرجين» وسيأتى إبطال قول من قال من الجهمية والمعتزلة بفنائها أو فناء حركات أهلها ان شاء الله تعالى

(فصل)

(الاسم الرابع) دار المقامة قال تعالى حكاية عن أهلها : «وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور» الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب « قال مقاتل أنزلنا دار الخلود، أقاموا فيها أبداً لا يموتون ولا يتحولون منها أبداً قال الفراء والزجاج المقامة مثل الإقامة يقال أقمت بلمكان إقامة ومقامة ومقاما

﴿ فصل ﴾

(الاسم الخامس) جنة المأوى قال تعالى : «عندها جنة المأوى» والمأوى مفعول من أوى يأوى إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به وقال عطاء عن ابن عباس هى الجنة التى يأوى اليها جبريل والملائكة : وقال مقاتل والسلمى هى جنة تأوى اليها أرواح الشهداء ، وقال كعب جنة المأوى جنة فيها طير خضر ترتع فيها أرواح الشهداء ، وقالت عائشة رضى الله عنها وزر بن حبيش : هى جنة من الجنان ، والصحيح أنه اسم من أسماء الجنة كما قال تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى « وقال فى النار فان الجحيم هى المأوى » وقال « ومأواكم النار »

❦ فصل ❦

(الاسم السادس) جنات عدن، فقبل هي اسم الجنة من الجنان والصحيح انه اسم لجملة الجنان وكلها جنات عدن قال تعالى: «جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب» وقال تعالى: «جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤوا بابسهم فيها حري» وقال تعالى: «ومساكن طيبة في جنات عدن» والاشتقاق يدل على ان جميعها جنات عدن فانه من الاقامة والدوام يقال عدن بالمكان إذا أقام به وعدنت البلد توطنته وعدنت الابل بكان كذا لزمته فلم تبرح منه قال الجوهري ومنه جنات عدن أى اقامة ومنه سمي المعدن بكسر الدال لان الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء. ومركز كل شيء معدنه. والعادن الناقة المقيمة في المرعى

(فصل)

(الاسم السابع) دار الحيوان، قال تعالى: «وان الدار الآخرة لهى الحيوان» والمراد الجنة عند أهل التفسير قالوا وان الآخرة يعنى الجنة لهى الحيوان لهى دار الحياة التى لاموت فيها فقال الكاظمى هى حياة لاموت فيها وقال الزجاج هى دار الحياة الدائمة وأهل اللغة على ان الحيوان بمعنى الحياة قال أبو عبيدة وابن قتيبة الحياة الحيوان قال أبو عبيد الحياة والحيوان والحي بكسر الحاء واحد قال أبو على يعنى أنها مصادر فالحياة فعلة كالجلبة والحيوان كالنزوان والغليان والحي كالعى قال العجاج * كسابها إذا الحياة حى * أى إذا الحياة حياة. وأما أبو زيد فخالقهم وقال: الحيوان ما فيه روح. والموتان والموات ملا روح فيه. والصواب أن الحيوان يقع على ضربين (أحدهما) مصدر كما حكاه أبو عبيدة (والثانى) وصف كالحكاة أبو زيد وعلى قول أبى زيد الحيوان مثل الحى خلاف الميت ورجح القول الاول بان التعلان بابه المصادر كالنزوان والغليان بخلاف الصفات فان بابها فعلان كسكران وغضبان، وأجاب من رجح القول الثانى بان فعلان قد جاء فى الصفات أيضاً قالوا رجل ضميان للسريع الخفيف وزفيان قال فى الصحاح: ناقة زفيان سريعة وقوس زفيان سريعة الارسال للسهم فيحتمل قوله تعالى: «وان الدار الآخرة لهى الحيوان» معنيين (أحدهما) ان حياة الآخرة هى الحياة لانها لا تنغيص فيها ولا تفادى لها

أى لا يشوبها ما يشوب الحياة فى هذه الدار فىكون الحيوان مصدرا على هذا. (الثانى)
أن يكون المعنى انها الدار التى لاتنفى ولا تنقطع ولا تبسّد كما يفنى الاحياء فى
هذه الدنيا فهى أحق بهذا الاسم من الحيوان الذى يفنى ويموت

فصل

(الاسم الثامن) الفردوس قال تعالى: «أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون» وقال تعالى: «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات
الفردوس نزلا خالدين فيها» والفردوس اسم يقال على جميع الجنة ويقال على
أفضلها وأعلاها، كانه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات وأصل الفردوس
البستان والفرايس البساتين قال كعب هو البستان الذى فيه الاعناب، وقال
الليث الفردوس جنة ذات كروم يقال كرم مفردس أى معرش وقال الضحك هى
الجنة الملتفة بالاشجار وهو اختيار المبرد وقال الفردوس فيما سمعت من كلام
العرب الشجر الملتف والأغلب عليه العنب وجمعه الفرايس قال ولهذا سمي باب
الفرايس بالشام وأنشد الجرجير

فقلت للركب إذ جد المسير بنا يا بعد يربن من باب الفرايس
وقال مجاهد: هذا البستان بالرومية واغتاره الزجاج فقال هو بالرومية منقول
إلى لفظ العربية قال وحقيقته أنه البستان الذى يجمع كل ما يكون فى البساتين
قال حسان

وان ثواب الله كل غنل جنان من الفردوس فيها يخلد

فصل

(الاسم التاسع) جنات النعيم قال تعالى: «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم
جنات النعيم» وهذا أيضا اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الانواع التى
يتنعم بها من الماء كولد والمشروب والملبوس والصور والرائحة الطيبة والمنظر البهيح
والمساكن الواسعة وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن

فصل

(الاسم العاشر) المقام الامين قال تعالى: «ان المتقين فى مقام أمين» والمقام موضع
الاقامة والامين الآمن من كل سوء وآفة ومأرود وهو الذى قد جمع صفات الامن كلها

فهو آمن من الزوال والخراب وانواع النقص وأهله آمنون فيه من الخروج والنقص والنكد (والبلد الامين) الذى قد آمن أهله فيه مما يخاف منه سواهم، وتأمل كيف ذكر سبحانه الامن فى قوله تعالى : « ان المتقين فى مقام أمين » وفى قوله تعالى : « يدعون فيها بكل فاكهة آمنين » فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها ، وأمن الخروج منها فلا يخافون ذلك ، وأمن الموت فلا يخافون فيها موتا

(فصل)

الاسم (الحادى عشر) (والثانى عشر) مقعد الصدق وقدم الصدق ، قال تعالى : « ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق » فسمى جنته مقعد صدق لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها كما يقال مودة صادقة إذا كانت ثابتة تامة وحلاوة صادقة وحمة صادقة ومنه الكلام الصدق لحصول مقصوده منه وموضع هذه اللفظة فى كلامهم الصحة والكمال ومنه الصدق فى الحديث والصدق فى العمل ، والصدق الذى يصدق قوله بالعمل ، والصدق بالفتح الصاب من الرماح ويقال للرجل الشجاع انه لدو مصدق أى صادق الحجة وهذا مصداق هذا أى ما يصدقه ومنه الصداقة لصفاء المودة والحالة ، ومنه صدقنى القتال وصدقنى المودة ومنه قدم صدق ولسان صدق ومدخل صدق ومخرج صدق وذلك كله للحق الثابت المقصود الذى يرغب فيه بخلاف الكذب الباطل الذى لا شئ تحته وهو لا يتضمن أمراً ثابتاً قط ، وفسر قوم قدم صدق بالجنة ، وفسر بالاعمال التى تنال بها الجنة وفسر بالسابقة التى سبقت لهم من الله وفسر بالرسول الذى على يده وهدايته نالوا ذلك ، والتحقيق أن الجميع حق فأنهم سبقت لهم من الله الحسنى بتلك السابقة أى بالاسباب التى قدرها لهم على يد رسوله وأدخر لهم جزاءها يوم القيامة ولسان الصدق وهو لسان الثناء الصادق بحاسن الافعال وجميل الطرائق ، وفى كونه لسان صدق اشارة إلى مطابقته للواقع وأنه ثناء بحق لا باطل ومدخل الصدق ومخرج الصدق هو المدخل والمخرج الذى يكون صاحبه فيه ضامناً على الله وهو دخوله وخروجه بالله والله ، وهذه الدعوة من أنقذ الدعاء للعبد فانه لا يزال داخلاً فى أمر وخارجاً من أمر فمتى كان دخوله لله وبالله وخروجه كذلك ذن قد أدخل مدخل صدق وأخرج مخرج صدق والله المستعان

﴿ الباب الثاني والعشرون ﴾

(في عدد الجنات وأنها نوطان جنتان من ذهب وجنتان من فضة)

الجنة اسم شامل لجميع ما حوت من البساتين والمساكن والقصور وهي جنت كثيرة جدا كما روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة «أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله ألا تحبني عن حارثة؟ وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب. فان كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء» قل يأ أم حارثة انها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى» وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «جنتان من ذهب آيتيهما وحليتهما وما فيهما» وجنتان من فضة آيتيهما وحليتهما وما فيهما. وما بين القوم وبين أن ينظروا إلي ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» وقد قل تعالى: «ولمن خاف مقام ربه جنتان» فذكرهما قال: «ومن دونهما جنتان» فهذه أربع وقد اختلف في قوله ومن دونهما هل المراد به أنهما فوقهما أو تحتهما على قولين فقالت طائفة من دونهما أي أقرب منهما إلى العرش فيكونان فوقهما. وقالت طائفة بل معنى من دونهما تحتهما قلوا وهذا المنقول في لغة العرب إذا قلوا هذا دون هذا أي دونه في المنزلة كما قال بعضهم لمن بالغ في مدحه ، أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك. وفي الصحاح دون نقيض فوق وهو تقصير عن الغاية ثم قال ويقال هذا دون هذا أي أقرب منه والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأوليين من عشرة أوجه. (أحدها) قوله «ذواتا أفنان» وفيه قولان أحدهما أنه جمع فن وهو الغصن والثاني أنه جمع فن وهو الصنف أي ذواتا أصناف شتى من الفواكه وغيرها ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما (الثاني) قوله (فيهما عينان تجريان) وفي الآخرين (فيهما عينان نضاختان) والنضاخة هي الفؤارة والجارية السارحة وهي أحسن من الفؤارة فلها تتضمن النوران والجري (الثالث) أنه قال: « فيهما من كل فاكهة زوجان » وفي الآخرين : « فيهما قاقهة ونخل ورمان » ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل واختلف في هذين الزوجين بعد الاتفاق على أنهما صنفان فقالت طائفة الزوجان الرطب واليابس الذي لا يقصر في فضله وجودته عن الرطب ، وهو يتمتع به كما يتمتع بلباس وفيه نظر لا يخفى

وقالت طائفة الزوجان صنف معروف وصنف من شكله غريب وقالت طائفة نوحان ولم تزد والظاهر والله أعلم أنه الحلو والحامض والابيض والاحمر وذلك لان اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وأشهى وألذ للعين وأنعم (الرابع) انه قال «متكئين على فرش بطائنها من إستبرق» وهذا تنبيه على فضل الظمائر وخطرها وفي الآخرين قال «متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان» وفسر الرفرف بالحابس والبسط وفسر بالفرش وفسر بالحابس فوقها وعلى كل قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الاولين (الخامس) انه قال وجنى الجنتين دان أى قريب وسهل يتناولونه كيف شاؤا ولم يذكر ذلك فى الآخرين (السادس) انه قال: «فيهن قاصرات الطرف» أى قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يرون غيرهن لرضاهن بهن ومحبتهم لهن وذلك يتضمن قصر أطراف أزواجهن عليهن فلا يدعهن حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن وقال فى الآخرين «حور مقصورات فى الخيام ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكل ممن قصرت بغيرها» (السابع) انه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان فى صفاء اللون واشراقه وحسنه ولم يذكر ذلك فى التى بعدها (الثامن) أنه قال سبحانه وتعالى فى الجننتين الاوليين: «هل جزاء الاحسان إلا الاحسان» وهذا يقتضى ان أصحابهما من أهل الاحسان المطلق الكامل فكان جزاؤهم باحسان كامل (التاسع) انه بدأ بوصف الجننتين الاوليين وجعلهما جزءا لمن خاف مقامه وهذا يدل على أنهم أعلى جزاء الخائف لمقامه فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه ولما كان الخائفون على نوعين مقرين وأصحاب يمين ذكر جننى المقربين ثم ذكر جننى أصحاب اليمين (العاشر) أنه قال «ومن دونهما جنتان» والسمياق يدل على أنه نقيض فوق كما قال الجوهرى فان قيل فكيف انقسمت هذه الجنان الاربع على من خاف مقام ربه قيل لما كان الخائفون نوعين كما ذكرنا كان للمقربين منهم الجنتان العالمتان ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما . فان قيل فهل الجنتان المجموع الخائفين يشتركون فيهما أم لكل واحد جنتان وهما البستانان ؟ قيل هذا فيه قولان للمفسرين ورجح القول الثانى بوجهين (أحدهما) من جهة النقل (الثانى) من جهة المعنى . فأما الذى من جهة النقل فان أصحاب هذا القول رووا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «هما بستانان فى رياض الجنة» وأما الذى

من جهة المعنى فان احدى الجنةين جزاء أداء الاوامر. والثانية جزاء اجتناب المحارم «فان قيل» فكيف قال في ذكر النساء «فيهن» في الموضعين ولما ذكر غيرهن قل «فيهن» قيل لما ذكر الفرش قل بعدها فيهن خيرات حسان ثم أعاده في الجنةين الآخرين بهذا اللفظ ليتشاكل اللفظ والمعنى والله أعلم

﴿الباب الثالث والعشرون﴾

(في خاق الرب تبارك وتعالى بعض الجنان وغرسها بيده تفضيلاً لها على سائر الجنان) وقد اتخذ الرب تعالى من الجنان داراً اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده فهي سيدة الجنان والله سبحانه وتعالى يختار من كل نوع أغلاده وأفضله كما اختار من الملائكة جبريل ومن البشر محمداً صلى الله عليه وسلم ومن السموات العليا ومن البلاد مكة ومن الأشهر الحرم ومن الليالي ليلة القدر، ومن الأيام يوم الجمعة، ومن الليل وسطه، ومن الاوقات أوقات الصلاة إلى غير ذلك فهو سبحانه وتعالى «يخاق ماشاء ويختار» وقال الطبراني في معجمه حدثنا مطلب بن شعيب الأزدي حدثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث . قال الطبراني في معجمه وحدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن زيادة بن محمد الانصاري عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر الله في الساعة الاولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمجموما يشاء ويثبت، ثم ينظر في الساعة الثانية إلى جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن فيه، ولا يكون معه فيها أحد إلا الانبياء والشهداء والصديقون وفيها لم تره عين أحد، ولا خطر على قلب بشر، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول ألا مسغفري يستغفروني فأغفر له؟ ألا سائل يسألني فأعطيه؟ ألا داع يدعوني فأستجيب له؟ حتى يطلع الفجر» قال تعالى: «وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كانا مشهوداً» فيشهد الله تعالى وملائكته . قال الحسن بن سفيان حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح قال حدثني خالي عبد الرحمن بن عبد الحميد ابن سالم حدثنا يحيى بن أيوب عن داود بن أبي هند عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ان الله بنى الفردوس بيده وحظرها على كل مشرك وكل مدمن خمر ومتكبر» وقد ذكر الدارمي والنجاشي وغيرهما من حديث

أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن - متكلم فيه - عن عون بن عبد الله بن الحارث ابن نوفل عن أخيه عبد الله بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن الحارث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلق الله ثلاثة أشياء بيده، خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم قل وعزتي وجلالي لا يدخلها مد من خمر ولا الديوث، قالوا يا رسول الله قد عرفنا مد من الخمر فما الديوث؟ قال الذي يقر السوء في أهله» قلت المحفوظ أنه موقوف قال الدارمي حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عبيد بن مهران حدثنا مجاهد قال قال عبد الله بن عمر: «خلق الله أربعة أشياء بيده العرش والقلم وعدن وآدم عليه السلام، ثم قال لسائر الخلق كن فكان» وحدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا أبو عوانة عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال: «إن الله لم يمس شيئاً من خلقه غير ثلاث، خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الجنة عدن بيده» حدثنا محمد بن المنهال حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس عن كعب قال: «لم يخلق الله بيده غير ثلاث خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الجنة عدن بيده، ثم قال لها تكلمي، قالت قد أفلح المؤمنون» وقال أبو الشيخ حدثنا أبو يعلى حدثنا أبو الربيع حدثنا يعقوب القمي حدثنا حفص بن حميد عن شمر بن عتيبة قال: «خلق الله الجنة الفردوس بيده فهو يتجها كل يوم خمس مرات فيقول ازدادي طيباً لا وليائي، ازدادي حسناً لا وليائي» وذكر الحاكم عنه عن مجاهد قال: «إن الله تعالى غرس جنات عدن بيده فلها تكلمات أغلقت فهي تفتح في كل سحر فينظر الله إليها فتقول قد أفلح المؤمنون» وذكر البيهقي من حديث البغوي حدثنا يونس بن عبيد الله البصري حدثنا عدي ابن الفضل عن الحريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة. وغرس عرشها بيده» وقال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون، فقال طوبى لك منزل الملوكة» وقال ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن أبي المنى البزار حدثنا محمد بن زياد الكوفي حدثنا بشير بن حسين عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «خلق الله الجنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء بلاطها المسك وحصبهاؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران» ثم قال لها

طقتي قالت قد أفلح المؤمنون. فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا يجاوزني
فيك بخيل، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يوق شح نفسه فأولئك
هم المفلحون» وتأمل هذه العناية كيف جعل هذه الجنة التي غرسها بيده لمن
خلقه بيده ولأفضل ذريته اعتناء وتشريفاً وازهاراً لغضل ما خلقه بيده وشرفه
وميزه بذلك عن غيره وبالله التوفيق، فهذه الجنة في الجنان كآدم في نوع
الحيوان. وقد روى مسلم في صحيحه عن المغيرة بن شعبه عن سعيد عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال: «سألت نبي الله صلى الله عليه وسلم ما أذى أهل الجنة منزلة؟
قال رجل يحبىء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول
رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟! فيقال له أترضى أن يكون
لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول ربي ربي فيقول له لك ذلك ومثله ومثله
ومثله ومثله، فقال في الخامسة رضيت رب قال رب فأعلاهم منزلة؟ قال أولئك
الذين أردت غرست بكرامتهم بيدي وختمت عليهم فلم تر عين، ولم تسمع
أذن، ولم يخطر على قلب بشر» ومصادقه من كتاب الله «فلا تعلم نفس ما أخفى
لهم من قرة أعين»

— الباب الرابع والعشرون —

(في ذكر بوابي الجنة وخزنتها واسم مقدمهم ورئيسهم)
قال تعالى: «وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت
أبوابها، وقال لهم خزنتها سلام عليكم» والخزنة جمع خازن مثل حفظة وحافظ
وهو المؤمن على الشيء الذي قد استحفظه. روى مسلم في صحيحه من حديث
سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «آتي
باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت؟ فأقول محمد، فيقول بلى
أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك» وقد تقدم حديث أبي هريرة المتفق عليه «من أنفق
زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب أي فلهم. قال أبو بكر
يا رسول الله ذلك الذي لا توى (١) عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم إني لأرجو
أن تكون منهم» وفي لفظ «هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال نعم
وأرجو أن تكون منهم» لما سمت همة الصديق إلى تسهيل مراتب الإيمان.

(١) بفتح التاء لاضياح ولا خسارة.

وطمعت نفسه أن يدعى من تلك الابواب كلها سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يحصل ذلك لاحد من الناس ليسعى في العمل الذي ينال به ذلك فخره بمحصوله وبشره بأنه من أهله . وكأنه قال هل تكمل لاحد هذه المراتب فيدعى يوم القيامة من أبوابها كلها؟ فله ما أعلى هذه الهمة وأكبر هذه النفس . قد سمي الله سبحانه وتعالى كبير هذه الخزنة رضوان وهو اسم مشتق من الرضا وسمى خازن النار ملكا وهو اسم مشتق من الملك وهو القوة والشدّة حيث تصرفت حروفه

❦ الباب الخامس والعشرون ❦

(في ذكر أول من يقرع باب الجنة)

وقد تقدم حديث أنس ورواه الطبراني بزيادة فيه قال « فيقوم الخازن فيقول لا أفتح لاحد قبلك ولا أقوم لاحد بعدك » وذلك أن قيامه اليه صلى الله عليه وسلم خاصة اظهاراً لمزيته ورتبته ولا يقوم في خدمة أحد بعده بل خزنة الجنة يقومون في خدمته وهو كملك عليهم وقد أقامه الله في خدمة عبده ورسوله حتى مشى اليه وفتح له الباب . وقد روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنا أول من يفتح باب الجنة الا أن امرأة تبادرني فأقول لها مالك ومن أنت؟ فتقول أنا امرأة قعدت على يتامي » وفي الترمذي من حديث ابن عباس قال : « جالس ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجباً أن الله من خلقه خليلاً اتخذ إبراهيم خليلاً، وقال آخر ماذلك بأعجب من كلمته موسى كلمه تمكيمياً، وقال آخر : فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر : آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال : « سمعت كلامكم وعجبكم أن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نبي الله وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حائقة الجنة فيفتح لي فأدخلها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الاولين والآخرين ولا فخر » وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا

خطيبهم إذا أنصتوا، وقائدهم إذا وفدوا، وشافعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا
 يسوا، لواء الحمد بيدي، ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم
 يومئذ على ربي ولا فخر، يطوف على ألف خادم كأنهم المثلوث المكنون» رواد الترمذي
 والبيهقي واللفظ له وفي صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس قال
 قال رسول الله ﷺ: «أنا أكرم الناس تبعاً يوم القيامة وأنا أول من يقرع
 باب الجنة

﴿الباب السادس والعشرون﴾

(في ذكر أول الامم دخولا الجنة)

وفي الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبي هريرة قال قال: «رسول
 الله صلى الله عليه وسلم نحن السابقون الاولون يوم القيامة بيدناهم أوتوا الكتاب
 من قبلنا وأوتيناه من بعدهم» أي لم يسبقونا إلا بهذا القدر فعني بيد معني سوى
 وغير والا ونحوها. وفي صحيح مسلم من حديث أبي صالح عن أبي هريرة قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن الآخرون الاولون يوم القيامة، ونحن
 أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم،
 فاختلغوا فهدانا الله لما اختلغوا فيه من الحق باذنه» وفي الصحيحين من حديث
 طاوس عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «نحن الآخرون
 الاولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولا الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من
 قبلنا وأوتيناه من بعدهم» وروى الدارقطني من حديث زهير بن محمد عن عبد
 الله بن محمد بن عقيل عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الجنة حُرمت على الأنبياء كلهم حتى
 أدخلها، وحُرمت على الامم حتى تدخلها أمتي» قال الدارقطني غريب عن الزهري
 ولا أعلم روى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهري غير هذا الحديث ولا
 رواه الا عمرو بن أبي سلمة عن زهير. فهذه الاممة أسبق الامم خروجاً من
 الارض وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف وأسبقهم إلى ظل العرش وأسبقهم
 إلى الفصل والقضاء بينهم، وأسبقهم إلى الجوار على الصراط، وأسبقهم إلى دخول
 الجنة فالجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد صلى الله عليه وسلم، ومحرمية على
 الامم حتى تدخلها أمته، وأما أول الامة دحولا فقال أبو داود في سننه حدثنا

هناد بن السري عن عبد الرحمن بن محمد الحاربي عن عبد السلام بن حرب عن أبي خالد الدالاني عن أبي خالد مولى آل جعدة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاني جبريل فأخذ بيدي فاراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي فقال أبو بكر يا رسول الله وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي» وقوله «وددت أني كنت معك» حرصاً منه على زيادة اليقين وإن يصير الخبر عياناً كما قال إبراهيم الخليل «رب أرني كيف تحيي الموتى» قال أولم تؤمن قل بلى ولكن ليطمئن قلبي» وأما الحديث الذي رواه ابن ماجه في سننه حدثنا اسماعيل بن عمر الطاحي أنبأنا داود بن عطاء المديني عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول من يصاخره الحق عمر، وأول من يسلم عليه وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة» فهو حديث منكر جداً قال الامام احمد: داود بن عطاء ليس بشيء، وقال البخاري منكر الحديث

❦ الباب السابع والعشرون ❦

(في ذكر السابقين من هذه الامة إلى الجنة وصفتهم)

في الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبغضون فيها ولا يتغفون فيها ولا يتخطون فيها آياتهم وأمشاطهم الذهب والغضة، ومجامرهم الالوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلوبهم ولا يبغضون رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا» وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء اضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتخطون، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خالق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء» وروى شعبة بن قيس عن حبيب عن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن

ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحامدون الذين يحمدون الله في السراء والضراء » وقال الامام أحمد حدثنا اسماعيل بن ابراهيم حدثنا هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن طاهر العقيلي عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عرض علي أول ثلاثة من أمتي يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار ، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيدي وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه وفقير متعفف ذو عيال ، وأول ثلاثة يدخلون النار فأمرير مسلط وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله من ماله ، وفقير فخور » وروى الامام احمد في مسنده والطبراني في معجمه واللفظ له من حديث أبي عشة المصايري انه سمع عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل تدرون أول من يدخل الجنة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم » قال فقراء المهاجرين الذين تنقى بهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء ، تقول الملائكة ربنا نحن ملائكتك وخزنتك وسكان سمواتك لا تدخلهم الجنة قبانا ، فيقول عبادي لا يشركون بي شيئا تنقى بهم المكاره يموت أحدهم وحاجته في صدره لم يستطيع لها قضاء فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » ولما ذكر الله تعالى أصناف بني آدم سعيدهم وشقيهم قسم سعيدهم إلى قسمين سابقين وأصحاب يمين فقال « والسابقون السابقون » واختلف في تقريرها على ثلاثة أقوال (أحدها) انه من باب التوكيد اللفظي ويكون الخبر قوله « أولئك المقربون » (والثاني) أن يكون السابقون الاول مبتدأ والثاني خبر له على حد قولك زيد زيد أي زيد الذي سمعت به هو زيد كما قيل * أنا أبو النجم وشعري شعري * وكقول الآخر * إذ الناس ناس والزهان زمان * قال ابن عطية وهذا قول سيديويه و(الثالث) أن يكون الاول غير الثاني ويكون المعنى السابقون في الدنيا إلى الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلى الجنات ، والسابقون إلى الايمان هم السابقون إلى الجنان وهذا أظهر والله أعلم « فان قيل » فما تقول في الحديث الذي رواه الامام أحمد والترمذي وصححه من حديث بريدة بن الحصيب قال : « أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بلالا فقال يا بلال بم سبقتني إلى الجنة فما دخلت الجنة قط الا سمعت خشف ثياب أماني ، ودخلت البارحة فسمعت

خشخشتك أممي، فأنتيت على قصر مريع مشرف من ذهب ؛ فقلت لمن هذا القصر ؟ قالوا لرحل من أمة محمد ؛ قلت أنا محمد لمن هذا القصر ؟ قالوا لعمر ابن الخطاب فقال بلال يارسول الله ماأذنت قط إلا وصليت ركعتين، وماأصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن الله على ركعتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فبذلك قيل فتلقاه بالقبول والتصديق ولا يدل على أن أحداً يسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجنة وأما تقدم بلال بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة فلا لأن بلالاً كان يدعو إلى الله أولاً بالاذان فيتقدم أذانه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم وقد روى في حديث «أن النبي صلى الله عليه وسلم يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادي بالاذان» فتقدمه بين يديه صلى الله عليه وسلم كرامة لرسوله وأظهره لشرفه وفضله لاسبقاً من بلال له بل هذا السبق من جنس سبقه إلى الوضوء ودخول المسجد ونحوه والله أعلم .

﴿ الباب الثامن والعشرون ﴾

(في سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة)

قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام» وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ورجال اسناده احتج بهم مسلم في صحيحه . وروى الترمذي من حديث ابن عباس الدوري عن المقبري عن سعيد بن أبي أيوب عن عمرو بن جابر الحضرمي عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً» وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً» وقال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا دويد عن سليم بن بشير عن عكرمة عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: «التقى مؤمنان على باب الجنة مؤمن غني ومؤمن فقير كانا في الدنيا فأدخل الفقير الجنة وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس ، ثم أدخل الجنة فلقية الفقير فقال أي أخى ماذا حبسك والله لقد احتبست حتى خفت عليك، فيقول

أى أخى اتى حبست بعدك محبسا فظيعا كريها فمأوصات اليك حتى سال منى العرق والو ورده الف بعير كلها أئمة حمض لصدرت عنه» وقال الضرائى حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى وعلى بن عبد الله الرازى قالا حدثنا على بن مهران العطار حدثنا عبد الملك بن أبى كريمة عن سليمان التورى عن محمد بن زيد عن أبى حازم عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «ان فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وذلك خمسمائة عام» وذكر الحديث بطوله والذي فى الصحيح ان سبقهم لهم بأربعين خريفا . فأما ان يكون هو المحفوظ ، وإما ان يكون كلاهما محفوظا وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء فمنهم من يسبق بأربعين ، ومنهم من يسبق بخمسة كذا يتأخر مكث العصاة من الموحدن فى النار بحسب أحوالهم والله أعلم ولكن ههنا أمر يجب التنبيه عليه وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم فى الدخول ارتفاع منازلهم عليهم ، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة وإن سبقه غيره فى الدخول ، والدليل على هذا أن من الأئمة من يدخل الجنة بغير حساب وهم السبعون ألفا وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم ، والغنى اذا حوسب على غناه فوجد قد شكر الله تعالى فيه وتقرّب اليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذى سبقه فى الدخول ولم يكن له تلك الاعمال ولا سيما اذا شاركه الغنى فى أعماله وزاد عليه فيها والله لا يضيع أجر من أحسن عملا . فالمرتبة مزية سبق وهزية رفعة ، وقد يجتمعان وينفردان فيحصل لواحد السبق والرفعة ، ويعدمهما آخر ، ويحصل لآخر السبق دون الرفعة . ولآخر الرفعة دون السبق ، وهذا بحسب المقتضى للأدب أو لاحدهما وعدمه ، وبالله التوفيق

﴿الباب التاسع والعشرون﴾

(فى ذكر أصناف أهل الجنة الذين ضمنتم لهم دون غيرهم)

قال تعالى : «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم . وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين» ، والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم

يعملون. أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنت تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين» فأخبر أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم، ثم ذكر أوصاف المتقين فذكر بذلهم للإحسان في حالة العسر واليسر والرخاء والشدة والقن من الناس من يبذل في حال اليسر والرخاء ولا يبذل في حال العسر والشدة ثم ذكر كيف أذاخ عن الناس بحبس الغنيظ بالكظم وحبس الانتقام بالنفو. ثم ذكر حالهم بينهم وبين ربهم في ذنوبهم وأنها إذا صدرت منهم قابلوها بذكر الله والتوبة والاستغفار وترك الإصرار فهذا حالهم مع الله وذلك حالهم مع خلقه. وقل تعالى: «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذاك النور العظيم» فأخبر تعالى أنه أعد لها للمهاجرين والأنصار وأتباعهم بإحسان فلا مطمع لمن خرج عن طريقهم فيها. وقل تعالى: «أما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وحجوا فلهم ما إذا تأتت عليهم آياته زاتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم» فوصفهم بإقامة حقه باطناً وظاهراً وبإداء حق عباده. وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لما كان يوم حنين أقبل نفر من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا فلان شهيد وفلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا إني رأيته في النار في بردة غلام أو عباءة، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا ابن الخطاب اذهب فنناد في الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون» قال فخرجت فننادت إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون) وللبخاري معناه. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بلالا ينادي في الناس: «إنه لا يدخل الجنة إلا النفس مسلمة» وفي بعض طرقه مؤمنة. وفي الحديث قصة. وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار الجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جعلتم مما علمني من يومى هذا. كل مال نحلته عبداً حلال، وإنى خلقت عبداً حنيفاً كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم خرمتم عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله ينظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم

وندجهم إلا بقايا من أهل الكتاب . وقال : إنما بعثتك لأبتليكم وأبتلي بك .
 وأنزلت عليكم كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائمًا ولا يقضاه . وإن الله أمرني أن أحرق
 قريشًا فقات رب إذا يملأوا رأسي فيدعوه خبزة . قال استخرجهم كلًا خارجوك
 وأغزمهم نعلك . واتفق فسينفق عليك وأبث جيشًا نبعت خمسة مثله . وقال بمن
 أطاعك من عصاك . قال وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ،
 ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وغنيف متعفف ذو عيال .
 وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعًا لا يبعثون فيكم أهلًا
 ولا مالًا ، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانته . ورجل لا يصبغ ولا يمسح
 إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك . وذكر البخيل ، أو الكذب والشنظير النحاش
 وإن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على
 أحد . وفي الصحيحين من حديث دارنة بن وهب قال سمعت النبي صلى الله عليه
 وسلم يقول : « ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره
 ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ متكبر » . وقال الامام أحمد حدثنا علي بن
 اسحق قال أنبأنا عبد الله أنبأنا موسى بن علي بن رباح قال سمعت أبي يحدث
 عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أن أهل النار
 كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع ، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون » وذكر
 خلف بن خليفة عن أبي هاشم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة . النبي في الجنة
 والصديق في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والرجل يزور أخاه في ناحية المحضر لا يزوره
 إلا لله في الجنة . ونساءكم من أهل الجنة الودود الولود التي إذا غضب أو غنبت
 جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها ثم تقول لا أذوق غمضا حتى ترضى » أخرجه النسائي
 من هذا الحديث فضل النساء خاصة وباقى الحديث على شرطه ، وروى الامام
 أحمد في مسنده بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى
 الله عليه وسلم قال : « أن أهل النار كل جعظري جواظ متكبر جماع مناع
 وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون » وقال ابن ماجه في سننه حدثنا محمد بن يحيى
 وزيد بن أكرم قال أنبأنا مسلم بن إبراهيم حدثنا أبو هلال الرايسي حدثنا عقبه بن
 أبي ثبيت الراسي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : « أن

أهل الجنة من ملائكة من ثناء الناس خيرا وهو يسمع . وأهل النار من ملائكة من ثناء الناس شرا وهو يسمع » وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال : « مر بمحاضرة فأثنى عليها خير فقال نبي الله وجبت وجبت ومرة بمحاضرة فأثنى عليها شرا فقال وجبت وجبت وجبت ، ومرة بمحاضرة فأثنى عليها شرا فقالت وجبت وجبت وجبت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أثبتتم عليه خيرا وجبت له الجنة ، ومن أثبتتم عليه شرا وجبت له النار ، وأنتم شهداء الله في الأرض » وفي الحديث الآخر « يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار قلوا كيف يارسول الله ؟ قال بالثناء الحسن وبالثناء السيئ » وبالجملة فأهل الجنة أربعة أصناف ذكرهم الله سبحانه وتعالى في قوله « ومن يطعم الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » فنسأل الله أن يجعلنا منهم بكمه وكرمه

— الباب الثلاثون —

(في أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم)

في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما ترضون أن تكونوا ربيع أهل الجنة ؟ فكبرنا ، ثم قال أما ترضون أن تكونوا ثمار أهل الجنة ؟ فكبرنا ، ثم قال اني لارجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، وسأخبركم عن ذلك ، ما المسامون في الكفار إلا كشجرة بيضاء في ثور أسود أو كشجرة سوداء في ثور أبيض » هذا لفظ مسلم ، وعند البخاري : « وكشجرة سوداء في ثور أبيض » بغير الف . وعن يزيد بن الحبيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الأمة منها ثمانون صفا » رواد الإمام أحمد والترمذي واسناده على شرط الصحيح ، ورواه الطبراني في معجمه من حديث عبد الله بن عباس وفي اسناده خالد بن يزيد البجلي وقد تكلم فيه ورواه أيضا من حديث القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف أنتم وربع الجنة لكم ، ولسائر الناس الثلاثة أرباعها ؟ قلوا الله ورسوله أعلم ، قال كيف أنتم وثلثها ، قلوا ذلك أكثر ، قال كيف أنتم والشمس لكم ؟ قلوا ذلك أكثر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم أهل الجنة عشرون ومائة صف لكم منها ثمانون صفاء قال الطبراني لم يرو
هذا الحديث عن القاسم بن عبد الرحمن ، الا الحرث بن خزيمة تفرد به عبد
الواحد بن زياد . وقال عبد الله بن أحمد حدثنا موسى بن غيلان بن هاشم بن
محمد حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن أبي عمرو . عن أبيه عن أبي
هريرة قال : « لما نزلت (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : أنتم ربع أهل الجنة أنتم ثلث أهل الجنة أنتم نصف أهل الجنة
أنتم ثلثا أهل الجنة » قال الطبراني تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري . وقال
خزيمة بن سليمان القرشي حدثنا أبو قلابة هو عبد الملك بن محمد بن بكر
الصيرفي حدثنا حماد بن عيسى حدثنا سفيان الثوري عن يوز بن حكيم عن أبيه
عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أهل الجنة عشرون ومائة صف
أنتم منها ثمانون صفاء » وهذه الأحاديث قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها
وصح سند بعضها ولا تنافي بينها وبين حديث الشطر لانه صلى الله عليه وسلم
رجا أولا ان يكونوا شطر أهل الجنة فأعطاه الله سبعهائة رجاء وزاد عليه
سبعهائة آخر . وقد روى أحمد في مسنده من حديث أبي الزبير أنه سمع جابرا
يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أرجو أن يكون من يتبعني
من أمتي يوم القيامة ربع أهل الجنة » قال فكبرنا ثم قال فارجو أن تكونوا
الشطر » واسناده على شرط مسلم

باب الطلح والثلثون

(في أن النساء في الجنة أكثر من الرجال وكذلك هم في النار)
ثبت في الصحيحين من حديث أيوب عن محمد بن سيرين قال : « أما تناسروا
وأما تذاكروا الرجال أكثر في الجنة أم النساء ؟ فقال أبو هريرة لم يقل أبو
القاسم صلى الله عليه وسلم ان أول زمرة تدخل الجنة على سورة القمر ليلة
البدر واتى تليها على أضواء كوكب دري في السماء لسكنى امرئ منهم زوجتان
انثنان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم : وما في الجنة عزب فان كن من نساء
الدنيا والنساء في الدنيا أكثر من الرجال وإن كن من الطور العين لم يلزم
أن يسكن في الدنيا أكثر . والشاهر أنهم من الطور العين لما رواه الامام
أحمد حدثنا عثمان حدثنا حماد بن سفيان حدثنا يونس عن محمد بن سيرين . »

أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم «لأرجل من أهل الجنة زوجتان من
الطور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب» فإن
قيل فكيف تجمعون بين هذا الحديث وبين حديث جابر المتفق عليه «شهدت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العبد صلى قبل أن يخطب بغير أذان ولا
اقامة ثم خطب بعد ما صلى فوعظ الناس وذكرهم ثم أتى النساء فوعظهن ومعه
بلال فذكرهن وأمرهن بالصنفة» قال فجعلت المرأة تلقى خاتما، وخرصها
والشيء كذلك، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فجمع ما هناك، قال إن منكن
في الجنة ليسير، فقالت امرأة يا رسول الله لم؟ قال إنكن تكثرن اللعن، وتكفرن
العشير» وفي الحديث الآخر «إن أقل ساكني الجنة النساء» قيل هذا يدل
على أنهن إنما كن في الجنة أكثر بالطور العين التي خلقن في الجنة وأهل ساكنيها
نساء الدنيا فنساء الدنيا أقل أهل الجنة وأكثر أهل النار، أما كونهن أكثر
أهل النار فلما روى البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين قال بلغني
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها
النساء، واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء» وفي صحيح مسلم عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اطلعت في الجنة فرأيت
أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء» وروى
الامام أحمد بإسناد صحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: «اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء، واطلعت في الجنة فرأيت
أكثر أهلها الفقراء» وفي المسند أيضا من حديث عبد الله بن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء
واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء» وفي الصحيح من
حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا معشر النساء
تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة منهن
خلة ومالنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال تكثرن اللعن وتكفرن
العشير، ما رأيت من ذنوبات عقل ودين أغلب لدى لب مبكّن، قالت يا رسول
الله وما نقصان العقل والدين؟ قال أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل

بشهادة رجل فهذا نقصان العقل ، وتمكث الاليم لا تعلى وتفتقر فهذا نقصان الدين . وما كونهن أقل أهل الجنة في أفراد مسام عن مطرف بن عبد الله « أنه كنت في امرأتان فجاء من عند أحدهما قتلات الأخرى جئت من عند فلانة . فقال جئت من عند عمران بن حصين فحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان أقل ساكني الجنة النساء » « فأن قيل لما تصنعون بالحديث الذي رواه أبو يعلى الموصلي حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد حدثنا أبو رافع اسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الانصار عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في دائرة من أصحابه فذكر حديثاً طويلاً وفيه « فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة ما ينشئ الله تعالى وثنتين من ولد آدم لما فضل على من أنشأ الله بعبادتها الله في الدنيا » وذكر الحديث قيل هذا قطعة من حديث الصور الطويل ولا يعرف إلا من حديث اسماعيل بن رافع وقد ضعفه أحمد ويحيى وجماعة وقال الدارقطني وغيره متروك الحديث وقال ابن عدي أحاديثه كلها مما فيه نظر . وأما البخاري فقال فيه ما حكاه الترمذي عنه قال سمعت محمداً يقول فيه هو ثقة مقارب الحديث « قلت » ولكن إذا روي مثل هذا ما يخالف الأحاديث الصحيحة لم يثبت إلى رايته وأيضاً فالرجل الذي روى عنه القرظي لا يدرى من هو . وقد روى عنه أحمد في مسنده من حديث عمارة بن خزيمة بن ثابت قال « كنا مع عمرو بن العاص في حج أو عمرة حتى إذا كنا بمر الظهران فإذا امرأة في هودجها قال قال فدخل الشعب فدخلنا معه فقال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المكان فإذا نحن بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحر المنقار والرجلين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب في هذه الغربان » والأعصم من الغربان الذي في جناحه ريشة بيضاء قال الجوهرى ويقال هذا كقولهم : الأباقي العقوق وبيض الانوق ، لسكن شيء يعز وجوده . وفي النهاية الغراب الأعصم هو الأبيض الجناحين وقيل الأبيض الرجل أراد قلة من يدخل الجنة من النساء لأن هذا الوصف في الغربان قليل عزيز . وفي حديث آخر « المرأة الصالحة مثل الغراب الأعصم . قيل وما الغراب الأعصم يا رسول الله ؟ قال

الذي إحدى رجاله بيضاء» وفي حديث آخر «عائشة في النساء كالغراب الأعجم في غرابان»

❦ الباب الثاني والثلاثون ❦

(فبعد أن يدخل الجنة من هذه الامة بغير حساب وذكر أوصافهم)

ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يدخل الجنة من أمتي زمرة سبعون ألفا تضيء وجوههم أضواء القمر ليلة البدر ، فقام عكاشة بن محصن الاسدي يرفع مرة عليه . فقال يرسل الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله منهم ، فقدم رجل من الانصار فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال سمعتك بها عكاشة » وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب أو سبعون ألف آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر » فهذه هي الزمرة الاولى وهم يدخلونها بغير حساب والدليل عليه ما ثبت في الصحيحين والسياق لمسلم حدثنا سعيد بن منصور حدثنا هشام أنبأنا خفيف بن عبد الرحمن قال كنت عند سعيد بن جبير فقال : « أيكم الذي رأى الكوكب الذي انقض البارحة ؟ قلت أنا ، ثم قلت أما اني لم أكن في صلاة ولا كنني لدغت ، قل فما صنعت ؟ قالت استرقيت . قال فما حملك على ذلك ؟ قالت حديث حدثناه الشعبي . قال وما حدثكم الشعبي ؟ قلت حدثنا عن بريدة ابن الحصيب الاسفي أنه قال : لارقية الا من عين أو حمة فقال قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرضت على الامم فראيت النبي ومعه الرطط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد ، ورفع الى سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقبل لي هذا موهمي وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقبل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فمخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم لعلمهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام فلم يشركوا بالله شيئا وذكروا أشياء فخرج

عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما الذي تخوضون فيه ؟ فأخبروه
فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، فقال
عكاشة بن محصن فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت منهم ، ثم قام رجل
آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال : سبقك بها عكاشة ، وليس عند البخاري
لا يرقون قال شيخنا وهو الصواب وهذه اللفظة وقعت مقحمة في الحديث
وهي غلط من بعض الرواة فإن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الوصف الذي
يستحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب هو تحقيق التوحيد وتحريره فلا
يسألون غيرهم أن يرقهم ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون والطيرة نوع من
الشرك ويتوكلون على الله وحده لا على غيره وتركهم الاسترقاء والتطير هو من
تمام التوكل على الله كما في الحديث « الطيرة شرك » قال ابن مسعود : وما منا إلا من
تطير ، ولكن الله يذهب بالتوكل ، فالتوكل ينافي التطير وأما رقية العين فهي
إحسان من الرقيق قد رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل وأذن في الرق
وقال لا بأس بها ما لم يكن فيها شرك واستأذنه فيها فقال من استطاع منك
أن ينفع أخاه فلينفعه ، وهذا يدل على أنها نفع وإحسان وذلك مستحب مطلوب
لله ورسوله فالراقي محسن والمسترق سائل راج نفع الغير والتوكل ينافي ذلك
« فإن قيل » فعاشقة قد رقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل قد رقا
« قيل » أجل ولكن هو لم يسترق وهو صلى الله عليه وسلم لم يرق ولا يرقهم رقى
وأما قال لا يطلبون من أحد أن يرقهم ، وفي امتناعه صلى الله عليه وسلم أن
يدعو لرجل الثاني سيد باب الطلب فإنه لو دعا لكل من سأل ذلك فربما طلبه
من ليس من أهله والله أعلم وفي صحيح مسلم من حديث محمد بن سيرين عن
عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل الجنة من أمي
سبعون ألفا بغير حساب ولا عذاب ، قيل ومن هم ؟ قال هم الذين لا يمتنون ولا
يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » وفي صحيحه أيضا من حديث
الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله قال : « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكر
حديثا طويلا وفيه فتنجوا أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفا
لا يحاسبون ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء ، ثم كذلك : وذكر تمام
الحديث وقال أحمد بن حنبل في صحيحه حديث عبد الله بن مسعود

عن سالم عن زر عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « من مات من الأهم بالوهم فوالله إنى أمتى ثم رأيتهم لما عجبني كثيرهم .
 وهميتهم قد ملأوا السهل والجبل فقال أراضيت يا محمد ؟ فقلت نعم فقال ان مع
 هؤلاء سبعين ألفا يدخل الجنة بغير حساب . وهم الذين لا يسترقون . ولا
 يكتفون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محسن فقال يا رسول الله ادع الله
 أن يبدلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت منهم فقام رجل
 آخر فقال سيقتك بها عكاشة » واسناده على شرط مسلم

- الباب الثالث والثلاثون -

(في ذكر حثيات الرب تبارك وتعالى الذين يدخلون الجنة)

قال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا اسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد
 قال سمعت أبا أمامة السهمي يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول : « وعدني ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا بغير حساب مع كل
 ألف سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات من حثيات ربى »
 قالت واسماعيل بن عياش إنما يخف من تدليسه وضعفه فأما تدليسه فقد قال
 الطبراني حدثنا أحمد بن المولى الدمشقي والحسين بن اسحاق التستري قالوا
 حدثنا بهشام بن عمار قال حدثنا اسماعيل بن عياش قال أخبرني محمد بن زياد
 الاطفاي قال سمعت أبا أمامة فذكره كما وأما وضعفه فأما هو في غير حديث الشاميين
 وهذا من روايته عن الشاميين ، وأيضاً فقد جاء من غير طريقه . قال أبو بكر
 ما بن أبي عامر حدثنا دحيم حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا صفوان بن عمرو عن
 سليم بن عامر عن أبي الهيثم الطوزي عن أبي أمامة . عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال : « أنى الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا بغير حساب
 قال يزيد بن الأختس والله أولئك في أمتك يا رسول الله إلا مثل الزباب
 إلا أنى الله وعدني رسول الله ﷺ « وأن الله وعدني سبعين ألفا مع كل
 ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات » قال أبو عبد الله المقدسي أبو الهيثم
 اسمه عامر بن عبد الله بن الحكي ودحيم لقب واسمه عبد الرحمن بن إبراهيم
 القاسمي تميمي البصري ومن فوقه إلى أبي أمامة من رجال الصحيح إلا
 أن زكري . وما مات فيه جرحا قال الطبراني حدثنا أحمد بن خليد حدثنا

أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول حدثني عامر بن يزيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفاً، ثم يحثي ربي تبارك وتعالى بكفيمه ثلاث حشيات فأكبر عمر وقل أن الجمعين الأول يشفعهم الله في آياتهم وأبنائهم وعشائرهم وأرجو أن يجعاني الله في إحدى الحشيات الأواخر» قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد لا أعلم لهذا الإسناد دلة قال الطبراني وحدثنا أحمد بن خالد حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول حدثني عبد الله بن عامر بن قيس الكندي أن أبا سعيد الأنباري حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ويشفع لكل ألف سبعين ألفاً ثم يحثي ربي ثلاث حشيات بكفيمه: قول ابن قيس فقلت لابي سعيد أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال نعم بأذني ووعاه قلبي قال أبو سعيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك إن شاء الله يستوعب مهاجري أمتي ويوفي الله عز وجل بقيته من أروابنا» قال الطبراني لم يرو هذا الحديث عن أبي سعيد الأنباري إلا بهذا الإسناد وتترد به معاوية ابن سلام وقد رواه محمد بن سهل بن عسكر عن أبي توبة الربيع بن نافع بإسناده وفيه قال أبو سعيد «حسب ذاك عند رسول الله ﷺ قبل أن أربعمائة ألف وتسعمائة ألف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ذلك يستوعب إن شاء الله مهاجري أمتي» قال الطبراني حدثنا محمد بن صالح بن الوليد الترمذي ومحمد بن يحيى بن منده الاصبهاني قالوا أخبرنا أبو حفص عمرو بن عتيق حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن أبي بكر بن أنس عن أبي بكر بن عمير عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله وعدني أن يدخل من أمتي ثلاثمائة ألف الجنة فقال عمير يا رسول الله زدنا فقال هكذا بيده فقال عمير يا رسول الله زدنا فقال عمر حسبك يا عمير قال ما لنا ولك بالبن الخطاب وما عليك أن يدخلنا الله الجنة فقال عمر إن الله عز وجل إن شاء أدخل الناس الجنة بحفنة أو بحمية واحدة فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم صدق عمر» قال

محمد بن عبيد الواحد لا أعرف لعمير حديثاً غيره . وفي الحلية من حديث سليمان
ابن حرب حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « وعدني أن يدخل الجنة مائة ألف فقال أبو بكر
يا رسول الله زدنا قال وهكذا وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك قال يا رسول
الله زدنا فقال عمر إن الله قادر أن يدخل الناس الجنة بمئة واحدة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم صدق عمر » رواه عنه أبو إبراهيم بن الهيثم البلدي وفيه
ضعف تفرد به . أبو هلال الراصبى بصرى واسمه محمد بن سليمان وقال عبد
الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة عن النضر بن أنس عن أنس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أتى أربعين ألف . قال
أبو بكر زدنا يا رسول الله قل وهكذا وجه بين يديه قال زدنا يا رسول الله قل
وهكذا . فقال عمر حسبت يا أبا بكر فقال أبو بكر دعني وما عليك أن يدخلنا
الجنة كلنا ! فقال عمر إن شاء الله أدخل الجنة بألف واحدة فقال النبي صلى
الله عليه وسلم صدق عمر » تفرد به عبد الرزاق وقال أبو يعلى الموصلى في مسنده
حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا عبد القاهر بن السرى السهمى حدثنا حميد عن
أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل الجنة من أتى سبعون ألفاً قلوا
زدنا يا رسول الله فقال وهكذا وحشي بيده . قلوا يا نبي الله أبعد الله من دخل
النار بعد هذا » قال محمد بن عبد الواحد لا أعلمه روى عن أنس بهذا الطريق
وسئل يحيى بن معين عن عبد الله قال صالح ، وأصحاب هذه الحثيات هم
الذين وقعوا في قبضته الأولى سبحانه يوم القبضتين . « فإن قيل » فكيف كانوا
أولاً قبضة واحدة ثم صاروا ثلاث حثيات مع العدد المذكور « قيل » الرب سبحانه
وتعالى أسرج يوم القبضتين صورهم وأشباحهم وقد روى أنهم كانوا كأكلر وأما
يوم الحثيات فيكونون أتم ما كانوا خلقوا وأكمل أجساماً ، فنامسب أن تعدد
الحثيات بكثرتها اليدين والله أعلم

باب الرابع والثلاثون

في ذكر قرابة الجنة ونعيمها وحسبها ونعيمها

قال الامام أحمد حدثنا أبو النضر وأبو كامل قال أنبأ
الشافعي حدثنا أبو مدلة مولى أم المؤمنين سمية أبا هريرة

الله إذا رأيته كدقت لموتنا وكننا من أهل الآخرة، وإذا فرقناك أعجبنا الله بما أوتينا
 المساء والاولاد، قال لو تذكرون على كل حال على الحال التي أنتم عليها غدي أيضا فتكم
 الملائكة بأكتفهم ولزارتكم في بيوتكم، ولولم تذنبوا لجاء الله يقوم يذنبون كي
 يغفر الله لهم، قال قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال لبنة ذهب
 ولبنة فضة، وملأها (١) المسك، وحصباءها اللاؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من
 يدخلها ينعم لا يبأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، ثلاثه لا ترد
 دعوتهم الإمام العادل والصلوات حتى يفطار، ودعوة المقام تحمل دلى الفصام
 وتفتح لها أبواب السموات ويقول الرب وعزتي وحلالى لانصرنك ولو بعد
 حين» وروى أبو بكر بن مردويه من حديث الحسن عن ابن عمر قال: «سئل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة فقال من يدخل الجنة يحيا لا يموت
 وينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، قيل يا رسول الله كيف بناؤها؟ قال
 لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وملأها مسك أنذر وحصباءها اللاؤلؤ والياقوت،
 وترابها الزعفران» هكذا جاء في هذه الأحاديث أن ترابها الزعفران وكذلك
 روى عن يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن العلاء بن زيد عن أبي
 هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الجنة لبنة من ذهب ولبنة من
 فضة، وترابها الزعفران وطينها المسك» وفي الصحيحين من حديث الزهري عن
 أنس بن مالك قال: «كن أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 : «أدخلت الجنة فذا فيها جناب (٢) لؤلؤ وإذا ترابها المسك» وهو قطعة من حديث
 المعراج وقد روى مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سادة عن الحريري
 عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «سأل
 ابن صياد عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص» فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم صدق» ثم رواه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة
 عن الحريري عن أبي نضرة أن ابن صياد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن
 تربة الجنة فقال: «درمكة بيضاء مسك خالص» وقال سفيان بن عيينة عن مجاهد عن
 الشامي عن جابر بن عبد الله قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد قد
 غاب أصحابك اليوم قل وبأى شيء غابوا؟ قال سألهم اليهود كم عدد خزنة النار

(١) ملأها بطينها (٢) الجناب جمع جنبذة وهي التبة)

فقالوا لا ندري حتى نسأل نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يغلب
 قوم سألوا عما لا يعلمون فقالوا حتى نسأل نبينا!! ولكن هم أعداء الله سألوا
 نبيهم أن يرهم الله جيرة. على باعداء الله فأنى سألهم عن تربة الجنة وأنها درمكة
 فلما أن جاؤوا يابأ القاسم كم عدة خزنة النار؟ فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بيديه كلمتيهما هكذا وهكذا وقبض واحدة أى تسعة عشر. فقال لهم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تربة الجنة؟ فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا خبزة
 يابأ القاسم فقال النبي صلى الله عليه وسلم الخبزة من الدرمة. فهذه ثلاث صفات
 في تربتها لا تعارض بينها فذهبت دائرة من السلف إلى أن تربتها متضمنة للنوعين
 المسك والزعفران. قال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن أبي عبيد عن أبيه
 عن الاعمش عن مالك بن الحارث قال قال معتب بن سمي: الجنة ترابها المسك
 والزعفران، ويحتمل معنيين آخرين (أحدهما) أن يكون التراب من زعفران فإذا
 عجن بالماء صار مسكا والطين يسمى ترابا ويدل على هذا قوله في اللفظ الآخر
 ملاطها المسك والملاط الطين ويدل عليه أن في حديث العلاء بن زياد «ترابها
 الزعفران وطينها المسك» فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيباً فانضم أحدهما
 إلى الآخر حدث لهما طيب آخر فصار مسكا (المعنى الثاني) أن يكون زعفرانا
 باعتبار اللون مسكا باعتبار الرائحة وهذا من أحسن شيء يكون، البهجة والاشراق
 لون الزعفران والرائحة رائحة المسك، وكذلك تشبهها بالدرمك وهو الخبز
 الصافي الذي يضرب لونه إلى صفرة مع لينها ونعومتها وهذا معنى ما ذكره
 سفيان بن عيينة عن أبي نعيم عن مجاهد بننا أرض الجنة من فضة وترابها
 المسك فاللون في البياض لون الفضة والرائحة رائحة المسك وقد ذكر ابن أبي
 الدنيا من حديث أبي بكر بن أبي شيبة عن عمر بن عطاء بن زبارة عن سالم
 ابن المغيرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أرض الجنة بيضاء
 عرصتها صخور الكافور وقد أحاط به المسك مثل كشبان الرمل فيها أنهار مطردة
 فيجتمع فيها أهل الجنة أدناهم وآخرهم فيتعارفون فيبعث الله ريح الرحمة فتحبب عليهم
 ريح المسك فيرجع الرجل إلى زوجته وقد ازداد حسنا وطيبا فتقول لقد خرجت من
 عندي وأنا بك معجبة وأنا بك الآن أشد إعجابا» وقال ابن أبي شيبة حدثنا معاوية
 ابن هشام حدثنا علي بن صالح عن عمر بن ربيعة عن الحسن عن ابن عمر قال
 «قيل يا رسول الله كيف بناء الجنة؟ قال لبننة من فضة ولبننة من ذهب وملاطها

مسك ذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وقرابها الزعفران » وقال أبو الشيخ
حدثنا الوليد بن أبان حدثنا أسيد بن عاصم حدثنا الحوضي حدثنا عدي بن
الفضل حدثنا سعيد الحريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال قال رسول الله
ﷺ: «إن الله بنى جنات عدن بيده وبنّاؤها لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل
ملاطها المسك الذفر وقرابها الزعفران وحصباؤها اللؤلؤ، ثم قال لها تكلمي
فقات قد فلاح المؤمنون، فقات الملاطتك مني لك منزل أنزلت » وقال أبو
الشيخ حدثنا عمرو بن الحسين حدثنا أبو عيسى حدثنا ابن جبريل عن عطاء
عن عبيد بن عمير عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قات
ليلة أسرى بي جبريل أنهم سيسألوني عن الجنة قال فأخبرهم أنها من درة بيضاء
وأب أرضها عقيان » والعقيان الذهب فإن كان ابن علقمة حفظه فهني أرض
الجنة الذهبيتين فيكون جبريل أخبره بأعلى الجنة وأفضلهما والله أعلم

— الباب الخامس والملاثون —

(في ذكر نورها وبياضها)

قال أحمد بن منصور الرمادي أنباء كثير بن هشام حدثنا هشام بن زياد وأبو المقدم
عن حبيب بن الشهيد عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال: «خلق الله الجنة بيضاء وأحب اللون إلى الله الأبيض فليلبسه
أحياءكم وكفنوا فيه موتاكم، ثم أمر برعاء الشاء فجمعت فقال من كان منكم
ذا غنم سود فليخاطبها بيضاء، فجاءته امرأة فقالت يا رسول الله أني اتخذت
غنما سودا فلا أراها تنمو قال غفري » وقوله «غفري» أي بيضى وذكر أبو ذؤيب
من حديث عباد بن عباد حدثنا هشام بن زياد عن يحيى بن عبد الرحمن عن
عطاء عن ابن عباس يرفعه: «إن الله خلق الجنة بيضاء وإن أحب اللون إلى الله
البياض فليلبسه أحياءكم وكفنوا فيه موتاكم » وذكر من طريق عبد الحميد بن
صالح حدثنا أبو شهاب عن حمزة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالبياض فإن الله خلق الجنة بيضاء فليلبسه
أحياءكم وكفنوا فيه موتاكم » وروينا من طريق البخاري حدثنا عبد الله بن
محمد حدثنا سويد بن سعيد حدثنا عبد ربه الحنفي عن خاله الزميل بن الساجك أنه

سمع أباه يحدث أنه لقي عبد الله بن عباس بالمدينة بعد ما كف بصره فقال
«يا ابن عباس ما أرض الجنة؟ قل مرة بمضاء من فضة كأنها مرآة، ثات فما نورها؟
قال ما رأيت الساعة اتى تكون فيها قبل طلوع الشمس فذلك نورها الا انه
ليس فيها شمس ولا زمهرير» وذكر الحديث وسيأتى إن شاء الله تعالى وفي حديث
لقيط بن عامر الطويل الذى رواه عبد الله بن أحمد فى مسند أبيه عن النبي
صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث وقال «وتحتبض الشمس والقمر فلا يروُن
منهما واحداً» قل قلت يا رسول الله فبم نبصر؟ قال مثل بصرك فى ساعتك هذه
وذلك مع طلوع الشمس فى يوم أشرفته الارض وواجهته الجبال « وفى سنن
ابن ماجه عن حديث الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر عن الضحاك المغافرى
عن سليمان بن موسى حدثنى كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: «ألا هل مشعر للجنة فان الجنة لا خطر لها، هى ورب الكعبة
نور تلالاً وريحانة تهتز وقصر مشيد، ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء
جميلة، وحال كثيرة، ومقام فى أبدي دار سليمة، وفكة وخضرة وحبرة ونعمة فى
محلة عالية بنية» قالوا نعم يا رسول الله نحن المشعرون لها. قال قولوا إن شاء الله قال
القوم ان شاء الله «

﴿الباب السادس والثلاثون﴾

(فى ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها)

قال الله تعالى: «الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية» وأخبر
أنها غرف فوق غرف وأنها مبنية بناء حقيقة لثلاث تنوهم النفوس أن ذلك تمثيل
وانه ليس هناك بناء بل تتصور النفوس غرف مبنية كالعلالي بعضها فوق بعض حتى
كانها ينظر اليها عيانا ومبنية صفة للغرف الاولى والثانية أى لهم منازل مرتفعة وفوقها
منازل أرفع منها وقال تعالى: «أولئك يحزون الغرفة بما صبروا» والغرفة جنس كالجنة
وتأمل كيف جعل جزاءهم على هذا الاقوال المتضمنة للخضوع والذل والاستكانة لله
الغرفة والتحية والسلام فى مقابلة صبرهم على سوء خطاب الجاهلين لهم فبدلوا
بذلك سلام الله وملائكته عليهم . وقال تعالى: «وما أموالكم ولا أولادكم بالتي
تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا
وهم فى الغرفات آمنون» وقال تعالى: «يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات
تجرى من تحتها الانهار» ومساكن طيبة فى جنات عدن « وقال تعالى

عن امرأة فرعون أنها قالت «رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة» وروى الترمذى في جامعه من حديث عبد الرحمن بن اسحق عن النعمان بن سعد عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان في الجنة غرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها؛ فقام أعرابي فقال يا رسول الله لمن هي؟ قال لمن طيب الكلام؛ وأطعم الطعام. وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام» قال الترمذى هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الرحمن بن اسحاق. وقال الطبرانى حدثنا عبدان ابن أحمد حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام قال حدثني أبو سلام حدثني أبو معانق الاشعري حدثني أبو مالك الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدّها الله لمن أطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام» وروى ابن وهب حدثنا حيي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها» قال أبو مالك الاشعري لمن هي يا رسول الله؟ قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وبات قائماً والناس نيام» قال محمد بن عبد الواحد وهو عندى اسناد حسن وذكر أبي هـ لك فيه يدل على صحته لان أبا مالك قد رواه واسناده أيضاً حسن وقد تقدم حديث أبي سعيد المتفق على صحته: «ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما تراءون السكوكب الغابر من الافاق» وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ان للمؤمن في الجنة خليفة من لؤلؤة واحدة مخوفة طولها ستون ميلاً فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً» وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «من بنى لله مسجداً بنى الله بيتاً في الجنة» وقوله في حديث أبي موسى: «يقول الله عز وجل لمن حمد واسترجع عند موت ولده ابنوا لعبادى بيتاً في الجنة وسمو بيت الحمد» وفي الصحيحين من حديث عبد الله ابن أبي أوفى وأبي هريرة وعائشة «أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم هذه خديجة اقرئها السلام من ربها وامره أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب» والقصب هنا قصب اللؤلؤ الخجوف؛ وقد روى ابن أبي الدنيا من حديث يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة عن عكرمة عن أبي هريرة

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أن في الجنة لقصرًا من لؤلؤ لابس فيه صانع ولا وهن أعدده الله عز وجل لخليفة إبراهيم» وفي الصحيحين من حديث حميد عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أدخلت الجنة فأذا أنا بقصر من ذهب فقلت لمن هذا القصر؟ قالوا الشاب من قريش فظننت أني أنا هو، فقات ومن هو؟ قالوا لعمر بن الخطاب: وهو فيهما من حديث جابر ولفظه «فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب» وقد تقدم وقال ابن أبي الدنيا حدثنا شجاع بن الأشرس قال سمعت عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن حميد عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «دخلت الجنة فإذا قصر أبيض قال فأتيت لجبريل لمن هذا القصر؟ قال لرجل من قريش فرجوت أن أكون أنا فقات لاي قريش؟ قال لعمر بن الخطاب: وهذا إن كان محفوظًا فببياضه نوره واشراقه وضيائه والله أعلم. وقال الحسن قصر من ذهب لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل يرفع بها صوته. وقال الأعمش عن مالك بن الحارث عن مغيث بن سمي قال: أن في الجنة قصرًا من ذهب وقصورًا من فضة وقصورًا من لؤلؤ وقصورًا من ياقوت وقصورًا من زبرجد. وقال الأعمش عن مجاهد عن حميد بن عمير قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة من له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها. وروى البيهقي من حديث حفص بن عمر حدثنا عمرو بن قيس الملائي عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في الجنة لغرفًا فإذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها وإذا كان خلفها لم يخف عليه ما فيها» قيل لمن هي يا رسول الله؟ قال لمن أطاب الكلام وواصل الصيام وأطعم الطعام وأفشى السلام وصلى والناس نيامًا قال وما طيب الكلام؟ قال سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فأنها تأتي يوم القيامة ولها مقدمات ومعدات: قيل وما واصل الصيام؟ قال من صام شهر رمضان ثم أدرك شهر رمضان فصامه: قيل وما أطعم الطعام؟ قال من قات عياله وأطعمهم: قيل وما أفشى السلام؟ قال مصافحة أخيك وتحيمته: قيل وما الصلاة والناس نيامًا؟ قال صلاة العشاء الآخرة» قال حفص بن عمر هذا مجهول لم يروه عنه غير علي بن حرب فيما أعلم قات هذا يلقب بالكفر بفتح الكاف وسكون الفاء وقد روى عنه محمد بن غالب تمام وعلي ابن حرب وهما ثقتان ولكن ضعفه ابن عدى وابن حبان وحديثه هذا له شواهد

والله أعلم وفي فوائد ابن السكك حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور حدثنا
 أبي حدثنا عبد الرحمن بن عبد المؤمن قال سمعت محمد بن واسع يذكر عن الحسن
 عن جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا أحدثكم بغرف الجنة؟
 قال قلنا بلى يا رسول الله بآيينا أنت وأمناء. قال إن في الجنة غرفا من أصناف الجواهر
 كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنهما من ظاهرها، فيها من النعم والذات ما لا
 عين رأت ولا أذن سمعت، قال قلنا يا رسول الله لمن هذه الغرف؟ قال لمن أفشى
 السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام، قال لنا يا رسول الله ومن
 يطيق ذلك؟ قال أمتي تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقي أخاه فسلم عليه فقد
 أفشى السلام، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام،
 ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام، فقد أدام الصيام ومن صلى صلاة
 العشاء الأخيرة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام. اليهود والنصارى والمجوس»
 وهذا إسناد وإن كان لا يحتج به وحده فإذا انضم إليه متقدم استفاد قوة مع
 أنه قد روى بسنادين آخرين

— الباب السابع والثلاثون —

(في ذكر معرفتهم لمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة)
 (وإن لم يروها قبل ذلك)

قال تعالى : (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يغفر الله لهم سيئاتهم ويصلح
 باطنهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم) قال مجاهد يبتدى أهملها إلى بيوتهم ومساكنهم
 لا يخطئون كما أنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحداً وقال ابن عباس
 في رواية أبي صالح «م أعرف بمنازلهم من أهل الجنة إذا انصرفوا إلى منازلهم». وقال
 محمد بن كعب يعرفونها كما تعرفون بيوتكم في الدنيا إذا انصرفتم من يوم الجمعة. هذا
 قول جمهور المفسرين وتأخييص أقوالهم ما قاله أبو عبيدة عرفها لهم أي بينها لهم حتى
 عرفوها من غير استدلال وقيل مقاتل بن حيان: بلغنا أن الملائكة الموكل بحفظ بني آدم
 عشي في الجنة ويتبعه ابن آدم حتى يأتي أقصى منزل هو له فيعرفه كل شيء أعطاه
 الله في الجنة فإذا دخل إلى منزله وأزواجه انصرف الملائكة عنه . وقال سلمة بن
 كهيل طرقها لهم ومعنى هذا أنه طرقها لهم حتى يهتدوا إليها وقال الحسن وصف الله
 الجنة في الدنيا لهم فإذا دخلوها عرفوها بصفتها وعلى هذا القول فالتعريف وقع

في الدنيا ويكون المني بدخايم الجنة التي عرفها لهم وعلى القول الاول يكون التعريف واقعا في الآخرة هذا كله اذا قيل انه من التعريف وفيها قول آخر انه من العرف وهو الرائحة الطيبة وهذا اختيار الزجاج أى دليلها ومنه طعام معرف أى مطيب وقيل هو من العرف وهو التتابع أى تابع لهم دليلاتها وملاذها والقول هو الاول وانه سبحانه أعلمها وبينها بما يعلم به كل أحد منزله وداره فلا يتعمده إلى غيره . وفي صحيح البخارى من حديث قتادة عن أبى المنوكل الناجى عن أبى سعيد الخدرى أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا خلص المؤمنون من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار يتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا وتقوا أذن لهم بدخول الجنة ، والذي نرى بيده أن أحدهم بمنزلة في الجنة أدل منه بمسكنه كن في الدنيا » وفي مسند آخر من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأحوالكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة »

❦ الباب الثامن والثلاثون ❦

(في كيفية دخولهم الجنة وما يستقبلون عند دخولها)

قد تقدم قوله تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً) وذلك تعالى (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) قال ابن أبى الدنيا حدثنا محمد بن عباد بن موسى العكلى حدثنا يحيى بن سليم الطائفى حدثنا اسماعيل بن عبد الله المكي حدثنا أبو عبد الله انه سمع الضحاك بن مزاحم يحدث عن الأثر عن على أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) قال قلت يا رسول الله ما الوفد إلا ركب قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليهم رجال الذهب شرك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مثل مد البصر وينتهون إلى باب الجنة فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عيمان فإذا شربوا من إحداها جرت في وجوههم نضرة النعيم ، وإذا توضؤوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبداء ، فيضربون الحلقة بالصنمجة فلوسمعت طنين الحلقة فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتستخفها

العجلة فتبعت قيمها فيفتح له الباب فلولا ان الله عز وجل عرفه نفسه لخر له
ساجداً لما يرى من النور والبهاء ، فيقول أنا قيمك الذي وكلت بامرك ، فيتبعه
فيقفوا أثره فيأتى زوجته فتستخفها العجلة فتخرج من الخيمة فتأققه وتقول
أنت حبي وأنا حبك وأنا الراضية فلا أسخط أبدأ، وأنا الناعمة فلا أبأس أبدأ
والخالدة فلا أظعن أبدأ، فيدخل بيتاً من أساسه إلى سقفه مائة ذراع مبني على
جندل اللؤلؤ والياقوت طرائق حمر وطرائق خضر وطرائق صفراء ، منها دربة
تشاكل صاحبها ، فيأتى الاركة فاذا عليها سرير على السرير سبعون فراسخا عليها سبعون
زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الجلبد يقضى جماعهن في مقدار
ليلة ، تجري من تحتهم أنهار مطردة أنهار من ماء غير آسن صاف ليس فيه كدر ، وأنهار
من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل ، وأنهار من خمر لذة لا تاربى لم تعصره
الرجال بأقدامها ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يخرج من بطون المشية ، فإذا
اشتهوا الطعام جاءتهم طيور بيض فترفع أجنحتها فيأكلون من جنوبها من أى
اللون شاءوا ثم تطير فذهب ، فيها ثمرة متداية إذا اشتبهوا النشعب الغصن اليهم
فيأكلون من أى الثمار شاءوا ان شاء قائما وان شاء متكئا ، وذلك قوله عز وجل
(وجنى الجنة دنان) وبين أيديهم خدم كاللؤلؤ ، هذا حديث غريب وفي اسناده ضعف
وفي رفعه نظر والمعروف أنه موقوف على علي بن أبي الدنيا حدثنا محمد بن عمر بن
سليمان حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن بن اسحاق عن النعمان بن سعيد في هذه
الآية (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) قال : «أما والله لا يحشر الوفد على أرجلهم
ولكن يؤتون بنوق لم تر الخلائق مثلاً عليها ، عليها رجال الذهب ، وأزمتها الزبرجد
فيركبون عليها حتى يضر بواب الجنة» وقال علي بن الجعد في الجعديات أنبأنا
زهير بن معاوية عن أبي اسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي بن الجعد في الجعديات أنبأنا
أنبأنا ربههم إلى الجنة زمراً حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده
منجرة يخرج من تحت ساقها عيذان تجريان فعمدوا إلى أحدهما كأنما أمروا بها
فشر بوا منها فأذهبت ما في بطونهم من أذى وقذى وبأس ثم عمدوا إلى الأخرى
فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فان تغير ابشارهم أو تغير بعدها أبدأ
ولن تشعث أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان ثم انتهوا إلى خزنة الجنة فقالوا سلام
عليكم طبعتم داخلوها خالد بن مقل قال ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان

أهل الدنيا بالحليم يقدم من غيبته فيقولون البشر بما أعد الله لك من السكينة
كذا قال ثم ينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين
فيقول قد جاء فلان باسمه الذي يدعى به في الدنيا فتقول أنت رأيته فيقول
أنا رأيته وهو ذا بأثرى فيستخف أحداً من الفرح حتى تقوم على أسكنة بابها فإذا
انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنائه فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أخضر
واصفر واحمر ومن كل لون ثم رفع رأسه فنظر إلى سقفه فإذا مثل البرق فلولا
أن الله قدره له لألم أن يذهب بصره ثم طأطأ رأسه فنظر إلى أزواجه وأكواب
موضوعة وتمازق مصفوفة وزرابي مبثوثة فنظروا إلى تلك النعمة ثم انكروا
وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ثم ينادى
مناد تحميرن فلا تموتون أبداً وتقيمون فلا تنمنون أبداً وتصحون فلا تضررن
أبداً وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال
«ذكر لنا أن الرجل إذا دخل الجنة صور صورة أهل الجنة وألبس لباسهم وحلى
حليهم وأرى أزواجه وخدمته ويأخذه سوار فرح لو كان ينبغي أن يموت مات
من سوار فرحه» فيقال له أرايت سوار فرحتك هذه فأنها قائمة لك أبداً قال
ابن المبارك وأخبرنا راشد بن سعد أنبأنا زهرة بن معبد القرشي عن أبي عبد
الرحمن الجيلي قال: «إن العبد أول ما يدخل الجنة يتأقاه سبعون ألف خادم كأنهم
اللؤلؤ» قال ابن المبارك وأنبأ يحيى بن أيوب حدثني معبد الله بن زحر عن
محمد بن أبي أيوب الخزومي عن أبي عبد الرحمن المعافري قال: «إنه ليصف للرجل
من أهل الجنة سباطان لا يرى طرفهما من غلمانته حتى إذا مر مشوا وراءه» وقال
أبو نعيم أنبأنا أبو سلمة عن الضحاك قال: «إذا دخل المؤمن الجنة دخل أمامه
ملك فأخذه في أسكنها فيقول له أنظر ما ترى قال أرى أكثر قصور رأيتهما
من ذهب وفضة وأكثر أنيس فيقول له الملك فأن هذا أجمع لك حتى إذا رفع
اليهم استقبلوه من كل باب ومن كل مكان يقولون نحن لك ثم يقول امش
فيقول ماذا ترى فيقول أرى أكثر عما كر رأيتهما من خيام وأكثر أنيس قل
فإن هذا أجمع لك فإذا رفع اليهم استقبلوه فقالوا نحن لك نحن لك» وفي الصحيحين من
حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليدخل الجنة من

أمتى سبعون ألفاً أو سبع مئة ألف متما سكون أخذ بعضهم ببعض لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوهرهم على صورة القمر ليلة البدر»

(الباب التاسع والثلاثون)

(في ذكر صفة أهل الجنة في خلقهم وطولهم وعرضهم ومتنار أسنانهم.)
 قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق قال حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعاً فلما خلقه قال له اذهب فسلم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحوئك فلما نظها تحينك وتحية ذريتك» قال فذهب فقال السلام عليكم، فقلوا السلام عليكم ورحمة الله فزادوه ورحمة الله قال فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعاً فلم يزل ينقص الخلق بعده حتى الآن» متفق على صحته. وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون وعنان بن مسلم قالا حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضا جماداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خاق آدم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع» قيل فمرد به حماد عن علي بن زيد وفي جامع الترمذي من حديث شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين» قال هذا حديث حسن غريب. وقال أبو بكر بن أبي داود حدثنا محمود بن خالد ونباس بن الوليد قال حدثنا عمر بن الأوزاعي عن هرون بن رباب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يبحث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جرداً مرداً مكحلين ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يئس شربهم» وقال الترمذي حدثنا سويد بن نصر حدثنا عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو ابن الحارث أن دراجاً ابالسج حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عاينها أبداً، وكذلك أهل النار» فان كان هذا محموضاً لم يناقض ما قبله فان العرب اذا قدرت بعدد لهيف فن لهم ماريقين تارة يذكرون النيف للتجريد وتارة يحذفونه وهذا معروف في كلامهم وخطاب

غيرهم من الامم . وقال ابن أبي الدنيا حدثنا القاسم بن هشام حدثنا صفوان
ابن صالح حدثنا رواد بن الجراح العسقلاني حدثنا لاوزاعي عن هارون بن رباب
عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل أهل الجنة الجنة
على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث
وثلاثين سنة وعلى لسان محمد جرد مرد مأخوذ . وقال ابن وهب حدثنا معاوية
ابن صالح عن عبد الوهاب بن نجدة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « أن أهل الجنة يدخلون الجنة على قدر آدم
ستون ذراعاً وعلى ذلك قطعت سرورهم » وقد تقدم أن أول زمرة صورتهم على صورة
القمر ليلة البدر وأن الذين يلونهم على ضراء أشد كوكب في السماء اضاءة . وأما
الاخلاق فقد قال تعالى: « ونزّلنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين »
فاخبر عن تلاقى قلوبهم وتلاقى وجوههم وفي الصحيحين « أخلاقهم على خلق رجل واحد
على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعاً في السماء » والرواية على خلق بفتح
الخاء وسكون اللام والاخلاق كما تكون جمعا للخلق بالضم فهي جمع للخلق
بالفتح والمراد تساويهم في الطول والعرض والسن وإن تناوتوا في الحسن والجل
ولهذا فسره بقوله على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعاً في السماء . وأما
أخلاقهم وقلوبهم ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة: « أول زمرة تلج الجنة »
الحديث وقد تقدم وفيه لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل
واحد يسبحون الله بكرة وعشية وكذلك وصف الله سبحانه وتعالى نساءهم
بأنهن أتراب أي في سن واحدة ليس فيهن العجائز والشواب وفي هذا الطول
والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفى فإنه أباغ وأكمل في استيفاء اللذات لانه
أكمل سن القوة مع عظم آلات اللذة وباجتماع الامرين يكون كمال اللذة وقوتها بحيث
يصل في اليوم الواحد الى مئة عذراء كما سيأتي إن شاء الله تعالى ولا يخفى التناسب
الذي بين هذا الطول والعرض فإنه لو زاد أحدهما على الآخر فأت الاعتدال
وتناسب الخلقة يصير طولا مع دقة أو غلظاً مع قصر وكلاهما غير مناسب والله أعلم

باب الأربعون

(في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة)

وأدناهم أعلام منزلة سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه)

قال تعالى: « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كمال الله ورفع بعضهم

درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات» قال مجاهد وغيره منهم من كان الله موسى ورفع بعضهم درجات هو محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث الأسراء المتفق على صحته أنه صلى الله عليه وسلم لما جاوز موسى قال رب لم أظن أن ترفع علي أحدا ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاوز سدرة المنتهى . وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن الناص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبدي من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو» فمن سأل لي الوسيلة حات له الشفاعة» وفي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ان موسى سأل ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال رجل يحبىء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له أتودى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضى رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضى رب قال رب فعلام منزلة؟ قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عابها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر» وقال الترمذي حدثنا عبد بن حميد أنبأنا شعبة عن إسرائيل عن ثوير قال سمعت ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جناته وأزواجه ونعيمه وخدمته وسريره مسيرة ألف عام وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ماظرة) قال وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر غير مرفوع قال ورواه عبد الملك بن أبيجر عن ثوير عن ابن عمر موقوفا ورواه عبد الله الأشجعي عن سفيان عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر نحوه ولم يرفعه قلت» ورواه الطبراني في معجمه من حديث أبي معاوية عن عبد الملك بن أبيجر عن ثوير عن ابن عمر مرفوعا «ان أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر الى أزواجه وسريره وخدمته» الحديث . ورواه أبو نعيم عن إسرائيل عن ثوير قال سمعت ابن عمر يقول قال إسرائيل لأعلم ثويرا الا رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال

الامام أحمد حدثنا حسن هو ابن موسى حدثنا سكين بن عبد العزيز حدثنا أبو الاسود الضريير عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان أدنى أهل الجنة منزلة سبع درج وهو على السادسة ورفقه السابعة وإن له ثلثائة خادم ويغدى عليه ويراح كل يوم بثلاثائة صحيفة ولا أعلمه قل إلا من ذهب في كل صحيفة لون ليس في الآخر وإنه ليولد أوله كما يلد آخره وعن الأشربة بثلاثائة إناء في كل إناء لون ليس في الآخر وإنه ليولد أوله كما يلد آخره وأنه ليقول يارب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيء ، وإن له من الحور العين ثلاثين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض » قالت سكين بن عبد العزيز ضعفه النسائي وشهر بن حوشب ضعفه مشهور والحديث منكر يخالف الأحاديث الصحيحة فإن قول ستين ذراعاً لا يحتمل أن يكون مقعد صاحبه بقدر ميل من الأرض والذي في الصحيحين في أول زمرة تلج الجنة لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين فكيف يكون لادناهم اثنتان وسبعون من الحور العين وأقل ساكني الجنة نساء الدنيا فكيف يكون لادنى أهل الجنة جماعة منهن وأيضاً فإن الجهتين الذهبيتين أعلى من الفضيتين فكيف يكون أدناهما في الذهبيتين قال الدؤالي شهر بن حوشب لا يشبه حديثه حديث الناس وقال ابن عرون بن حوشب شهراً تركوه وقال النسائي وابن عدى ليس بالقوى وقال أبو حاتم لا يحتج به وتركه شعبة ويحيى بن سعيد وهذان من أعلم الناس بالحديث ورواياه وعلاه وإن كان غير هؤلاء قد وثقه وحسن حديثه فلا ريب أنه إذا انفرد بما يخالف ما رواه الثقات لم يقبل والله أعلم

﴿ الباب الحادى والاربعون ﴾

(في تحفة أهل الجنة إذا دخلوها)

روى مسلم في صحيحه من حديث ثوبان قال : «كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء خبر من أخبار اليهود فقال السلام عليكم يا محمد فدفعته دفعة كاد يصير منها ، فقال لم تدفعني ؟ فقلت ألا تقول يا رسول الله ، فقال اليهودى إنما ندعوه باسمه الذى سماه به أهلها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اسمي محمد الذى سماني به أهلى ، فقال اليهودى جئت أسألك ، فقال له رسول الله

صلى الله عليه وسلم أينفعك بشيء إن حدثتك! فقال استمع بأذني فسمعت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يعود معه فقال سل؟ فقال اليهودي أين تكون الناس
 يوم تبدل الأرض غير الأرض؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظنفة
 دون الجسر، قال فن أول الناس اجازة يوم القيامة؟ قال فقراء المهاجرين، قال
 اليهودي فما تحفهم حين يدخلون الجنة؟ قال زيادة كبد النون قال فما غذاؤهم على
 أثرها؟ قال ينجر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها، قال فما شراهم؟ قال
 من عين فيها تسمى سلسيلا، قال صدقت، قال وجئت أسألك عن شيء لا يعنك
 أحد من أهل الأرض الانبي أو رجل أو رجلان، قال أينفعك إن حدثتك؟ قال
 أسمعتك بأذني، قال جئت أسألك عن الولد؟ قال ماء الرجل أبيض وماء المرأة
 أصفر، فإذا اجتماعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا باذن الله تعالى، وإن علامني
 المرأة مني الرجل آتينا باذن الله تعالى، قال اليهودي لقد صدقت وانك لنبى، ثم
 انصرف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سألتني هذا عن الذي سألتني
 عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله عز وجل به، وفي صحيح البخاري عن
 أنس قال: «سمع عبد الله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
 وهو في أرض يخترق (١) فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني سألتك عن ثلاث
 لا يعلمهن الانبي فما أول شرائط الساعة؟ ما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد
 إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال أخبرني من جبريل أنفا، قال جبريل؟ قال نعم، قال ذلك عدو
 اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك
 باذن الله) أما أول شرائط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب وأما
 أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة
 نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعته، قال أشهد أن لا إله إلا الله
 وأشهد أنك رسول الله، يارسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعاهدوا بسلامي
 قبل أن تسألهم بهتوني فجاءت اليهود فقال أى رجل عبد الله فيكم؟ قالوا خيرنا
 وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، قال أفرايتم إن أسلم عبد الله؟ فقالوا أعاده الله
 من ذلك، فخرج عبد الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول
 الله، فقالوا شربنا وابن شربنا وانتقصوه، فقال هذا الذي كنت أخاف يارسول

(١) يخترق يجتني الثمر من الخرف وهو حائط النخل .

الله « وفي الصحيحين من حديث عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفوها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر لاهل الجنة فأتى رجل من اليهود فقال بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم الا أخبرك بنزل اهل الجنة يوم القيامة؟ قال بلى ، قال تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فنظر النبي صلى الله عليه وسلم اليها ثم ضحك حتى بدت نواحيه ثم قال الا أخبرك بادامهم؟ قال بلى ، قال ادامهم بالأدم والنور ، قال وما هذا؟ قال ثور ونوزياً كل من زيادة كبدهما سبعون ألفاً » وقال عبد الله بن المبارك حدثنا ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب ان أبا الخير أخبره أن أبا العوام أخبره أنه سمع كعباً يقول: « ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة ادخلوها ان لكل ضيف جزورا واني أجزركم اليوم فيأتي بشور وحوث فيجزر لاهل الجنة »

باب الثاني والاربعون

(في ذكر ريح الجنة ومن مسيرة كم ينشق)

قال الطبراني حدثنا موسى بن حازم الاصبهاني حدثنا محمد بن بكر الحضرمي حدثنا مروان بن معاوية انفزاري عن الحسن بن عمرو عن مجاهد عن جنادة بن أبي أمية عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من قتل فتيلة من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة مائتي عام » ورواه البخاري في الصحيح عن قيس بن حنص عن عبد الواحد بن زياد عن الحسن بن عمرو الفقيمي عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو ولم يذكر بينهما جنادة وقال « ليوجد من مسيرة أربعين عاماً » وقال الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا معدي ابن سليمان هو البصري عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « الامن قتل نفساً معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يراح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً » قال وفي الباب عن أبي بكرة وحديث أبي هريرة حديث حسن صحيح قال محمد بن عبد الواحد واسناده عندي على شرط الصحيح « قات » وقد رواد الطبراني من حديث عيسى بن يونس عن شواف الاعرابي عن محمد بن

سيرين عن أبي هريرة يرفعه «من قتل نفسا معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة وإن ریح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام» وقال الطبرانی حدثنا اسحق بن ابراهيم عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن أو غيره عن أبي بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام» وهذه الالفاظ لا تعارض بينها بوجه وقد أخرجنا في الصحيحين من حديث أنس قال: «لم يشهد عني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً قل فشق عليه قال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه فإن أراي الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما صنع قل فهاب أن يقول غيرها قال فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد قال فاستقبل سعد بن معاذ فقال له ابن؟ فقال واها لريح الجنة أجده دون أحد قال فقاتلناهم حتى قتل قال فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وضربة ورمية فقاتل أخته عمه الربيع بنت النضر فاعرفت أخي إلا بئانه وزادت هذه الآية (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) قال فكانوا يرون أمها نزلت فيه وفي أصحابه» وريح الجنة نوعان ریح يوجد في الدنيا ریح الارواح أحيانا لا تدركه العباد وريح يدرك بحاسة الذم للابدان كما تنعم بريح الارواح وغيرها وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قريب وبعد وأما في الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله وهذا الذي وجدته أنس بن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم وأن يكون من الاول والله أعلم . وقال أبو نعيم حدثنا محمد بن معمر حدثنا محمد بن أحمد المؤذن حدثنا عبد الواحد بن غياث أئبنا الربيع بن بدر حدثنا هرون بن رباب عن مجاهد عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن رائحة الجنة توجد من مسيرة مائة عام» وقال الطبرانی حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن أحمد بن محمد بن طريف حدثنا أبي حدثنا محمد بن كثير حدثني جابر الجعفي عن أبي جعفر محمد بن عيسى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام والله لا يجدها عاق ولا فاع ربح وقال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة وإن

ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام وقد أشهد الله سبحانه عباده في هذه الدار آثاراً من آثار الجنة وأعوذوا منها من الرائحة الطيبة واللذات المشتهية والمناظر البهية وانما كفة الحسنات والنعم والعمر وقرّة العين ، وقد روى أبو نعيم من حديث الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله عز وجل للجنة طيبى لأهلك فتزداد طيباً فذلك البرد الذى يجده الناس بالسحر من ذلك كما جعل سبحانه نار الدنيا وآلامها وغمومها وأحزانها تذكرة بنار الآخرة قال تعالى فى هذه النار نحن جعلناها تذكرة» وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان شدة الحر والبرد من أناس جهنم فلا بد أن يشهد عباده أنفاس جنته وما يذكرونها والله المستعان

(الباب الثالث والاربعون)

(فى الأذان الذى يؤذن به مؤذن الجنة فيها)

روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم: «قال ينادى مناد ان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وان لكم أن تموتوا فلا تموتوا أبداً وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وان لكم أن تعملوا فلا تبأسوا أبداً وذلك قول الله عز وجل (وودوا أن تترككم الجنة أو ترموها بما كنتم تعملون) قال عثمان بن أبى شيبة حدثنا يحيى بن آدم حدثنا حمزة الزيات عن أبى اسحق عن الاغر عن أبى هريرة وأبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم: «(وودوا أن تترككم الجنة أو ترموها بما كنتم تعملون) قال نودوا أن صحوا فلا تسقموا أبداً واخلدوا فلا تموتوا أبداً وانموا فلا تبأسوا أبداً» وفى صحيح مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى لبيلى عن صهيب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعداً فيقولون ما هو؟ ألم يقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون الى الله فوالله ما أعطاهم الله شيئاً هو أحب اليهم من النظر اليه» وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا أبو بكر الالهاني أخبرنى أبو نعيم الحافظى قال سمعت أبا موسى الأشعري يخطب على منبر البصرة يقول: «ان الله عز وجل يبعث يوم القيامة مذكراً إلى أهل الجنة فيقول يا أهل الجنة هل

أنجزكم الله ما وعدكم فينظرون فيرون الحلى والحال والأنهار والأزواج المطهرة فيقولون نعم قد أنجزنا ما وعدنا قلوا ذلك ثلاث مرات فينظرون فلا يفتقدون شيئاً مما وعدوا فيقولون نعم فيقول قد بقي شيء إن الله يقول للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قل ألا إن الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله « وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك ، فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لأرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ، فيقول أنا أعطيتكم أفضل من ذلك يقولوا ربنا وإى شيء أفضل من ذلك ، قال أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً » ومن تراجم البخاري عليه باب كلام الرب مع أهل الجنة يوسياتي في هذا أحاديث ذكرها في باب معقود لذلك إن شاء الله . وفي الصحيحين من حديث نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت ، كل خالد فيما هو فيه » وهذا الاذان وإن كان بين الجنة والنار فهو يبلغ جميع أهل الجنة والنار ولهم فيها نداء آخر يوم زيارتهم ربهم تبارك وتعالى يرسل اليهم ملائكة فيؤذن فيهم بذلك فيتسارعون إلى الزيارة كما يؤذن مؤذن الجمعة اليها وذلك في مقدار يوم الجمعة كما سيأتي مبينا في باب زيارتهم الرب عز وجل والله أعلم

❦ الباب الرابع والأربعون ❦

(في أشجار الجنة وبساتينها وظلالها)

قل تعالى (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطالح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) وقال تعالى (ذواتا أفنان) وهو جمع فتن وهو الغصن وقال (فيهما فاكهة ونخل ورمان) والمخضود الذي قد خضد شوكه أي نزع وقطع فلا شوك فيه هذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقتادة وأبي الاحوص وقسامة بن زهير وجماعة واحتج هؤلاء بحجبتين (أحدهما) أن الخضد في اللغة القطع وكل رطب قضبته فقد خضدته ، وخضدت الشجر إذا قطعت شوكه فهو خضيد ومخضود ، ومنه الخضد

عن مثالي الثمر وهو كل ما قطع من عود رطب خضد بمعنى مخضود كقبض
وساب. والخضاد شجر رخو لاشوك فيه (الحجة الثانية) قال ابن أبي داود
حدثنا محمد بن مصفى حدثنا محمد بن المبارك حدثنا يحيى بن حمزة حدثنا ثور
ابن يزيد حدثني حبيب بن عبيد عن عتبة بن عبد السامى قال: «كنت جالسا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي فقال يا رسول الله أسمعك تذكر في
الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكا منها يعني الطلح فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله جعل مكان كل شوكه منها ثمرة مثل خصوه التيس الملبود

فيها سبعون لونا من الطعام لا يشبه لون آخر» (الملبود) الذي قد اجتمع شعره
بعضه على بعض وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا صفوان بن عمرو عن سليم بن
طامر قال: «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ان الله لينقعا
بالأغراب ومسائهم، أقبل اعرابي يوما فقال يا رسول الله ذكر الله في الجنة
شجرة مؤذية وما كنت أرى في الجنة شجرة تؤذى صاحبها، قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما هي؟ قال السدر فأنا له شوكا مؤذيا، قال أليس الله يقول في
سدر مخضود؟! اخضد الله شوكة فجعل مكان كل شوكه ثمرة» وقالت طائفة
المخضود هو الموقر حملا وأنكر عليهم هذا القول وقالوا لا يعرف في اللغة الخضد
بمعنى الخلل ولم يصب هؤلاء الذين أنكروا هذا القول بل هو قول صحيح
وأربابه ذهبوا إلى أن الله سبحانه وتعالى لما خضد شوكة وأذهبه وجعل مكان
كل شوكه ثمرة أو قرت بالخلل والحديثان المذكوران يجمعان القولين وكذلك
قول من قال المخضود الذي لا يعقر اليد ولا يرد اليد عنه شوك ولا أذى فيه
فسره بل لازم المعنى وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم المعنى المقصود تارة
ومرارة من أفراد تارة ومثالا من أمثاله فيحكيها الجماعة للغث والسمين أقوالا
مختلفة ولا اختلاف بينها

(فصل)

وأما الطلح فأكثر المفسرين قالوا إنه شجرة الموز قال مجاهد أعجبهم

طلح وج وحسنه فقيل لهم «وطاح منضود» وهذا قول علي بن أبي طالب وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري . وقلت طائفة أخرى بل هو شجر عظام طوال وهو شجر البوادي الكثير الشوك عند العرب قال حاديهم

بشرها دليلها وقالوا غدا ترين الطلح والجبالا

ولهذا الشجر نور ورائحة وظل ظليل وقد نضد بالحل والتمر مكان الشوك وقال ابن قتيبة هو الذي نضد بالحل أو بالورق والحل من أوله إلى آخره فليس له ساق بارز وقال مشروق ورق الجنة نضيد من أسفلها إلى أعلاها وأنهارها تجري من غير أخدود وقال الليث الطلح شجر أم غيلان ليس له شوك أحجن من أعظم العضاة شوكا وأصلبه عوداً واجوده صمغاً . قال أبو اسحاق يجوز أن يعنى به شجر أم غيلان لأن له نورا طيب الرائحة حدأ فوعدوا بما يحبون مثله إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على سائر ما في الدنيا فانه ليس في الجنة مما في الدنيا الا الاسامى والظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز انما أراد التمثيل به لحسن نضده والا فطلح في اللغة هو الشجر العظام من شجر البوادي والله أعلم وفي الصحيحين من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها فأقرؤا ان شئتم وظل ممدود» وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها» قال أبو حازم حدثنا به النعمان بن أبي عياش الزرقى فقال حدثني أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ان في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها» وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن أبي الضحاك سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ: «ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة هي شجرة جنة الخلد» وقال وكيع حدثنا اسماعيل بن أبي خالد عن زياد مولي بني مخزوم عن الزهري عن أبي هريرة رضي الله عنه: «ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام أقرؤا ان شئتم وظل ممدود» فبلغ ذلك كعبا فقال صدق والذي أنزل التوراة على لسان موسى والفرقان على لسان محمد صلى الله عليه وسلم لو أن رجلا ركب

جذعة أو جذعاً ثم دار باصل تلك الشجرة مائة عام ما بلغها حتى يسقط هرما
 ان الله غرسها بيده ونفخ فيها وإن أصلها من وراء سور الجنة، ما في الجنة نهر
 الا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة» وقال ابن أبي الدنيا حدثنا ابراهيم
 عن سعيد الجوهري حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا ربيعة بن صالح عن سلمة
 ابن وهران عن عكرمة عن ابن عباس قال: «الظل الممدود شجرة في الجنة على
 ساق قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها فيخرج اليها
 أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم يتحدثون في ظلها قال فيشتهي بعضهم ويذكر لهُو
 الدنيا فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهُو كان في الدنيا»
 وفي جامع الترمذي من حديث أبي حامد عن أبي هريرة قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم: «ما في الجنة شجرة الا وساقها من ذهب» قال هذا حديث
 حسن . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله
 أعددت لعمادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
 اقرؤا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)
 وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرؤا ان شئتم (وظل
 ممدود) وموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرؤا ان شئتم (فمن زحزح
 عن النار وأدخل الجنة فقد فاز)» رواه بهذا اللفظ والسياق الترمذي والنسائي
 وابن ماجه وصدره في الصحيحين . وفي صحيح البخارى من حديث أنس بن
 مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان في الجنة لشجرة يسير الراكب
 في ظلها مائة عام لا يقطعها وان شئتم فاقرؤا وظل ممدود وماء مسكوب» وقال
 ابن وهب حدثنا عمرو بن الحارث ان دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن
 أبي سعيد الخدري قال: «قال رجل يارسول الله ما طوبى؟ قال شجرة في الجنة مسيرة
 مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكلها» وقد رواه عنه حرمله بزيادة وقال
 أخبرني ابن وهب أخبرني عمرو أن دراجاً حدثه أن أبا الهيثم حدثه عن أبي
 سعيد الخدري «ان رجلاً قال يارسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك؟ فقال طوبى
 لمن رآني وآمن بي ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني؟ فقال
 رجل يارسول الله وما طوبى؟ قال شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل
 الجنة تخرج من أكلها» (قلت) وأول هذا الحديث في المسند ولفظه «طوبى لمن
 رآني وآمن بي وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سبع مرات» وقال ابن المبارك

حدثنا سفيان عن حماد بن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر وكرها ذهب أحمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها مقطعاتهم وحملهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيها عجم» وقال الامام أحمد بن حنبلنا على بحر حدثنا هشام ابن يوسف حدثنا معمر بن يحيى بن أبي كثير عن عامر بن زيد البجلي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول: «جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الخوض وذكر الجنة ثم قال الأعرابي فيها فاكهة؟ قال نعم، وفيها شجرة تدعى طوبى، فذكر شيئاً لا أدري ما هو؟ فقال أى شجرة؟ ضنا تشبهه؟ قال ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتيت الشام؟ قال لا قال تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد وينفرش أغلاها، قال ما عظم أصلها؟ قال لو ارتحلت جذعة من ابل أهلك ما أحادت باصلها حتى تنكسر تر قوتها هروما، قال فيها عنب؟ قال نعم قال فما عظم العنقود؟ قال مسيرة شهر للغراب لا يقع ولا ينقر، قال فما عظم الحبة؟ قال هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قيط عظيماً؟ قال نعم، قال فساخ اهابه فاعطاد امك وقال لها اتخذى لنا منه دلو؟ قال نعم، قال الأعرابي فان تلك الحبة لتشبعنى أنا وأهل بيتى، قال نعم ومائة عشرينك» قال أبو يعلى الموصلى فى مسنده حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا يونس بن بكير عن محمد وابن اسحاق عن يحيى بن عباد عن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن أسماء بنت أبى بكر قالت: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكروا سدرة المفتهى فقال يسير فى ظل الذين منها الراكب مائة سنة، أو قال يستظل فى الذين منها مائة راكب فيها فراش الذهب كأن ثمرها اقلال» ورواه الترمذى وقال شك يحيى وهو حديث حسن غريب. وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا ابن عيينة عن ابن أبى نعيم عن مجاهد قال «أرض الجنة من ورق وترابها مسك وأصول أشجارها ذهب وورق وأفنانها لؤلؤ وزبرجد وياقوت والورق وأشعر تحت ذلك، فمن أكل قائماً لم يؤذه ومن أكل جالساً لم يؤذه ومن أكل مضطجاً لم يؤذه وذلات قطوفها تذليل» وقال أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبى ظبيان عن جرير بن عبد الله قال: «نزلنا الصفا فإذ رجل قائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تباغعه قال

فقلت للغلام انطلق بهذا النظم فأظله قال فانطلق فأظله فلما استيقظ اذا هو سلمان
فتميته أسلم عليه فقال يا جرير تواضع لله فان من تواضع لله رفعه الله يوم القيامة
يا جرير هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت لا أدري؛ قال ظلم الناس بينهم
ثم أخذ عويداً لا أكاد أراه بين أصبعيه فقال يا جرير إذا طلبت مثل هذا في
الجنة لم تجده؛ قلت يا عبد الله فاين النخل والشجر قال أصولها الاؤلؤ والذهب
وأعلاها الشمر»

﴿الباب الخامس والأربعون﴾

(في ثمارها وتعداد أنواعها وصفاتها وريحانها)

قال تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها
الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به
متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة) وقولهم هذا الذي رزقنا من قبل أى شبيهه
ونظيره لأعينه، وهل المراد هذا الذي رزقنا في الدنيا نظيره من الفواكه والثمار
أو هذا نظير الذي رزقناه قبل في الجنة؟ قيل فيه قولان ففي تفسير السدي عن أبي
مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم قالوا هذا الذي رزقنا من قبل أنهم أتوا بالثمرة في الجنة فلما
نظروا إليها قالوا هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا قال مجاهد ما أشبهه به، وقال
ابن زيد هذا الذي رزقناه من قبل في الدنيا، وأتوا به متشابهاً يعرفونه، وقال
آخرون هذا الذي رزقنا من قبل من ثمار الجنة، من قبل هذا لشدة مشابهة
بعضه ببعض في اللون والطعم. واحتج أصحاب هذا القول بحجج (إحداها)
أن المشابهة التي بين ثمار الجنة وبعضها البعض أعظم من المشابهة التي بينهما وبين ثمار الدنيا
ولشدة المشابهة قالوا هذا هو (الحجة الثانية) ما حكاه ابن جرير عنهم قال ومن علة
قائلي هذا القول أن ثمار الجنة كلما نزع منها شيء عاد مكانه آخر مثله كما كان
حدثنا ابن بشار حدثنا ابن مهدي حدثنا سفيان سمعت ابن مرة يحدث عن
أبي عبيدة وذكر ثمر الجنة وقال كلما نزع ثمرة عادت مكانها أخرى (الحجة الثالثة)
قوله وأتوا به متشابهاً وهذا كالتعميل والسبب الموجب لقولهم هذا الذي
رزقنا من قبل (الحجة الرابعة) أن من المعلوم أنه ليس كل مافي الجنة من الثمار
قد رزقوه في الدنيا وكثير من أهلها لا يعرفون ثمار الدنيا ولا رأوها ورجحت

ظائفة منهم ابن جرير وغيره القول الآخر واحتجت بوجوده قال ابن جرير
والذى يحقق صحة قول القائلين أن معنى ذلك هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا
أن الله جل ثناؤه قال (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا) يقولون هذا الذى رزقنا
من قبل ولم يخص أن ذلك من قيلهم فى بعض دون بعض فاذا كان قد أخبر جل
ذكره عنهم أن ذلك من قيلهم كلما رزقوا ثمرة فلا شك أن ذلك من قياهم فى أول
رزق رزقوه من ثمارها أتوا به بعد دخولهم الجنة واستقرارهم فيها الذى لم
يتقدمه عندهم من ثمارها ثمرة فاذا كان لا شك أن ذلك من قيلهم فى أوله كما هو
من قيلهم فى وسطه وما يتلوه فعلوم أنه محال أن يقولوا لأول رزق رزقوه
من ثمار الجنة هذا الذى رزقنا من قبل هذا من ثمار الجنة وكيف يجوز أن
يقولوا لأول رزق من ثمارها ولما يتقدمه عندهم غيرها هذا هو الذى رزقنا
من قبل إلا أن يلبسهم ذوغية وضلال إلى قيل الكذب الذى قد طهرهم الله منه
أو يدفع دافع أن يكون ذلك من قياهم الأول رزق يرزقونه من ثمارها فيدفع
صحة ما أوجب الله صحته من غير نصب دلالة على أن ذلك فى حل من أحوالهم
دون حال فقد تبين أن معنى الآية كلما رزقوا من ثمرة من ثمار الجنة فى الجنة
قالوا هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا . قلت أصحاب القول الأول يخصصون
هذا العام بما عدا الرزق الأول لدلالة العقل والسياق عليه وليس هذا ببدع
من طريقة القرآن وأنت مضطر إلى تخصيصه ولا بد بأنواع من التخصيصات
(أحدها) أن كثيرا من ثمار الجنة وهى التى لا نظير لها فى الدنيا لا يقال فيها
ذلك (الثانى) أن كثيرا من أهلها لم يرزقوا جميع ثمرات الدنيا التى لها نظير فى
الجنة (الثالث) أنه من المعلوم أنهم لا يستمرون على هذا القول أبد الآبأد كلما
أكلوا ثمرة واحدة قالوا هذا الذى رزقنا فى الدنيا ويستمرون على هذا الكلام
دائما إلى غير نهاية والقرآن العظيم لم يقصد إلى هذا المعنى ولا هو مما يعنى بهم من
نعيمهم ولذتهم وإنما هو كلام مبين خارج على المعتاد المفهوم من الطيب ومعناه
أنه يشبه بعضه بعضا ليس أوله خيرا من آخره ولا هو مما يعرض له ما يعرض
لثمار الدنيا عند تقادم الشجر وكبرها من نقصان حملها وصغر ثمرها وغير ذلك
بل أوله مثل آخره ، وآخره مثل أوله وهو خيار كله يشبه بعضه بعضا فهذا
وجه قولهم ولا يلزم مخالفة مانصه الله سبحانه وتعالى ولا نسبة أهل الجنة إلى
الكذب بوجه ، والذى يلزمهم من التخصيص يلزمك نظيره وأكثر منه والله

أعلم . وأما قوله عز وجل : « وأتوا به متشابها » قال الحسن خيار كاه لارذل ألم
تروا إلى ثمر الدنيا كيف تسترذلون بعضه وأن ذلك ليس فيه رذل
وقال قتادة : خيار لارذل فيه فأن ثمار الدنيا ينقى منها ويرذل منها
وكذلك قال ابن جريح وجماعة ، وعلى هذا فلما راد بالتشابه التوافق والتماثل .
وقالت طائفة أخرى منهم ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم متشابها في اللون والمرأى وليس يشبه الطعم قال مجاهد
متشابها لونه مختلفا طعمه وكذا قال الربيع بن أنس وقال يحيى بن أبي كثير
« عشب الجنة الزعفران وكشبانها المسك ويطوف عليهم الولدان بالنفا كهيئة كاهونها
ثم يأتونهم عائلها فيقولون هذا الذي جئتمونا به أنفا ، فيقول لهم الخدم كلوا فان
اللون واحد والطعم مختلف ، فهو قوله عز وجل كلوا من ثمره رزقا
قلوا هذا الذي رزقنا من قبل و«تروا به متشابها» وقالت طائفة وناس معنى الآية
أن يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أفضل وأطيب ذل ابن وهب قال عبد الرحمن
ابن زيد يعرفون اسماء كل كانوا في الدنيا التفاضل بالتفاضل والمان بالمان قلوا في
الجنة هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها يعرفونه وليس هو مثله في الطعم
واختار ابن جرير هذا القول قال ودليانا على فساد قول من قال ان معنى الآية
هذا الذي رزقنا من قبل أى في الجنة وتلك الدلالة على فساد ذلك أقول هي
الدلالة على فساد قول من خالف قولنا في تأويل قوله وأتوا به متشابها أن الله
سبحانه وتعالى أخبر عن المعنى الذي من أجله قال القوم هذا الذي رزقنا من قبل
وأتوا به متشابها « قات » وهذا لا يدل على فساد قولهم لما تقدم وقال : « جنات عدن
منفحة لهم الأبواب متكئين فيها يدعون فيها بنا كهيئة كثيرة وشراب » وقال تعالى
« يدعون فيها بكل فاكهة آمنين » وهذا يدل على أمنهم من انقطاعها ومضرتها وقال
تعالى « وتلك الجنة التي أوردتهموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة » وقال
تعالى « فاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة » أى لا تكون في وقت دون وقت ولا تمنع
ممن أرادها : « وقال فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية » والقطوف جمع
قطف وهو ما يقطف ، والقطف بالفتح الفعل أى ثمارها دانية قريبة ممن يتناولها
فيأخذها كيف يشاء قال البراء بن عازب يتناول الثمرة وهو قائم وقال تعالى
« ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا » قال ابن عباس إذا هم أن يتناول من
ثمارها تدلت له حتى يتناول ما يريد وقال غيره قريب اليهم مذلة كيف شاؤا

فهم يتناولونها قياماً وعوداً وضطجعين فيكون كقولهم قطفوها دانية ومعنى
تذليل القطف تسهيل تناوله، وأهل المدينة يقولون ذل النخل أى سوه عروقها
وأخرجها من السعف حتى يسهل تناولها، وفى نعب دانية وجهاز (أحدهما) أنه على
الحال عطفاً على قوله متعائين (والثاني) أنه صفة الجنة وقال تعالى: «فيها من كل فاكهة
زوجان» وفى الجنة الآخرى «فيها فاكهة ونخل ورمان» وخص النخل والرمان
من بين النفاكهة بالذكر لفضلهما وشرفهما كما نص على حدائق النخل
والاعتناء به فى سورة النبأ إذ هما من أفضل أنواع النفاكهة وأطيبها وأحلاها
وقد قال تعالى: «ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم» وقال الطبرانى حدثنا
معاذ بن الجثنى حدثنا على بن المدينى حدثنا ربحان بن سعيد عن عبادة بن منصور
عن أيوب عن أبى قلابة عن اسماعيل عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: «إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى» وقال عبد
الله بن الإمام أحمد حدثنى عتبة بن مكرم العمى حدثنا ربعى بن ابراهيم بن
عليه حدثنا عوف عن قسامة بن زهير عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: «هبط الله آدم من الجنة عليه السلام وعلمه صنعة كل شيء وزوده
من ثمار الجنة فماركهم هذه من ثمار الجنة غير أنها تغير وتلك لا تغير» وقد تقدم
أن سدرة المنتهى نبتها مثل اقلال . وفى صحيح مسلم من حديث أبى الزبير
عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «عرضت على الجنة حتى لو تناولت منها
قطفاً أخذته» وفى لفظ «فتناولت منها قطفاً فقصرت عنه يدى» وقال أبو خيثمة
حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبيد الله حدثنا ابن عقيل عن جابر قال: «بينما
نحن فى صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدمنا ثم تناول
شيئاً ليأخذه ثم تأخر فلما قضى الصلاة قال له أبى بن كعب يا رسول الله صنعت
اليوم فى صلاتك شيئاً ما كنت تصنعه؟ قال أنه عرضت على الجنة وما فيها من
الزهرة والمضرة فتناولت منها قطفاً من عنب لآتيكم به لحيل بينى وبينه ولو
أتيتمكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه» وقال ابن المبارك
أنبأنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «ثمر الجنة أمثال
اقلال والدلاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيه
عجم» وقال سعيد بن منصور حدثنا شريك عن أبى اسحاق عن البراء بن

عازب قال: «ان أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياماً وقعوداً ومضطجعين على أى حال شاؤا» وقال البزار فى مسنده حدثنا أحمد بن الفرج الحمصى حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصى حدثنا محمد بن المهاجر عن الضحاك المعافرى عن سليمان بن موسى قال حدثنى كريب انه سمع أسامة بن زيد يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا مشعر للجنة فان الجنة لا حطر لها، هى ورب السكبة نور تلالاً، وريحانة تهتر، وقصر مشيد، ونهر منطرد، وثمره نضيجة وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة فى مقام ابدى فى دار سليمة، وفاكهة وخضرة وحبيرة ونعمة فى محلة عالية بهيمة، قولوا نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها، قولوا ان شاء الله قال القوم ان شاء الله» قال البزار وهذا الحديث لا نعلم من رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم الا أسامة ولا نعلم له طريقاً عن أسامة الا هذا الطريق، ولا نعلم رواه عن الضحاك المعافرى الا هذا الرجل محمد بن مهاجر وفى حديث لقيط بن صبرة الذى رواه عبد الله بن أحمد فى مسنده أبيه وغيره «قلت يا رسول الله على ما يطلع أهل الجنة؟ قال على انهار من عسل مصفى، وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير اسن وبفاكهة لعمركم انهم يعمون وخير من مثله معه، وأما الريحان فهو كل نبت طيب الرائحة» قال الحسن وأبو العالية هو ريحاننا هذا يؤتى بنصن من ريحان الجنة. فانشمه

— الباب السادس والاربعون —

(فى زرع الجنة)

قال تعالى : « وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذذ الاعين » وعن أبى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدث يوماً وعنده رجل من أهل البادية : « أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه عز وجل فى الزرع فقال له أولست فيما اشتيت؟ فقال بلى ولكنى أحب ان ازرع فأسرع وبذر فبادر الطرف نباته واستوائه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال فيقول الله عز وجل دونك يا ابن آدم فانه لا يشبعك شئ، فقال الاعرابى يا رسول الله لا نجد هذا الا قرشياً أو أنصاريًا فانهم اصحاب زرع فاما نحن فلسنا باصحاب زرع فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم» رواه البخارى فى كتاب التوحيد فى باب كلام الرب تعالى مع أهل الجنة وخرجه فى غيره أيضاً وهذا يدل على أن فى

الجنة زرعاً وذلك البذر منه وهذا أحسن أن تكون الأرض معمورة بالشجر والزرع فإن قيل فكيف استأذن هذا الرجل ربه في الزرع فأخبره أنه في غنية عنه قيل لعله استأذنه في زرع يباشره ويزرعه بيده وقد كان في غنية عنه وقد كفى مؤونته ولا أعلم ذكر الزرع في الجنة إلا في هذا الحديث والله أعلم . وروى إبراهيم بن الحارث عن أبيه عن عكرمة قال « بينا رجل في الجنة فقال في نفسه لو أن الله يأذن لي لزرت ، فلا يعلم إلا والملائكة على أبوابه فيقولون سلام عليكم يقول لك ربك تمنيت في نفسك شيئاً فقد علمته ، وقد بعث الله معنا البذر فيقول ابذروا فيخرج أمثال الجبال فيقول له الرب من فوق عرشه كل يا ابن آدم فإن ابن آدم لا يشبع » والله أعلم

— الباب السابع والاربعون —

(في ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجرها الذي تجري عليه)
وقد تكرر في القرآن في عدة مواضع قوله تعالى « جنات تجري من تحتها الأنهار » وفي موضع « تجري تحتها الأنهار » وفي موضع « تجري من تحتهم الأنهار » وهذا يدل على أمور (أحدها) وجود الأنهار فيها حقيقة (الثاني) أنها جارية لا واقفة (الثالث) أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم كما هو المعمود في أنهار الدنيا وقد ظن بعض المفسرين أن معنى ذلك جريانها بأمرهم وتصريفهم لها كيف شاؤوا وكأن الذي حملهم على ذلك أنه لما سمعوا أن أنهارها تجري في غير أقدود فهي جارية على وجه الأرض حموا قوله تجري من تحتها الأنهار على أنها تجري بأمرهم إذ لا يكون فوق المكان تحتها وهؤلاء أوتوا من ضعف الفهم فإن أنهار الجنة وإن جرت في غير أقدود فهي تحت القصور والمنازل والغرف وتحت الأشجار وهو سبحانه لم يقل من تحت أرضها وقد أخبر سبحانه عن جريان الأنهار تحت الناس في الدنيا فقال « ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لهم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم » فهذا على ما هو المعمود المتعارف وكذلك ما حكاه من قول فرعون « وهذه الأنهار تجري من تحتي » وقال تعالى « فيها عينان نضاختان » دل ابن أبي شيبة حدثنا يحيى بن يمان عن أشعث عن جعفر بن سعيد قال « نضاختان بالماء والنواكه » وحدثنا ابن يمان عن أبي إسحاق عن أبان عن أنس قال « نضاختان بالمسك والعنبر ينضخان على دور أهل الجنة كما ينضج المطر على دور أهل الدنيا » وحدثنا

عبد الله بن ادریس عن أبيه عن أبي اسحاق عن البراء قال اللتان تجريان أفضل من
النضاختين ^{وقال تعالى} : «مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن
وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عمل مصفى
ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم» فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة
ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا فآفة الماء أن يأسن ويأجن
من طول مكثه وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الخوضه وأن يصير قارصاً وآفة
الخمر كراهة مذاقها المذ في لذة شربها وآفة العسل عدم تصفيته. وهذا من آيات
الرب تعالى أن تجرى أنهار من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بأجرائها وتجريها
في غير أخذود وينفى عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها كما ينفى عن خمر الجنة جميع
آفات خمر الدنيا من الصداع والعمول واللغو والازفاف وعدم المذاقة هذه خمس آفات
من آفات خمر الدنيا تغفل العقل ويكثر اللغو على شربها بل لا يطيب لشربها ذلك
البللغو وتنزف في نفسها وتنزف المال وتصدع الرأس وهي كرهية المذاق وهي رجس
من عمل الشيطان توقع العداوة والبغضاء بين الناس وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة
وتدعو إلى الزنا وربما دعت إلى الوقوع على البنات والاخت وذوات المحارم
وتذهب الفيرة وتورث الخزي والندامة والنضيحة وتأحق شاربها بانقص نزع
الإنسان وهم الجبانين وتسلبه أحسن الاسماء والسمات وتسكوه أقبح الاسماء
والصنمات وتسهل قتل النفس وإفشاء السر الذي في إفشائه مضرته أو هلاكه
ومؤاخة الشياطين في تبذير المال الذي جعله الله قياماً له ولم يلزمه مؤنته وتمتلك
الاستر وتظهر الاسرار وتدل على العورات وتهون ارتكاب القبائح والمآثم
وتخرج من القلب تعظيم المحارم ومدمنها كعابد وثن، وكم أهاجت من حرب
وافقرت من غنى، وأذلت من عزيز، ووضع من شريف، وسلبت من نعمة
وجابت من نعمة، وفسخت مودة، ونسجت عداوة، وكم فرقت بين رجل وزوجه
فذهبت بقلبه وراحت بلبه، وكم أثرت من حسرة وأجرت من عبرة، وكم أغلقت
في وجه شاربها باباً من الخير وفتحت له باباً من الشر. وكم أوقعت في بلية وعجلت
من منية، وكم أورثت من خزية، وجرت على شاربها من محبة، وجرت عليه من
سنة فهي جماع الاثم ومفتاح الشر وسلاية النعم وجالبة النقم، ولو لم يكن من
رذائلها إلا أنها لا تجتمع هي وخمر الجنة في جوف عبد كما ثبت عنه صلى الله
عليه وسلم أنه قال: «من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة» لكفى. وآفات
الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرنا وكلها منتفية عن خمر الجنة فإن قيل فقد وصف

سبحانه الانهار بأنها جارية ومع لم أن الماء الجارى لا يأسن، فما فائدة قوله غير اسن قيل الماء الجارى وان كان لا يأسن فانه إذا أخذ منه شئ وطال مكثه أسن وماء الجنة لا يعرض له ذلك ولو طال مكثه ما طال، وتأمل اجتماع هذه الانهار الاربعة التى هى أفضل أشربة الناس فهذا لشربهم وطهورهم، وهذا لقوتهم وغذائهم وهذا لذتهم وسرورهم، وهذا لشفائهم ومنفعتهم والله أعلم

﴿فصل﴾

وأنهار الجنة تنفجر من أنهارهم تنحدر نازلة الى أقصى درجاتها كما روى البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله عز وجل للمجاهدين فى سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتكم الله فاسألوه الفردوس فانه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن؟ ومنه تنفجر أنهار الجنة» وروى الترمذى نحوه من حديث معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت ولفظ حديث عبادة «الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها درجة، ومنها الانهار الاربعة والعرش فوقها فان سألتكم الله فاسألوه الفردوس الاعلى» وفى المعجم للطبرانى من حديث الحسن عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الفردوس ربوة الجنة وأعلاها وأوسطها ومنها تنفجر أنهار الجنة» وفى صحيح البخارى من حديث شعبة عن قتادة قال أخبرنى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رفعت الى سدرة المنتهى فى السماء السابعة نبقها مثل قلال هجر، وورقها مثل آذان الفيلة، يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان، فقلت يا جبريل ما هذا؟ قال أما النهران الباطنان ففى الجنة وأما الظاهران فالنيل والنرات» وفى صحيحه أيضا من حديث همام عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بيننا أنا أسير فى الجنة اذا أنا بنهر حافته قباب اللاؤلؤ المحوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك، قال فضرب الملك بيده فذا طينه مسك أدفر». وفى صحيح مسلم من حديث الحنظلة بن قيس عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «الكوثر نهر فى الجنة وعذنيه ربي عز وجل» وقال محمد بن عبد الله الانصارى حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دخلت الجنة فاذا بنهر يجرى حافته خيام اللاؤلؤ، فضربت

(م - ٩ - حادى الارواح)

يدى الى ما يحرى فيه من الماء فاذا أنا بمسك أذفر، فقلت لمن هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذى أعطاك الله عز وجل» قال الترمذى «حدثنا هناد حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجره على الدر والياقوت، تربته اطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج» قال هذا حديث حسن صحيح وقال أبو نعيم الفضل حدثنا أبو جعفر هو الرازي حدثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد (أنا أعطيناك الكوثر) قال الخير الكثير وقال أنس بن مالك: نهر فى الجنة وقالت عائشة هو نهر فى الجنة ليس يدخل أحد إصبعيه فى أذنيه الا سمع خرير ذلك النهر، وهذا معناه والله أعلم أن خرير ذلك النهر يشبه الخرير الذى يسمع حين يدخل إصبعيه فى أذنيه، وفى جامع الترمذى من حديث الحريرى عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبی صلى الله عليه وسلم قال: «إن فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر، ثم تشقق الانهار بعد» قال هذا حديث حسن صحيح وقال الحاكم حدثنا الاصح حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن قره عن عبد الله بن سمرة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سره أن يسقيه الله عز وجل من الخمر فى الآخرة فليتركه فى الدنيا، ومن سره أن يكسبه الله الحرير فى الآخرة فليتركه فى الدنيا، وأنهار الجنة تنجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعا لكان ما يحليه الله به فى الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعا» وذكر الاعمش عن عمرو بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال: «إن أنهار الجنة تنجر من جبل مسك» وهذا موقوف صحيح وذكر ابن مردويه فى مسنده حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا الحرث بن عبيد حدثنا أبو عمران الجونى عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذه الانهار تشخب من جنة عدن فى جوبة ثم تصدع بعد أنهارا». وقال ابن أبي الدنيا حدثنا يعقوب بن عبيدة حدثنا يزيد بن هرون حدثنا الحريرى عن معاوية بن قره عن أنس بن مالك قال: «أظنكم تظنون أن أنهار الجنة اخذود فى الارض؟ لا والله أنها لسانحة على وجه الارض احدى حافتيها اللؤلؤ والاخرى الياقوت، وطينها

المسك الأذفر ، قال قلت ما الأذفر ؟ قال الذي لا خلط له « ورواه ابن مردويه في تفسيره عن محمد بن أحمد حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى حدثنا مهدي ابن حكيم حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا الحريري عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره هكذا رواه مرفوعا وقال أبو خيثمة حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أنه قرأ هذه الآية (انا أعطيناك الكوثر) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعطيت الكوثر فإذا هو يجري ولم يشق شقاء ، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت يدي الى تربته فإذا مسك أذفر وإذا احصاؤه اللؤلؤ » وذكر سفيان الثوري عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن مسروق في قوله تعالى : « وماء مسكوب » قال أنهار تجري في غير أخذود قال « ونخل ملمعهاضيم » قال من أصابها الى فروعها أو كلمة نحوها . وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبعان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة » وقال عثمان بن سعيد الدارمي حدثنا سعيد بن سابق حدثنا مسلمة بن علي عن مقاتل بن حبان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أنزل الله من الجنة خمسة أنهار سيجون وهو نهر الهند ، وجيحون وهو نهر باخ ، ودجلة والفرات وهما نهر الدراق ، والنيل وهو نهر مصر ، أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناح جبريل صلى الله عليه وسلم فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معاشهم ، فذلك قوله (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض) وأنا على ذهاب به لقادرون) فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم كله والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة فرفع ذلك كله الى السماء ، فذلك قوله تعالى (وأنا على ذهاب به لقادرون) فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد حرم أهلها خيرى الدنيا والآخرة « ورواه أحمد بن عدى في ترجمة مسلمة هذا مع أحاديث غيره وقال عامة أحاديثه غير محفوظة وبالجملة فهو من الضعفاء قال البخاري منكر الحديث وقال النسائي متروك وقال أبو حاتم لا تشتغل به . وقال عبد الله بن وهب حدثنا سعيد بن أبي أيوب

عن عقيل بن خالد عن الزهري أن ابن عباس قال: «إن في الجنة نهرًا يقال له البيدج عليه قباب من ياقوت تحته جوار يقول أهل الجنة انطلقوا بنا إلى البيدج فيتصفحون تلك الجوارى فإذا أعجب رجلاً منهم جارية من معصمها فتتبعه»

﴿فصل﴾

وأما العيون فقد قال تعالى: «إن الملتقين في جنات وعيون» وقال تعالى: «إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً عينا يشرب بها عباد الله يشفونها تفجيراً» قال بعض السلف معهم قضبان الذهب حيثما مالوا مالت معهم، وقد اختلف في قوله يشرب بها فقال الكوفيون الباء بمعنى من أي يشرب منها وقال آخرون بل الفعل مضمن ومعنى يشرب بها أي يروى بها فلما ضمنه معناه عداه تعديته وهذا أصح وألطف وأبلغ، وقالت طائفة الباء للظرفية والعين اسم للمكان كما تقول كنا بمكان كذا وكذا ونظير هذا التضمن قوله تعالى: «ومن يرد فيه بالحاد بظلم» ضمن معنى يهيم فعدى تعديته وقال تعالى: «ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً عينا فيها تسمى سلسبيلاً» فأخبر سبحانه عن العين التي يشرب بها المقربون صرفاً أن شراب الأبرار يمزج منها لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله فأخلص شرابهم، وهؤلاء مزجوا فمزج شرابهم، ونظير هذا قوله تعالى: «إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليمتنافس المتنافسون، وهزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون» فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين بالكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها، فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة، ما يحدث لهم باجتماع الشرايين ويجيء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى؛ كل وأطيب وألذ من كل منهما بانقراذه ويغدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر وما ألطف موقع ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها فإن شرابهم مزج أولاً بالكافور وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدل له، والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى وإنهما نوعان لذيذان من الشراب (أحدهما) مزج بكافور و(الثاني) مزج بزنجبيل

وأيضاً فإنه سبحانه أخبر بن مزج شرابهم بالكافور وبرده في مقابلة ما وصفهم به من حرارة الخوف والايشار والصبر والوفاء بجميع الواجبات التي نبه على وفائهم بأضعفها وهو مأوجبوه على أنفسهم بالنذر على الوفاء بأعلاها وهو ما أوجبه الله عليهم ولهذا قل «وجزائهم بما صبروا جنة وحريراً» فإن في الصبر من الخشونة وحبس النفس عن شهواتها ما اقتضى أن يكون في جزائهم من سعة الجنة ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة، وجمع لهم بين النضرة والسرور وهذا جمال ظواهرهم وهذا جال بواطنهم كما جملوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الاسلام وبواطنهم بحقائق الايمان، ونظيره قوله في آخر السورة «عاليتهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة» فهذه زينة الظاهر ثم قال «وسقاهم ربهم شراباً طهوراً» فهذه زينة الباطن المطهر لهم من كل أذى ونقص ونظيره قوله تعالى لا يبيهم آدم عليه السلام: «إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تصحى» فضمن له أن لا يصيبه ذل الباطن بالجوع ولا ذل الظاهر بالعري وأن لا يناله حر الباطن بالظمأ ولا حر الظاهر بالضحي ونظير هذا ما عدده على عباده من نعمه أنه أنزل عليهم لباساً يوارى سواآتهم ويزين ظواهرهم ولباساً آخر يزين بواطنهم وقلوبهم وهو لباس التقوى وأخبر أنه خير اللباسين وقريب من هذا إخباره أنه زين السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد فزين ظاهرها بالنجوم وبواطنها بالحراسة؛ وقريب منه أمره من أراد الحج بالزاد الظاهر ثم أخبر أن خير الزاد الزاد الباطن وهو التقوى؛ وقريب منه قول امرأة العزيز عن يوسف «فذلك الذي لم تثنى فيه» فأرتهن حسنه وجماله ثم قالت «ولقد راودته عن نفسه فاستعصم» فأخبرت عن بجمال باطنه وزينته بالعنة وهذا كثير في القرآن لمثله

— الباب الثامن والاربعون —

(في ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه)

قل تعالى: «إن الملقين في ظلال وعيون. وفواكه مما يشتهون. قوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون» وقال تعالى: «فأما من أوتى كتابه يمينه فيقول ها أقم اقروا كتابيه. فاني ظننت أني ملاق حسابه. فهو في عيشة راضية، في جنة عالية قطوفها دانية. كانوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية» وقال تعالى: «وتلك

الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون: لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون» وقال تعالى: «مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها» وقال تعالى: «وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون، يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم» وقال تعالى: «يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون» وفي صحيح مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون، طعامهم ذلك جشاء كريخ المسك، يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس» ورواه أيضا من رواية طلحة بن نافع عن جابر وفيه «قلوا فما بال الطعام؟ قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد» وفي المسند وسنن النسائي بإسناد صحيح على شرط الصحيح من حديث الأعمش عن ثمامة ابن عتبة عن زيد بن أرقم قال: «جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال نعم والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة، قال فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذى قال تكون حاجة أحدهم رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه» ورواه الحاكم في صحيحه ونظفه «أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فقال يا أبا القاسم ألسنت تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ ويقول لأصحابه إن أقر لي بهذا خصمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى، والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والشهوة والجماع فقال له اليهودي فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم» ورواه الحاكم في صحيحه عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتبهه فيخرب بين يديك منشويا» وقد تقدم حديث أنس في قصة عبد الله بن سلام في أول طعام يأكله أهل الجنة وشرابهم على أثره وحديث أبي سعيد الخدري «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده نزلا لأهل الجنة» وقال الحاكم أنبأنا الأصم حدثنا إبراهيم بن منقذ حدثنا إدريس

ابن يحيى حدثني الفضل بن المختار عن عبيد الله بن موهب عن عصمة بن مالك الخطمي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان في الجنة طيرا أمثال البخاتي فقل أبو بكر انها لناعمة يارسول الله» قال أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر» قال الحاكم وأنبأنا الأصم حدثنا يحيى بن أبي طالب أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء أنبأنا سعيد عن قتادة في قوله تعالى: «ولهم طير مما يشتهون» قال ذكر لنا ان أبا بكر» قال «يارسول الله اني لأرى طير الجنة ناعمة كما ان أهلها ناعمون» قال من يأكلها أنعم منها وانها أمثال البخاتي واني لأحتسب على الله أن تأكل منها يا أبا بكر وبهذا الاسناد عن قتادة عن أيوب رجل من أهل البصرة عن عبد الله بن عمرو في قوله تعالى: «يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب» قال يطاف عليهم بسبعين صحيفة من ذهب كل صحيفة منها فيها لون ليس في الاخرى» وقال الدراوردي حدثني ابن أخي ابن شهاب عن أبيه عن عبد الله بن مسلم أنه سمع أنس بن مالك يقول في الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هو نهر أعطانيه ربي أشد بياضا من اللبن» وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر» فقال عمر بن الخطاب انها يارسول الله لناعمة» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آكلها أنعم منها» تابعه ابراهيم بن سعيد عن ابن أخي ابن شهاب وقال فقال أبو بكر بدل عمر» وقال عثمان بن سعيد الدارمي حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى «وكأس من معين» يقول الخمر لا فيها غول يقول ليس فيها صداع وفي قوله تعالى «ولا هم عنها ينزفون» يقول لا تذهب عقولهم وقوله تعالى «وكأسا دهاقا» يقول ممتلئة وقوله «رحيق مختوم» يقول الخمر ختم بالمسك» قال علقمة عن ابن مسعود: (ختامه مسك) قال خلطه وليس بخاتم ثم يختم قات يريد والله أعلم أن آخره مسك يخالطه فهو من الخاتمة ليس من الخاتم وقال زيد بن معاوية سألت علقمة عن قوله تعالى «ختامه مسك» فقرأتها (خاتمه مسك) فقال لي ليست خاتمه ولكن اقرأه (ختامه مسك) قال علقمة ختامه خلطه ألم تر أن المرأة من نسائك تقول للطيب ان خلطه من مسك لكذا وكذا» وذكر سعيد بن منصور حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق الرحيق الخمر المختوم يجدون

عاقبتها طعم المسك وبهذا الاسناد عن مسروق عن عبد الله في قوله تعالى «ومزاجه من تسنيم» قال تخرج لاصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفاً وكذلك قال ابن عباس يشرب منها المقربون صرفاً وتخرج من دونهم وقال مجاهد ختامه مسك يقول طينة وهذا التفسير يحتاج إلى تفسير ولفظ الآية أوضح منه وكأنه والله أعلم يريد ما يبقى في أسفل الاناء من الدردى وذكر الحاكم من حديث آدم حدثنا شيبان عن جابر عن ابن سابط عن أبي الدرداء في قوله (ختامه مسك) قال هو شراب أبيض مثل الفضة يحتمون به آخر شرابهم لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجه لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها . قال آدم وحدثنا أبو شيبة عن عطاء قال «التسنيم» اسم العين التي يمزج بها الخمر . وقال الامام أحمد حدثنا هشيم أنبأنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (وكأساً دهاقاً) قال هي المتتابعة الممتلئة قال وربما سمعت العباس يقول اسقنا وادهق لنا وقد تقدم الكلام على قوله تعالى: «ان الا برار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً» وعلى قوله «ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً عينا فيها تسمى سلسبيلاً» فالت فرقة سلسبيلاً جملة مركبة من فعل وفاعل وسببيل منصوب على المفعول أى سل سببيلاً اليها وليس هذا بشيء وانما السلسبيل كلمة مفردة وهى اسم للعين نفسها باعتبار صفتها ولقد شفى قتادة ومجاهد في اشتقاق اللفظة فقال قتادة سلسلة فهم يصرفونها حيث شاؤوا وهذا من الاشتقاق الاكبر، وقال مجاهد سلسلة السيل حديدة الجرية، وقال أبو العالية والمقابلان تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم وهذا من سلاستها وحدة جريتها، وقال آخرون معناها طيبة الطعم والمذاق وقال أبو اسحاق سلسبيل صفة لما كان في غاية السلاسة فسميت العين بذلك وقال ابن الأنباري الصواب في سلسبيل انه صفة للماء وليس باسم للعين واحتج على ذلك بحجتين (احدهما) ان سلسبيلاً مصروف ولو كان اسماً للعين لم يصرف للتأنيث والعلمية (الثانية) أن ابن عباس قال معناه أنها تنسل في حلوقهم انسلا، «قلت» ولا حجة له في واحدة منهما، أما الصرف فلاقتضاء رؤس الآي له كمنظأزّه، وأما قول ابن عباس فانما يدل على أن العين سميت بذلك بتابعها صفة السلالة والسهولة . فقد تضمنت هذه النصوص أن لهم فيها الخبز واللحم والفاكهة والحلوى وأنواع الاشربة من

الماء واللبن والخمر وليس في الدنيا مما في الآخرة الا الاسماء، وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر، فأن قيل فأين يشوى اللحم وليس في الجنة نار؟ فقد أجاب عن هذا بعضهم بأنه يشوى بـ«كن» وأجاب آخرون بأنه يشوى خارج الجنة ثم يؤتى به اليهم والصواب أنه يشوى في الجنة بأسباب قدرها العزيز الحكيم لانضاجه واصلاحه كما قدر هناك أسبابا لانضاج الشمر والطعام على أنه لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح لانتفسد شيئا وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مجامرهم الآلوة» و(المجامر) جمع مجمر وهو البخور الذي يتبخر باحراقه و(الآلوة) العود المطرى فاخبر أنهم يتجمعون به أى يتبخرون باحراقه لتسطع لهم رائحته وقد أخبر سبحانه أن في الجنة ظلالا والظلال لا بد أن تفى مما يقابلها فقال: «هم وأزواجهم في ظلال على الارائك متكئون» وقال: «ان المتقين في ظلال وعيون» وقال: «وندخلهم ظلا ظليلا» فالاطعمة والحنوى والنجم تستدعى أسبابا تتم بها والله سبحانه خالق السبب والمسبب وهو رب كل شيء ومليكه لا إله إلا هو، وكذلك جعل لهم سبحانه أسبابا تصرف الطعام من الجشاء والعرق الذى يفيض من جلودهم، فهذا سبب اخراجه وذاك سبب انضاجه، وكذلك جعل في أجوافهم من الحرارة ما يطبخ ذلك الطعام ويلطفه ويهيئه لخروجه رشحا وجشاء، وكذلك ما هناك من الفواكه والثمار يخلق لها من الحرارة ما ينضجها ويجعل سبحانه أوراق الشجر ظللاها قرب الدنيا والآخرة واحد، وهو الخالق للأسباب والحكم ما يخلق في الدنيا والآخرة، والأسباب مظهر أفعاله وحكمته ولاكنها تختلف ولهذا يقع التعجب من العبد لورود أفعاله سبحانه على أسباب غير الأسباب المعهودة المألوفة وربما حمله ذلك على الانكار والكفر وذلك محض الجهل والظلم والا فليست قدرته سبحانه وتعالى مقصرة عن أسباب آخر ومسببات ينشئها منها كما لا تقصر قدرته في هذا العالم المشهود عن أسبابه ومسبباته وليس هذا باهون عليه من ذلك ولعل النشأة الاولى التى أنشأها الرب سبحانه وتعالى فيها بالعيان والمشاهدة أعجب من النشأة الثانية التى وعدنا بها إذا تمامها اللبيب ولعل اخراج هذه الفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة والماء والخشب والهواء المناسب لها أعجب عند العقل من اخراجها من بين تربة الجنة وهائها وهوائها، ولعل اخراج هذه الاشربة التى هى غذاء

ودواء وشراب ولذة من بين فرث ودم ومن قى ذباب أعجب من اجرائها أنهاراً
 في الجنة بأسباب أخر، ولعل اخراج جوهري الذهب والفضة من عروق الحجارة
 من الجبال وغيرها أعجب من انشائها هناك من أسباب أخر، ولعل اخراج
 الحرير من لعاب دود القز وبنائها على أنفسها القباب البيض والحمر والصفر أحكم
 بناء أعجب من اخراجه من أكمام تنشق عنه شجر هناك قد أودع فيها وانشأ
 منها، ولعل جريان بحار الماء بين السماء والارض على ظهور السحاب أعجب من
 جريانها في الجنة في غير أ حدود، وبالجملة فتأمل آيات الله التي دما عباده إلى التفكير
 فيها وجعلها آيات دالة على كمال قدرته وعلمه ومشيتته وحكمته وملكه وعلى
 توحده بالربوبية والالهية، ثم وازن بينها وبين ما أخبر به من أمر الآخرة
 والجنة والذات تجد هذه أدل شيء على تلك، شاهدة لها وتجدها من مشكاة واحدة
 ورب واحد وخالق واحد ومالك واحد فبعدا لقوم لا يؤمنون

﴿الباب التاسع والاربعون﴾

(في ذكر آياتهم التي يأكلون فيها ويشربون وأجناسها وصفاتها)
 قال تعالى: «يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب» فالصحاف جمع صحيفة
 قال الكافي بقصاع من ذهب وقال الليث الصحيفة قصعة مسانطحة عريضة، الجمع
 صحاف، قال الأعشى

والمسكاكيك والصحاف من الفضة والضامرات تحت الرجال
 وأما الاكواب فجمع كوب، قال الفراء الكوب المستدير الرأس الذي لا أذن
 له وأنشد لعدى

متكئاً تصفق أبوابه يسعى عليه العبد بالكوب
 وقال أبو عبيد الاكواب الابريق التي لا خراطيم لها قال أبو اسحاق واحدها
 كوب وهو اناء مستدير لاعروة له، وقال ابن عباس هي الابريق التي ليست
 لها آذان، وقال مقاتل هي أوان مستديرة الرأس ليس لها عرى، وقال البخاري
 في صحيحه الاكواب الابريق التي لها خراطيم وقال تعالى «يطوف عليهم ولدان
 مخلدون باكواب وأباريق وكأس من معين» الابريق هي الاكواب التي لها
 خراطيم فان لم يكن لها خراطيم ولا عرى فهي أكواب. وإبريق إفعيل من
 البريق وهو الصفاء فهو الذي يبرق لونه من صفائه ثم سمي كل ما كان على

شكله ابريقا وان لم يكن صافيا، وأباريق الجنة من الفضة في صفاء القوارير يرى من ظاهرها ما في باطنها والعرب تسمى السيف ابريقا لبريق لونه، ومنه قول ابن أحر

تعلقت ابريقا وعلقت جفنه ليهلك حيا ذا زهاء وخامل

وفي نوادر الاحيانى امرأة ابريق اذا كانت برافة، وقال تعالى «يطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة قدروها تقديرا» فالقوارير هي الزجاج فاخبر سبحانه وتعالى عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة وأنها بصفاء الزجاج وشفافته وهذا من أحسن الاشياء وأعجبها، وقطع سبحانه توهم كون تلك القوارير من زجاج فقال (قوارير من فضة) قال مجاهد وقتادة ومقاتل والكاسي والشعبي: قوارير الجنة من الفضة فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير قال ابن قتيبة كل ما في الجنة من الأنهار وسررها وفرشها وأكوابها مخالف لما في الدنيا من صنعة العباد كما قال ابن عباس ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الاسماء والا كواب في الدنيا قد تكون من فضة وتكون من قوارير فاعلمنا الله ان هناك أكوابا لها بياض الفضة وصفاء القوارير قال وهذا على التشبيه أراد قوارير كأنها من فضة وهذا كقوله تعالى (كأنهن الياقوت والمرجان) أى لهن ألوان المرجان في صفاء الياقوت. وهذا مردود عليه فان الآية صريحة انها من فضة، و«من» ههنا لبيان الجنس كما تقول خاتم من فضة ولا يراد بذلك أنه يشبه الفضة بل جنسه ومادته الفضة ولعله أشكل عليه ككونها من فضة وهى قوارير وهو الزجاج وليس في ذلك إشكال لما ذكرناه. وقوله (قدروها تقديرا) التقدير جعل الشيء بقدر مخصوص فقدرت الصناعات هذه الآنية على قدرهم لا يزيد عليه ولا ينقص منه وهذا أبلغ في لذة الشارب فلو نقص عن ربه لنقص التذاده ولو زاد حتى يشمئز منه حصل له ملالة وسامة من الباقي هذا قول جماعة من المفسرين، قال القراء قدروا الكأس على قدر رى أحدهم لا فضل فيه ولا عجز عن ربه وهو ألد الشراب. وقال الزجاج جعلوا الاناء على قدر ما يحتاجون اليه ويريدونه. وقال أبو عبيد يكون التقدير الذين يسقون قدرونها ثم يسقون يعنى أن الضمير في قدروا للملائكة والخدم قدروا الكأس على قدر الرى فلا يزد عليه فيثقل الكف ولا ينقص منه فتطلب النفس الزيادة

كما تقدم، وقالت طائفة الضمير يعود على الشاربين أى قدروا فى أنفسهم شيئاً
نخاءهم الامر بحسب ما قدروه وأرادوه؛ وقول الجمهور أحسن وأبلغ وهو مستلزم
لهذا القول والله أعلم * وأما الكأس فقال أبو عبيدة هو الأناء بما فيه وقال
أبو اسحاق الكأس الأناء اذا كان فيه خمر ويقع الكأس لكل اناء مع شربه
والمفسرون فسروا الكأس بالخمر وهو قول عطاء والسكبي ومقاتل؛ حتى قال
الضحاك كل كأس فى القرآن فانما عنى به الخمر وهذا نظر منهم الى المعنى والمقصود
فان المقصود ما فى الكأس لا الأناء نفسه . وأيضاً فان من الاسماء ما يكون اسماً
للحال والمحل مجتمعين ومنفردين كالنهر والكأس فان النهر اسم للماء والمحل معاً
ولكل منهما على انفراده وكذلك الكأس والقربة ولهذا يحى لفظ القربة مراداً
به الساكن فقط والمسكن فقط والامران معاً وقد أخرجنا فى الصحيحين من
حديث أبى موسى الأشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « جنتان من ذهب
آيتيهما وما فيهما، وجنتان من فضة آيتيهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن
ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن » وفيهما أيضاً من
حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن أول زمرة يدخلون
الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء
إضاءة؛ لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب
ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل
واحد، على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعاً فى السماء » وفى الصحيحين
من حديث حذيفة بن اليمان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « لا تشربوا فى آنية
الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافهما فانها فى الدنيا ولكم فى الآخرة » وقال
أبو يعلى الموصلى فى مسنده حدثنا ثوبان حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا ثابت
قال قال أنس: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الرؤيا فربما رأى الرجل
الرؤيا فيسأل عنه اذا لم يكن يعرفه فاذا أنبئ عليه معروف كان أعجب لرؤياه اليه
فأتته امرأة فقالت يا رسول الله رأيت كأنى أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت
الجنة فسمعت وجبة انتفعت لها الجنة فنظرت فاذا فلان بن فلان وفلان بن فلان
فسمت اثنى عشر رجلاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث سرية قبل
ذلك فجىء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم فقيل اذهبوا بهم الى نهر

البيدخ أو البيدخ فعمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر فاتوا بصحفة من ذهب فيها بسر فاكلوا من ذلك بسر ما شاؤا فما يقلبونها من وجه الاكلوا من الفاكهة ما أرادوا وأكلت معهم، فجاء البشير من تلك السرية فقال أصيب فلان وفلان حتى عد اثني عشر رجلا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة فقال قصي رؤياك فقصتها وجعلت تقول جئ بفلان وفلان كما قال «رواه الامام أحمد في مسنده بنحوه واسناده على شرط مسلم

﴿الباب الخمسون﴾

(في ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم ووسائدهم وغارقمهم وزرابيهم)
قال تعالى: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ» وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَحْمِلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاورٍ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ مُتَكئين فيها على الْأَرَائِكِ» قال جماعة من المفسرين السندس مارق من الديباج والاستبرق ماغلظ منه وقالت طائفة ليس المراد به الغليظ ولكن المراد به الصفيق وقال الزجاج هما نوعان من الحرير وأحسن الألوان الاخضر وألين اللباس الحرير فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به وبين نعومته والتذاذ الجسم به وقال تعالى: «وَلِبَاسُهم فيها حرير» وههنا مسألة وهذا موضع ذكرها وهي أن الله سبحانه وتعالى أخبر أن لباس أهل الجنة حرير وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة» متفق على صحته من حديث عمر بن الخطاب وأنس بن مالك وقد اختلف في المراد بهذا الحديث فقالت طائفة من السلف والخلف انه لا يلبس الحرير في الجنة ويلبس غيره من الملابس قالوا أم قوله تعالى (ولباسهم فيها حرير) فمن العام الخصوص وقال الجمهور وهذا من الوعيد الذي له حكم أمثاله من نصوص الوعيد التي تدل على أن الفعل مقتض لهذا الحكم وقد يتخلف عنه لمانع وقد دل النص والاجماع على أن التوبة مانعة من حقوق الوعيد ويمنع من لحوقه أيضا الحسنات الماحية والمصائب المكفرة ودعاء المسامين وشفاعة من يأذن الله في الشفاعة فيه وشفاعة أرحم الراحمين الى نفسه، فهذا الحديث نظير الحديث الآخر من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة . وقال تعالى: «وجزاهم بما

صبروا جنة وحريرا» وقال: «عليهم ثياب سندس خضر واستبرق» وتأمل ما دلت عليه لفظة «عليهم» من كون ذلك اللباس ظاهراً بارزاً يحمل ظواهرهم ليس بمنزلة الشعاع الباطن بل الذى يلبس فوق الثياب للزينة والجمال . وقد اختلف القراء السبعة فى نصب «عليهم» ورفع على قراءتين واختلف المفسرون هل ذلك للولدان الذين يطوفون عليهم فيطوفون وعليهم ثياب السندس والاستبرق أو للسادات الذين يطوفون عليهم الولدان فيطوفون على ساداتهم وعلى السادات هذه الثياب وليس الحال ههنا بالبين ولا تحته ذلك المعنى البديع الرائع فالصواب أنه منصوب على الظرف فان عالياً لما كان بمعنى فوق أجرى مجراه ، قال أبو علي وهذا الوجه أيين وهو أن عالياً صفة فجعل ظرفاً كما كان قوله (والركب أسفل منكم) كذلك وكما قلوا هو ناحية من الدار ، وأما من رفع عليهم فعلى الابتداء وثياب سندس خبره ولا يمنع من هذا افراد عال وجمع الثياب لان فاعلاً قد يراد به الكثرة كما قال

ألا ان جيرانى العشية راح دعتهم دواعى من هوى ومناوح

وقال تعالى: «مستكبرين به سامراً تهجرون» ومن رفع خضر أجراء صفة للثياب وهو الاقيس من وجوه . (أحدها) المطابقة بينهما فى الجمع . (الثانى) موافقته لقوله تعالى «ويلبسون ثياباً خضراً» (الثالث) تخلصه من وصف المفرد بالجمع ومن جر أجراء صفة للسندس على ارادة الجنس كما يقال أهلكت الناس الدينار الصفر والدرهم البيض، وترجح القراءة الأولى بوجه رابع ايضاً وهو أن العرب تبنى بالجمع الذى هو فى لفظ الواحد فيجرونه مجرى الواحد كقوله تعالى: «الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا» وكقوله «كانهم أعجاز نخيل منعمر» فإذا كانوا قد أفردوا صفات هذا النوع من الجمع فافراد صفة الواحد وان كان فى معنى الجمع أولى . وفى استبرق قراءتان الرفع عطفًا على ثياب والجذر عدلًا على سندس وتأمل كيف جمع لهم بين نوعى الزينة الظاهرة من اللباس والحلى كما جمع لهم بين الظاهرة والباطنة كما تقدم قريباً فجعل البواطن بالشراب الطهور ، والسواعد بالاساور ، والابدان بثياب الحرير . وقال تعالى ، «ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحملون فيها من أساور ومن

ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حريز» واختلّفوا في جر لؤلؤ ونصبه فمن نصبه ففيه وجبهان أحدهما أنه عطف على موضع قوله من أساور والثاني أنه منصوب بفعل محذوف دل عليه الأول أي ويحلون لؤلؤا ومن جره فهو عطف على الذهب ثم يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون لهم أساور من ذهب وأساور من لؤلؤ، ويحتمل أن تكون الأساور مركبة من الأمرين معا الذهب المرصع باللؤلؤ والله أعلم بما أراد. قال ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن رزق حدثنا يزيد بن الحباب قال حدثني عتبة بن سعد قاضي الري عن جعفر بن أبي المغيرة عن ثمر بن عتبة عن كعب قال: «أن الله عز وجل ملكا منذ يوم خلق يصوغ حلّ أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة لو أن قلبا من حلّ أهل الجنة أخرج لذهب بضوء شعاع الشمس فلا تسألوا بعد هذا عن حلّ أهل الجنة» حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير الغنبري. حدثنا أبي عن أشعث عن الحسن قال: «الحلّ في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء» حدثنا أحمد بن منيع حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو أن رجلا من أهل الجنة أطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم» وقال ابن وهب حدثني ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن عن أبي هريرة قال إن أبا أمامة حدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم وذكر حلّ أهل الجنة فقال: «مسورون بالذهب والنضة مكالمون بالدر، عليهم أكاليل من در ويقوت متواصلة، وعليهم تاج كتاج الملوك، شباب مرد مكالمون» وقد أخرجافي الصحيحين والسياق لمسلم عن أبي حازم قل: «كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة فكان يمد يده حتى يبلغ ابطة فقلت يا أبا هريرة ما هذا الوضوء؟ فقال يا بني فروخ أنتم ههنا؟ لو علمت أنكم ههنا ماتوضأت هذا الوضوء، سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول. تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء» وقد احتج بهذا من يرى استحباب غسل العضد وإطالته والصحيح أنه لا يستحب وهو قول أهل المدينة وعن أحمد روايتان والحديث لا يدل على الإطالة فإن الحلية إنما تكون زينة في الساعد والمعصم لا في العضد والكتف. وأما قوله (فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل) فهذه الزيادة مدرجة في الحديث من كلام أبي هريرة لا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم

بين ذلك غير واحد من الحفاظ . وفي مسند الامام أحمد في هذا الحديث قال
نعم فلا أدري قوله من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل، من كلام النبي
صلى الله عليه وسلم أو شيء قاله أبو هريرة من عنده، وكان شيخنا يقول هذه
اللفظة لا يمكن أن تكون من كلام رسول الله ﷺ فإن الغرة لا تكون في اليد
لا تكون إلا في الوجه واطالته غير ممكنة إذ تدخل في الرأس فلا تسمى تلك
غرة . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من
يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ولا تبلى ثيابه ولا ينفى شبابه، في الجنة مالا عين رأت
ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» . وقوله لا تبلى ثيابه الظاهر أن المراد به
الثياب المعينة لا يلحقها البلى، ويحتمل أن يراد به الجنس بل لا يزال عليه الثياب الجدد كما
أنها لا ينقطع أكلها في جنسه بل كل ما كول يخلفه آخر والله أعلم . قال الامام
أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهيدي حدثنا محمد بن أبي الوضاح حدثنا العلاء
ابن عبد الله بن رافع حدثنا حنان بن خارجة عن عبد الله بن عمر قال: «جاء أعرابي
حرمي فقال يا رسول الله أخبرنا عن الهجرة؟ إليك أينما كنت، أم لقوم خاصة، أم
إلى أرض معلومة إذا مت انقطعت؟ فسأل ثلاث مرات ثم جلس، فسكت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يسيرا ثم قال ابن السائل؟ فقال هاهو ذا يا رسول الله، قال
الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ثم
أنت مهاجروا من مت بالحضر، فقام آخر فقال يا رسول الله أخبرني عن ثياب أهل
الجنة أتخاق خاقا أم تنسج نسجا، قال فضحك بعض القوم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: تضحكون من جاهل يسأل طالما، فاسكت النبي صلى الله عليه وسلم
ساعة ثم قال ابن السائل عن ثياب أهل الجنة؟ فقال هاهو ذا يا رسول الله، قال
لا بل يشقق عنها ثمر الجنة: ثلاث مرات . وقال الطبراني في معجمه حدثنا أحمد بن
يحيى الحلواني والحسن بن علي الفسوي قالا حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا فضيل
ابن مرزوق عن أبي إسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال: «أول زمرة يدخلون الجنة كأَن وجوههم ضوء القمر ليلة البدر
والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب دري في السماء لكل واحد منهم زوجتان
من الحور العين على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقها من وراء لحومها
وحللها، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاج البيضاء» وهذا الإسناد على شرط

الصحيح . وقال الامام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا الخزرجي بن عثمان السعدي حدثنا أبو أيوب مولى لعثمان بن عفان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومنها معها» ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومنها معها، ولنضيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومنها معها، قال يارسول الله وما النضيف؟ قال الخمار» وقال ابن وهب اخبرنا عمرو أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل ان يتحول ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبيه فينظر وجهه في خدها اصفى من المرأة وان أدنى لؤلؤة عليها التضيء ما بين المشرق والمغرب، فتسلم عليه فيرد السلام ويسألها من أنت؟ فتقول انا المازيد، وانه ليكون عليها سبعون ثوباً أدناها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وان عليها التيجان، وان أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب» وروى اترمذي ذكر التيجان وان أدنى لؤلؤة عن سويد بن نصر عن رشدين بن سعد عن عمرو بن وهب . وقال ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن ادريس الحنظلي حدثنا أبو عتبة حدثنا اسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف بن يحيى ابن أبي كثير عن أبي سلام الاسود قال سمعت أبا امامة يتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما منكم من أحد يدخل الجنة الا انطاق به إلى طوبى فتفتح له أكلها فيأخذ من أى ذلك شاء أبيض وان شاء أحمر وان شاء أخضر وان شاء أصفر، وإن شاء اسود، ومثل شقائق النعمان وأرق وأحسن» قال ابن أبي الدنيا وحدثنا سويد بن سعيد حدثنا عبد ربه بن بارق الحنفي عن خالد الزميل انه سمع أباة قال: «قامت لابن عباس ما حمل الجنة؟ قال فيها شجرة فيها ثمر كأنه الرمان فاذا أراد ولي الله كسوة انحدرت اليه من غصنها فانفلقت عن سبعين حلة ألوانا بعد ألوان، ثم تنطبق ترجع كما كانت» قال وحدثنا عبد الله بن أبي خيثمة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثني دراج أبو السمح ان ابا الهيثم حدثه عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلاً قال له يارسول الله «طوبى لمن رآك وآمن بك فقال طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى بـم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني، فقال له رجل وما طوبى؟ ذل شجرة في

(م - ١٠ - حادي الارواح)

بينة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكامها قال وحدثني يعقوب ابن عبيد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا حماد بن سلمة عن أبي المهزم قال قال أبو هريرة «دار المؤمن في الجنة لؤلؤة فيها شجرة تنبت الحلل فيأخذ الرجل بأصبعيه وأشار بالشباة والاهام - سبعين حلة بمنطقة باللؤلؤ والمرجان» قال وحدثنا حمزة ابن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا صفوان بن حمزة عن شريح بن عبيد قال قل كعب: «لو أن ثوبا من ثياب أهل الجنة لبس اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم» وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن بشر بن كعب أو غيره قال ذكر لنا أن الزوجة من أزواج الجنة لها سبعون حلة هي أرق من شقيقكم هذا يرى مخ ساقها من وراء اللحم» وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: «أهدى أ كيد ردومة إلى النبي صلى الله عليه وسلم جبة من سندس فتعجب الناس من حسننها فقال لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذا» وفي الصحيحين أيضا من حديث البراء قال: «أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب حرير فجعلوا يعجبون من لينه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبون من هذا؟ لمناديل سعد ابن معاذ في الجنة أحسن من هذا» ولا يخفى ما في ذكر سعد بن معاذ بخصوصه هنا فإنه كان في الانصار بمنزلة الصديق في المهاجرين واهتز لموته العرش وكان لا يأخذه في الله لومة لائم، وختم الله بالشهادة وآثر رضا الله برسوله علي رضا قومه وعشيرته وحلفائه، ووافق حكمه الذي حكم به حكم الله فوق سبع سمواته، ونعاه جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم موته، فحق له أن تكون مناديله التي يمسح بها يديه في الجنة أحسن من حلل الملوك

(فصل)

(ومن ملابسهم التي تجان على رؤسهم)

ذكر البيهقي من حديث يعقوب بن حميد ابن كاسب أنبأنا هشام بن سليمان عن عكرمة عن اسماعيل بن رافع عن سعيد المقبري وزيد بن أسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ القرآن فقام به آناء الليل والنهار ويحل حلاله ويحرم حرامه، خلطه الله بدمه ودمه، وجعله رفيق السفرة الكرام البررة، وإذا كان يوم القيامة كان القرآن له

حجيجاً، فقال يارب كل عامل يعمل في الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا الا فلانا
كان يقوم في آناء الليل وأطراف النهار فيحل حلالى ويحرم حرامى يقول يارب؛
فأعطه؛ فيتوجه الله تاج الملوكة ويكسوه من حلة الكرامة ثم يقول هل رضيت؟
فيقول يارب أرغب له في أفضل من هذا؛ فيعطيه الله المالك بيمينه والخلد بشماله
ثم يقول له هل رضيت؟ فيقول نعم يارب» وذكر الامام أحمد في المسند من
حديث أبى بريدة عن أبيه يرفعه «تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها
حسرة ولا تستطيعها البطلة» ثم سكت ساعة ثم قال: تعلموا سورة البقرة وآل
عمران فانهما الزهراوان، وإنهما يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو
غيابتان أو فرقان من طير صواف، وانقرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق
عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له هل تعرفنى؟ فيقول له ما أعرفتك؛ فيقول له
القرآن أنا الذى أظمأتك فى الهواجر واسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء
تجارته وانك اليوم من وراء كل تجارة؛ فيعطى المالك بيمينه والخلد بشماله ويوضع
على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان بم
كسينا هذا؟ فيقال بأخذ ولدكما انقرآن، ثم يقال له اقرأ واصعد فى درج
الجنة وغرفها فهو فى صعود مادام يقرأ هدى كأن أو ترتيلاً» (البطلة) السحرة
(والغياية) ما ظل الانسان فوقه. وقال عبد الله بن وهب أخبرنى عمرو بن
الحارث عن أبى السمع عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى ان النبي صلى
الله عليه وآله وسلم «تلا قوله عز وجل (جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من
أساور من ذهب) فقال ان عليهم التيجان ان أدنى لؤلؤة منها لتضىء ما بين
المشرق والمغرب»

﴿فصل﴾

وأما الفرش فقد قال تعالى: «متكئين على فرش بطائنها من استبرق» وقال تعالى
: «وفرش مرفوعة» فوصف الفرش بكونها مبطنة بالاستبرق وهذا يدل على أمرين
(أحدهما) أن ظواهرها أعلى وأحسن من بطائنها لان بطائنها الارض وظواهرها
للجمال والزينة والمباشرة قال سفيان الثورى عن أبى اسحاق عن أبى هبيرة
ابن مريم عن عبد الله فى قوله بطائنها من استبرق قال هذه البطائن قد خبرتم
بها فكيف بالظواهر؟ (الثانى) يدل على أنها فرش عالية لها سمك وحشويين

البطانة والظاهرة وقد روى في سمكها وارتفاعها آثار إن كانت محفوظة فالمرد ارتفاع محلها كما رواه الترمذى من حديث أبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (في قوله «وفرش مرفوعة» قال ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام) قال الترمذى حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد قيل ومعناه إن الارتفاع المذكور للدرجات والفرش عليها قلت رشدين بن سعد عنده مناكير قال الدارقطنى ليس بالقوى وقال أحمد لا يبالى عن روى وليس به بأس فى الرقاق وقال أرجو أنه صالح الحديث وقال يحيى بن معين ليس بشيء وقال أبو زرعة ضعيف وقال الجوزجاني: عنده مناكير ولا ريب أنه كان سيئ الحفظ فلا يعتمد على ما ينفرد به وقد قال ابن وهب حدثنا عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (في قوله «وفرش مرفوعة» قال ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض) وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ فالله أعلم وقال الطبرانى حدثنا المقدم بن داود حدثنا أسد بن موسى حدثنا حماد بن مسلمة عن علي بن زيد عن مطرف عن عبد الله بن الشخير عن كعب (في قوله عز وجل «وفرش مرفوعة» قال مسيرة أربعين سنة) قال الطبرانى حدثنا ابراهيم بن نائلة حدثنا اسماعيل بن عمرو البجلي حدثنا اسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة قال: «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفرش المرفوعة قال لو طرح فراش من أعلاها لهُوى إلى قرارها مائة خريف» وفي رفع هذا الحديث نظر فقد قال ابن أبي الدنيا حدثنا اسحاق بن اسماعيل حدثنا معاذ ابن هشام قال وجدت فى كتاب أبى عن القاسم عن أبي أمامة (في قوله عز وجل «وفرش مرفوعة» قال لو ان أعلاها سقط ما بلغ أسفها أربعين خريفاً)

(فصل)

وأما البسط والزراى فقد قال تعالى: «متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان» وقال تعالى: «فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة وغمارق مصفوفة وزراى مبثوثة» وذكر هشام عن أبى بشر عن سعيد بن جبیر قال (الرفرف) رياض الجنة و(العبقري) عتاق الزراى وذكر اسماعيل بن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله تعالى «متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان» قال هى

البسط فال وأهل المدينة يقولون هي البسط وأما الخمارق فقال الواحدى هي
الوسائد فى قول الجميع واحدها نمرقة بضم النون وحكى الفراء نمرقة بكسر
وأشدد أبو عبيدة

إذا ما بساط اللوم مد وقربت للذاته أنطاطه ونمارقه
قال السكبى وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض وقال مقاتل هو الوسائد
مصفوفة على الطنافس وزرأى بمعنى البسط والطنافس واحدها زريبة فى قول
جميع أهل اللغة والتعبير ومبثوثة مبسوطة منشورة

(فصل)

وأما الرفرف فقال الليث ضرب من الثياب خضر تبسط الواحد رفرفة وقال
أبو عبيدة الرفارف البسط وأشدد لابن مقبل
وانا لنزالون تغشى نعالنا سواقط من أصناف ريط ورفرف
وقال أبو اسحاق قالوا الرفرف ههنا رياض الجنة وقالوا الرفرف الوسائد
وقالوا الرفرف المحابس وقالوا فضول المحابس للفرش وقال المبرد هو فضول
الثياب التى تتخذ الملوكة فى الفرش وغيره قال الواحدى وكان الأقرب هذا لأن
الغرب تسمى كسر الخباء والخزقة التى تخاط فى أسفل الخباء رفرفا ومنه الحديث
فى وفاة النبى صلى الله عليه وسلم «رفع الرفرف فرأينا وجهه كأنه ورقة» قال
ابن الأعرابى الرفرف ههنا طرف البساط فشبه ما فضل من المحابس عما تحته
بطرف البساط فسمى رفرفا «قلت» أصل هذه الكلمة من الطرف أو الجانب
فنه الرفرف فى الحائط ومنه الرفرف وهو كسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى
منها، الواحدة رفرفة، ومنه رفرف الطير إذا حرك جناحه حول الشئ يريد أن
يقع عليه، والرفرف ثياب خضر يتخذ منها المحابس الواحدة رفرفة، وكل ما فضل
من شئ فثنى وعطف فهو رفرف (وفى حديث ابن مسعود، فى قوله عز وجل: «لقد
رأى من آيات ربه الكبرى» قال رأى رفرفا أخضر سد الأفق) وهو فى الصحيحين

(فصل)

وأما العبقرى فقال أبو عبيدة كل شئ من البسط عبقرى قال ويرون أنها
أرض توشى فيها، وقال الليث عبقر موضع بالبادية كثير الجن يقال كأنهم جن
عبقر قال أبو عبيدة فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم حين ذكر عمر فلم أر

عبقريا يفرى فريه ، وانما أصل هذا فيما يقال إنه نسب الى عبقر وهي أرض
يسكنها الجن فصار مثلاً منسوب الى شيء رفيع وأنشد لزهير
نخال عليها حبة عبقرية جديرون يومان ينالوا فيستعلوا
وقال أبو الحسن الواحدى وهذا القول هو الصحيح فى العبقرى وذلك ان
العرب إذا بالغت فى وصف شيء نسبتة الى الجن أو شبهته بهم ومنه قول لبيد
*جن النداء رواسيا أقدامها * وقال آخر يصف امرأة

جنية ولها جن يعامها رمى القلوب بقوس ما لها وتر
وذلك أنهم يعتقدون فى الجن كل صفة عجيبة وانهم يأتون بكل أمر عجيب
ولما كان عبقر معروفاً بسكناهم نسبوا كل شيء يبالغ فيه اليها يريدون بذلك أنه
من عملهم وصنعهم هذا هو الاصل ، ثم صار العبقرى اسماً ونعتاً لكل ما بولغ
فى صفته ويشهد لما ذكرنا بيت زهير فانه نسب الجن الى عبقر ثم رأينا أشياء
كثيرة نسبت إلى عبقر غير البسط والثياب كقوله فى صفة عمر عبقرى وروى
سامة عن القراء قال العبقرى السيد من الرجال وهو الفاخر من الحيوان والجوهر
فلو كانت عبقر مخصصة بالوشى لما نسب اليها غير الموشى وانما ينسب اليها
البسط الموشية العجيبة الصنعة كما ذكرنا كما نسب اليها كل ما بولغ فى وصفه قال
ابن عباس وعبقرى يريد البسط والطنافس وقال الكلبى هى الطنافس الجملة
وقال قتادة هى عتاق الزرابى وقال مجاهد الديباج الغليظ وعبقرى جمع واحده
عبقرية ولهذا وصف بالجمع فتأمل كيف وصف الله سبحانه وتعالى الفرش بأنها
مرفوعة والزرابى بأنها مبثوثة والمارق بأنها مصفوفة ورفع الفرش دال على
سمكها ولينها ، وبث الزرابى دال على كثرتها وأنها فى كل موضع لا يختص بها
صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه ، وصف المساند يدل على أنها مهيئة للاستناد
اليها دائماً ليست مخبأة تصف فى وقت دون وقت والله أعلم

« الباب الحادى والخمسون »

(فى ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم وبشخاناتهم)

قال تعالى : « حور مقصورات فى الخيام » وفى الصحيحين من حديث أبى موسى
الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان : « للمؤمن فى الجنة خيمة من لؤلؤة
واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً ، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى

بعضهم بعضاً» وفي لفظ لهما « في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخريين يطوف عليهم المؤمن» وفي لفظ آخر لها أيضاً «الخيمة درة طولها في السماء ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون» وللبخاري وحده في لفظ «اولها ثلاثون ميلاً» وهذه الخيم غير الغرف والقصور بل هي خيام في البساتين وعلى شواطئ الأنهار وقال ابن أبي الدنيا حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن أحمد بن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان قال: «ينشأ خلق الحور العين أنشأ، فأذا تكامل خلقهن ضربت عليهم الملائكة الخيام» وقال بعضهم لما كن ابكاراً وعادة البكر ان تكون مقصورة في خدرها حتى يأخذها بعلها، أنشأ الله تعالى الحور وقصرهن في خدور الخيام حتى يجمع بينهن وبين أوليائهن في الجنة وقال ابن أبي الدنيا حدثنا اسحاق حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم بن أبي بزة عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال: «لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك، لا مزجات ولا زفرات ولا بحرات ولا طماحات، حور عين كأنهن بيض مكنون» حدثنا علي بن الجعد حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال سمعت أبا الاحوص يحدث عن عبد الله بن مسعود (في قوله تعالى «حور مقصورات في الخيام» قال در مجوف) وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا ساجان التيمي عن قتادة عن خليد القصري عن أبي الدرداء قال: «الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون باباً كلهم من درة» قال ابن المبارك وأخبرنا هام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب» وقال ابن أبي الدنيا حدثنا فضيل بن عبد الوهاب حدثنا شريك عن منصور عن مجاهد «حور مقصورات في الخيام قال في خيام اللؤلؤ والخيمة لؤلؤة واحدة» حدثني محمد بن جعفر حدثنا منصور حدثنا يوسف بن الصباح عن أبي صالح عن ابن عباس حور مقصورات في الخيام قال الخيمة درة من لؤلؤة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ، ولها ألف باب من ذهب حولها سراق دوره خمسون فرسخاً يدخل عليه من كل باب منها ملك بهدية من عند الله عز وجل، وذلك قوله «والملائكة يدخلون عليهم من كل باب» والله أعلم وأما السرر فقال تعالى: «متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين» وقال تعالى: «ثلة من

الاولين وفاليل من الآخرين على سرر موضونة متكتئين عليها متقابلين» وقال تعالى: «فيها سرر مرفوعة» فاخبر تعالى عن سررهم بانها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ليس بعضها خلف بعض ولا بعيداً من بعض وأخبر أنها موضونة والوضن في اللغة التضيد والنسج المضاعف يقال وضن فلان الحجر والآخر بعضه فوق بعض فهو موضون وقال الليث الوضن نسج السرير وأشباهه ويقال درع موضونة مقاربة للنسج وقال رجل من العرب لامرأته ضني متاع البيت أي قاربي بعضه من بعض قال أبو عبيدة والفراء والمبرد وابن قتيبة موضونة منسوجة مضاعفة متداخلة بعضها على بعض كما توضن حلق الدرع ومنه سمي الوضن وهو لطاق من سيور تنسج فيدخل بعضها في بعض وأنشدوا للاعشى
 ومن نسج داود موضونة تساق مع الحى عيرا فعيरा

قالوا موضونة منسوجة بتضمان الذهب مشتبكة بالدر والياقوت والزبرجد قل هشيم أنبأنا حصين عن مجاهد عن ابن عباس قل مرمولة بالذهب وقل مجاهد موصولة بالذهب وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس موضونة مصفوفة فاخبر سبحانه أنها مرفوعة قل عطاء عن ابن عباس قال سرر من ذهب مكحلة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل ما بين مكة وأيلة وقال السكبي طول السرير في السماء مائة ذراع فإذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتى يجلس عليه فإذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه

(فصل)

(وأما الارائك) فهي جمع أريكة قل مجاهد عن ابن عباس «متكتئين فيها على الارائك» قال لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة فإذا كان سريراً بغير حجلة لا يكون أريكة وإن كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة ولا تكون أريكة إلا والسرير في الحجلة فإذا اجتمعا كانت أريكة وقال مجاهد هي الاسرة في الحجال قال الليث الأريكة سرير حجلة فالحجلة والسرير أريكة وجمعها أرائك وقال أبو اسحاق الارائك الفرش في الحجال قلت ها هنا ثلاثة أشياء (أحدها) السرير و(الثانية) الحجلة وهي البشخانة التي تعلق فوقه و(الثالث) الفراش الذي على السرير ولا يسمى السرير أريكة حتى يجمع ذلك كله وفي الصحاح الأريكة سرير متخذ مزين في قبة أو بيت فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة والجمع الارائك وفي

الحديث ان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم كان مثل زر الحجلة وهو الزر الذي
يجمع بين طرفيها من جملة أزرارها والله أعلم

﴿الباب الثاني والخمسون﴾

(في ذكر خدمهم وغلماهم)

قال تعالى: «يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين»
وقال تعالى: «ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً»
قال أبو عبيدة والفراء: مخلدون لا يهرمون ولا يتغيرون قال والعرب تقول للرجل
إذا كبر ولم يشمط إنه لمخلد وإذا لم تذهب أسنانه من الكبر قيل هو مخلد. وقال
آخرون: مخلدون مقرطون مسودون أى فى آذانهم القرطه وفى أيديهم الاساور
وهذا اختيار ابن الاعرابى قال: مخلدون مقرطون بالخلة وجمعها خلد وهى
القرطة. وروى عوفى عن أبيه خلد جاريته إذا حلاها بالخلد وهى القرطة. وولد
إذا أسن ولم يشب. وكذلك قال سعيد بن جبير مقرطون واحتج هؤلاء بحجتين
(أحدهما) ان الخلود عام لكل من دخل الجنة فلا بد أن تكون الولدان
موصوفين بتخليد مختص بهم وذلك هو القرطة (الحجة الثانية) قول
الشاعر

ومخلدات بالاجين كأنما أعجازهن روا كد الكشبان

وقال الاولون الخلد هو البقاء قال ابن عباس غلمان لا يموتون وقول ترجان
القرآن فى هذا كاف وهو قول مجاهد والكسبى ومقاتل قالوا لا يكبرون ولا
يهرمون ولا يتغيرون وجمعت طائفة بين القولين: وقالوا هم ولدان لا يعرض لهم
الكبر والهرم وفى آذانهم القرطاة فمن قال مقرطون أراد هذا المعنى ان كونهم
ولدان أمر لازم لهم وشبههم سبحانه باللؤلؤ المنثور لما فيه من البياض وحسن
الخلقة وفى كونه منشورا فئدتان (أحدهما) الدلالة على أنهم غير معطلين بل
مبتوئون فى خدمتهم وحوالهم (الثانى) ان اللؤلؤ إذا كان منشورا ولا سيما على
بساط من ذهب أو حرير كان أحسن لمنظره وأبهى من كونه مجموعا فى مكان
واحد وقد اختلف فى هؤلاء الولدان هل هم من ولدان الدنيا أم أنشأهم الله
فى الجنة انشاء على قولين؟ فقال على بن أبى طالب والحسن البصرى هم أولاد
المسلمين الذين يموتون ولا حسنة لهم ولا سيئة لهم يكونون خدم أهل الجنة

وولدانهم اذ الجنة لا اولاد فيها قال الحاكم أنا عبد الرحمن بن الحسن ثنا ابراهيم
 ابن الحسين ثنا آدم ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن (في قوله «ولدان مخلصون»
 قل لم يكن لهم حسنات ولا سيئات فيعاقبون عليها فوضعوا بهذا الموضع»
 ومن أصحاب هذا القول من قال هم أطفال المشركين فجعلهم الله خدما لاهل
 الجنة واحتج هؤلاء بما رواه يعقوب بن عبد الرحمن الفاري عن أبي حازم قال
 المديني عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قل: «سألت ربي
 اللاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فاعطانيهم فهم خدما أهل الجنة» يعني الأطفال
 قال الدارقطني ورواه عبد العزيز الماجشون عن ابن المنكدر عن يزيد
 الرقاشي عن النبي صلى الله عليه وسلم انتهى ورواه فضيل بن سليمان عن عبد
 الرحمن بن اسحاق عن الزهري عن أنس وهذه الطرق ضعيفة فيزيد واه
 وفضيل بن سليمان متكلم فيه وعبد الرحمن بن اسحاق ضعيف قال ابن قتيبة
 واللاهون من لهيت عن الشيء اذا غفلت عنه وليس هو من لهوت وأصحاب
 القول الاول لا يقولون ان هؤلاء اولاد ولدوا لاهل الجنة فيها وانما يقولون
 هم غلمان أنشأهم الله في الجنة كما أنشأ الحور العين قالوا وأما ولدان أهل الدنيا
 فيكونون يوم القيامة أبناء ثلاث وثلاثين لما رواه ابن وهب أنبأنا عمرو بن
 الحارث أن دراجا أبا السمع حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم «من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون
 بنى ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبداً وكذلك أهل النار» رواه الترمذي
 والاشبه أن هؤلاء الولدان مخلوقون من الجنة كالحور العين خدماً لهم وغلمانا
 كما قال تعالى: «ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون» وهؤلاء غير أولادهم
 فان من تمام كرامة الله تعالى لهم أن يجعل أولادهم مخدومين معهم ولا يجعلهم
 غلمانا لهم وقد تقدم في حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: «انا أول الناس
 خروجا اذا بعثوا وفيه يطوف على ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون» والممكنون المستور
 المصون الذي لم يتبدله الايادي واذا تأملت لفظة الولدان ولنظرة يطوف عليهم
 واعتبرتها بقوله ويطوف عليهم غلمان لهم وضمت ذلك الى حديث أبي سعيد المذكور
 آتفا علمت أن الولدان غلمان أنشأهم الله تعالى في الجنة خدما لاهلها والله أعلم

❦ الباب الثالث والخمسون ❦

(في ذكر نساء أهل الجنة وأصنافهن وحسنهن وأوصافهن وجمالهن الظاهر والباطن الذي وصفهن الله تعالى به في كتابه)

قال تعالى : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون » فتأمل جلالة المبشر ومنزلته وصدقه وعظمته من أرسله إليك بهذه البشارة وقدر ما بشرك به وضمنه لك على أسهل شيء عليك وأيسره وجمع سبحانه في هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنات وما فيها من الأنهار والثمار ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ونعيم القلب وقرّة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه ، وللازواج جمع زوج والمرأة زوج للرجل وهو زوجها هذا هو الافصح وهو لغة قريش وبها نزل القرآن كقوله « اسكن أنت وزوجك الجنة » ومن العرب من يقول زوجة وهو نادر لا يكادون يقولونه وأما المطهرة فان جرت صفة على الواحد فيجري صفة على جمع التكسير اجراء له مجرى جماعة كقوله تعالى « مساكن طيبة » « وقرى ظاهرة » ونظائر ذلك ، والمطهرة من طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والحائط والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا فظهر مع ذلك بانها من الاخلاق السيئة والصفات المذمومة وظهر لسانها من الفحش والبذاء وظهر طرفها من أن تطمح به الى غير زوجها وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ قال عبد الله بن المبارك ثنا شعبة عن قتادة عن أبي نظرة عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم « لهم فيها أزواج مطهرة » قال من الحيض والغائط والنخامة والبصاق وقال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس مطهرة لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنخمن ، وقال ابن عباس أيضاً مطهرة من القذر والاذى ، وقال مجاهد لا يبلن ولا يتغوطن ولا يمدن ولا يمينن ولا يحضن ولا يبصقن ولا يتنخمن ولا يلدن ، وقال قتادة مطهرة من الاثم والاذى طهرهن الله سبحانه من كل بول وغائط وقذر ومأثم ، وقال عبد الرحمن بن زيد المطهرة التي لا تحيض وأزواج الدنيا لسن بمطهرات ألا تراهن يدمين ويتركن الصلاة والصيام ؟ قال وكذلك خلقت حواء حتى عصت فلما

عصت قال الله انى خلقتك مطهرة وسأدميك كما دميت هذه الشجرة؛ وقال تعالى: «ان المتقين فى مقام أمين فى جنات ويعمون نلبسون من سندس واستبرق متقابلين، كذلك وزوجناهم بحور عين، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين، لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم ربهم عذاب الجحيم» فجمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه واشتماله على الثمار والانهار وحسن اللباس وكمال العشرة لمقابلة بعضهم بعضا وتمام اللذذ بالحور العين ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها وختم ذلك أعينهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتا والحور جمع حوراء وهى المرأة الشابة الحسنة الجميلة البيضاء شديدة سواد العين وقال زيد بن أسلم الحوراء التى يحار فيها الطرف، وعين حسان الاعين، وقال مجاهد الحوراء التى يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون وقال الحسن الحوراء شديدة بياض العين شديدة سواد العين، واختلاف فى اشتقاق هذه اللفظة فقال ابن عباس الحور فى كلام العرب البياض وكذلك قال قتادة الحور البياض وقال مقاتل الحور البياض الوجوه وقال مجاهد الحور العين التى يحار فيها الطرف باديا مخ سوقهن من وراء ثيابهن ويرى الناظر وجهه فى كبد احدها من كالمراة من رقة الجلد وصفاء اللون وهذا من الاتفاق وليست اللفظة مشتقة من الحيرة وأصل الحور البياض والتجوير التبييض والصحيح ان الحور مأخوذ من الحور فى العين وهو شدة بياضها مع قوة سوادها فهو يتضمن الامرين وفى الصحاح الحور شدة بياض العين فى شدة سوادها امرأة حوراء بينة الحور وقال أبو عمرو الحور ان تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر وليس فى بنى آدم حور وإنما قيل للنساء حور العين لانهن شبهن بالظباء والبقر وقال الاصمعى ما أدرى ما الحور فى العين قلت خالف أبو عمر وأهل اللغة فى اشتقاق اللفظة ورد الحور الى السواد والناس غير انما ردوه الى البياض أو الى بياض فى سواد، والحور فى العين معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر عين حوراء اذا اشتد بياض أبيضها وسواد اسودها ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون الجسد والعين جمع عينا وهى العظيمة العين من النساء ورجل أعين اذا كان ضعف العين وافرأة عينا

والجمع عين والصحيح ان العين اللاتي جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة. قال مقاتل العين حسان الاعين ومن محاسن المرأة اتساع عينيها في طول، وضيق العين في المرأة من العيوب وانما يستحب الضيق منها في أربعة مواضع فيها وخرق أذنها وأنفها وما هنالك، ويستحب السعة منها في أربعة مواضع وجبهها وصدرها وكاهلها وهو ما بين كتفيها، وجبهتها، ويستحسن البياض منها في أربعة مواضع لونها وفرقها وثغرها وبياض عينيها ويستحب السواد منها في أربعة مواضع عينيها وحاجبها وهدبها وشعرها، ويستحب الطول منها في أربعة قوامها وعنقها وشعرها وبنانها، ويستحب القصير منها في أربعة وهي معنوية لسانها ويدها ورجلها وعينيها، فتكون قاصرة الطرف قصيرة الرجل والاسان عن الخروج وكثرة الكلام قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج وعن بذله، وتستحب الرقة منها في أربعة خصرها وفرقها وحاجبها وأنفها

﴿فصل﴾

وقوله تعالى: «وزوجناهم بحور عين» قال أبو عبيدة جعلناهم أزواجا كما يزوج النعل بالنعل جعلناهم انين انين وقال يونس قرناهم بهم وليس من عقد التزويج قال والعرب لا تقول تزوجت بها وانما تقول تزوجتها قال ابن نصر هذا والمنزلة يدل على ما قاله يونس وذلك قوله تعالى: «فاما قضى زيد منها وطرا زوجناكمها ولو كان على تزوجت بها لقول زوجناكمها وقول ابن سلام تميم تقول تزوجت امرأة وتزوجت بها وحكاة الكسائي أيضا وقول الازهرى تقول العرب زوجته امرأة وتزوجت امرأة وليس من كلامهم تزوجت بامرأة وقوله تعالى: «وزوجناهم بحور عين» أي قرناهم وقال الفراء هي لغة في ازدشنوة قال الواحدي وقول أبي عبيدة في هذا أحسن لأنه جعله من التزويج الذي هو بمعنى جعل الشيء زوجا لا بمعنى عقد النكاح ومن هذا يجوز أن يقال كان فردا فزوجته بآخر كما يقال شغغته بآخر وإنما تمتنع الباء عند من يمنعها اذا كان بمعنى عقد التزويج «فالت» ولا تمتنع أن يراد الامران معا فلنفظ التزويج يدل على النكاح كما قال مجاهد أنكحناهم الحور ولنفظ الباء تدل على الافتراق والضم وهذا أبلغ من حذفها والله أعلم. وقال تعالى (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان فبأنى آلاء ربك انكذبان كأنهن الياقوت والمرجان) وصفهن سبحانه بقصر الطرف في ثلاثة مواضع

(أحدها) هذا والثاني قوله تعالى في الصافات (وعندهم قاصرات الطرف عين) (والثالث) قوله تعالى في ص (وعندهم قاصرات الطرف أتراب) والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يعلمن إلى غيرهم وقيل قصرن طرف أزواجهن عاينهن فلا يدركهن حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن وهذا صحيح من جهة المعنى وأما من جهة اللفظ فقاصرات صفة مضافة إلى التماثل لحسان الوجود وأصله قاصر طرفهن أى لبس بطامح متعدي قل آدم حدثنا ورقاء عن أبي نجيح عن مجاهد في قوله (قاصرات الطرف) قل يقول قاصرات الطرف على أزواجهن فلا يعين غير أزواجهن قل آدم وحدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم والله ما هن متبرجات ولا متطلعات، وقال منصور عن مجاهد قصرن أبصارهن وفلوجهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم، وفي تفسير سعيد عن قتادة قال وقصرن أطرافهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم وأما الأتراب فجمع ترب وهو لدة الإنسان قال أبو عبيدة وأبو اسحاق إقران أسنانهن واحدة قال ابن عباس وسائر المفسرين مستويات على سن واحد وميلاد واحد بنات ثلاث وثلاثين سنة وقال مجاهد أتراب أمثال قال أبو اسحاق هن في غاية الشباب والحسن وسمى سن الإنسان وقرنه تربه لأنه من تراب الأرض معه في وقت واحد والمعنى من الأخبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن ولا ولائد لا يطقن الوطء بخلاف الذكور فإن فيهم الولدان وهم الخدم وقد اختلف في مفسر الضمير في قوله فيهن فقالت طائفة مفسره الجنتان وما حوتاه من القصور والغرف والخيام وقالت طائفة مفسره الفرش المذكورة في قوله «متكئين على فرش بطائنها من استبرق» وفي معنى على، وقوله تعالى (لم يطعمهن انس قبلهم ولا جان) قال أبو عبيدة لم يمسهن يقال ما طمط هذا البعير جبل قط أى ما مسه وقال يونس تقول العرب هذا جبل ما طمته جبل قط أى ما مسه وقال الفراء الطمط الافتضاض وهو النكاح بالتدمية، والطمط هو الدم وفيه لغتان طمط يطمط ويطمط قال الليث طمشت الجارية إذا افتقرتها والطمط في لغتهم هى الحائض قال أبو الهيثم يقال للمرأة طمشت تطمط إذا أدमित بالافتضاض وطمشت على فعات تطمط إذا حاضت أول ما تحيض فهى طامت. وقال في قول الفرزدق

خرجن إلى لم يطمئن قبلي وهن أصبح من بيض النعام
 أى لم يمسن قال المفسرون لم يطمأن ولم يغشهن ولم يجامعن هذه الفاظهم
 وهم مختلفون في هؤلاء فبعضهم يقول هن اللواتي انشئن في الجنة من حورها
 وبعضهم يقول يعنى نساء الدنيا أنشئن خلقاً آخر ابكاراً كما وصفن قل الشعبي
 نساء من نساء الدنيا لم يمسن منذ انشئن خلقاً وقال مقاتل لانهن خلقن في
 الجنة وقال عطاء بن ابن عباس هن الآدميات اللاتي متن ابكاراً وقال السكابي
 لم يجامعن في هذا الخلق الذى انشئن فيه انس ولا جان قلت ظاهر القرآن أن
 هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا وإنما هن من الحور العين، وأما نساء الدنيا
 فقد طمئن الأئس ونساء الجن قد طمئن الجن والآية تدل على ذلك
 قال أبو اسحق وفي هذه الآية دليل على ان الجن يغشى كما أن الأئس يغشى
 ويدل على انهن الحور اللاتي خلقن في الجنة انه سبحانه جعلهن مما
 أعده الله في الجنة لاهلها من الفواكه والثمار والانهار والملابس وغيرها
 ويدل عليه أيضاً الآية التي بعدها وهى قوله تعالى (حور مقصورات في الخيام)
 ثم قال (لم يطمئن انس قباهم ولا جان) قال الامام أحمد والحور العين لا يمتن
 عند النفخة للصور لانهن خلقن للبقاء وفي الآية دليل لما ذهب اليه الجمهور ان
 مؤمن الجن في الجنة كما ان كافرهم في النار وبوب عليه البخارى في صحيحه
 فقال باب ثواب الجن وعقابهم، ونص عليه غير واحد من السلف قال ضمرة بن
 حبيب وقد سئل هل للجن ثواب فقال نعم وقرأ هذه الآية ثم قال الانسيات
 للانس والجنيات للجن، وقال مجاهد في هذه الآية اذا جامع الرجل ولم يسم انطوى
 الجان على إحليله فيجامع معه والضمير في قوله (قباهم) للمعنيين بقوله متكئين وهم
 أزواج هؤلاء النسوة وقوله (كأنهن الياقوت والمرجان) قال الحسن وعامة المفسرين
 أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت
 والمرجان ويدل عليه ما قاله عبد الله ان المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها
 سبعين حلة من حرير فيرى بياض ساقها من ورائهن ذلك بان الله يقول (كأنهن
 الياقوت والمرجان ألا وان الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكاً ثم استصفيته
 نظرت إلى السلك من وراء الحجر

(فصل)

وقال تعالى في وصفهن (حور مقصورات في الخيام) المقصورات المحبوسات

قال أبو عبيدة خدرن في الخيام وكذلك قال مقاتل وفيه معنى آخر وهو أن
يكون المراد أنهم محبوسات على أزواجهن لا يرون غيرهم وهم في الخيام ،
وهذا معنى قول من قال قصرن على أزواجهن فلا يرون غيرهم ولا يطمحن
إلى من سواهم وذكره الفراء «قات» وهذا معنى (قاصرات الطرف) لكن أولئك
قاصرات بأنفسهن وهؤلاء متصورات وقوله في الخيام على هذا القول صفة لحور
أى هن في الخيام وليس معمولاً لمقصورات وكان أرباب هذا القول يفسروا بأن
يكن محبوسات في الخيام لا تفارقنها إلى الغرف والبساتين ، وأصحاب القول
الأول يحسمون عن هذا بأن الله سبحانه وصفهن بصفات النساء الخدرات
المصونات وذلك أجل في الوصف ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقن الخيام إلى
الغرف والبساتين كما أن نساء الملوك ودونهم من النساء الخدرات المصونات
لا يمنعن أن يخرجن في سفر وغيره إلى منزلهن وبستان ونحوه، فوصفهن اللازم
لهن القصر في البيت ويعرض لهن مع الخدم الخروج إلى البساتين ونحوها. وأما
مجاهد فقال مقصورات قلوبهن على أزواجهن في خيام الثاؤل وقد تقدم وصف
النسوة الأول بكونهن قاصرات الطرف وهؤلاء بكونهن مقصورات والوصفان
لكلا النوعين فأنهما صفتا كل فتاة تلك الصفة قصر الطرف عن طموحه إلى غير
الأزواج وهذه الصفة قصر الرجل على التبرج والبروز والظهور للرجال

﴿فصل﴾

وقال تعالى (فيهن خيرات حسان) فالخيرات جمع خيرة وهي مخففة من خيره
كسيدة ولينة رحسان جمع حسنة فهن خيرات الصفات والاخلاق والشم، حسان
الوجوه قال وكيع حدثنا سفيان عن جابر عن أنس عن أبي بزة عن أبي عبيدة
عن مسروق عن عبد الله قال: «لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة
أربعة أبواب يدخل عليها في كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن
قبل ذلك لا ترحات ولا ذفات ولا بخرات ولا ضاحات»

(فصل)

وقال تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً لأصحاب اليمين)
أعاد الضمير إلى النساء ولم يجز لهن فيه كسر لأن الفرش دلت عليهن إذ هي محلهن

وقيل الفرش في قوله (وفرش مرفوعة) كناية عن النساء كما يكتفى عنهن بالقوارير والازر وغيرها ولكن قوله مرفوعة يأبى هذا إلا أن يقال المراد رفعة اقدار وقد تقدم تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للفرش وارتفاعها فلهو باب أم الفرش نفسها ودلت على النساء لأنها محملن غالبا قال قتادة وسعيد بن جبير خلقناهن خلقا جديدا وقال ابن عباس يريد نساء الأدميات وقال السكابي ومقاتل يعني نساء أهل الدنيا العجز الشمط يقول تعالى خلقناهن بعد الكبر والحرم بعد الخلق الأول في الدنيا. ويؤيد هذا التفسير حديث أنس المرفوع «هن عباد الرحمن العمش الرمض» رواه الثوري عن موسى بن عبيدة عن يزيد الرقشي عنه ويؤيده ما رواه يحيى الخاني حدثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «دخل عليهما وعندها عجوز فقل من هذه فقالت احدي خالاني قل أما إنه لا يدخل الجنة العجوز ، فدخل على العجوز من ذلك ما شاء الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم (انا أنشأناهن انشاء) خلقا آخر يحشرون يوم القيامة خلفا عراة غرلا وأول من يكسى ابراهيم خليل الله ، ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم (انا أنشأناهن انشاء) » قال آدم بن أبي اياس حدثنا شيبان عن الزهري عن جابر الجعفي عن يزيد بن مرة عن سلمة بن يزيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قوله « انا أنشأناهن انشاء » قال يعني الثيب والابكار اللاتي كن في الدنيا قال آدم وحدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة العجوز فباتت عجوز فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروها أنها يومئذ ليست بعجوز إنها يومئذ شابة إن الله عز وجل يقول (انا أنشأناهن انشاء) » وقال ابن أبي شيبه حدثنا أحمد بن طارق حدثنا مسعدة بن اليسع حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد ابن المسيب عن عائشة « أن النبي صلى الله عليه وسلم أتته عجوز من الانصار فقالت يا رسول الله أدع الله أن يدخلني الجنة فقال في الله صلى الله عليه وسلم إن الجنة لا يدخلها عجوز ، فذهب نبي الله صلى الله عليه وسلم فصلى ثم رجع إلى عائشة فقالت عائشة لقد أنبت من كلمتك مشقة وشدة ، فقال صلى الله عليه وسلم إن ذلك كذلك إن الله تعالى إذا أدخلهم الجنة حولهم أبكارا ، وذكره مقاتل قول آخر وهو اختيار الزجاج أنهم الحور العين التي ذكرهن ، قبل أنسأهن الله عز

وجل لاولياته لم يقع عليهم ولادة» والظاهر أن المراد أنشأهن الله تعالى في الجنة انشاء ويدل عليه وجوه (أحدها) أنه قد قال في حق السابقين (يطوف عليهم ولدان مخلدون با كواب إلى قوله كأمثال اللؤلؤ المكنون) فذكر سرهم وآيتهم وشرابهم وفا كهمهم وطعامهم وأزواجهم من الحور العين ثم ذكر أصحاب الميعنة وطعامهم وشرابهم وفرشهم ونساءهم والظاهر أنهم مثل نساء من قبلهم خلقن في الجنة (الثاني) أنه سبحانه قال (انا أنشأناهن انشاء) وهذا ظاهر أنه انشاء أول لا ثان لانه سبحانه حيث يريد الانشاء الثاني يقيده بذلك كقوله (وأن عليه النشأة الاخرى) وقوله (ولقد علمت النشأة الاولى) (الثالث) أن الخطاب بقوله (وكنتم أزواجا ثلاثة) إلى آخره للذكور والاناث والنشأة الثانية أيضا عامة للأنوعين وقوله (انا أنشأناهن انشاء) ظاهره اختصاصهن بهذا الانشاء وتأمل تأكيده بالمصدر والحديث لا يدل على اختصاص بالعجائز المذكورات بهذا الوصف بل يدل على مشاركتهن للحور العين في هذه الصفات المذكورة فلا يتوهم انفرد الحور العين عنهن بما ذكر من الصفات بل هي أحق به منهن فالانشاء واقع على الصنفين والله أعلم وقوله (عربا) جمع عروب وهن المتحجبات إلى أزواجهن قال ابن الأعرابي العروب من النساء المطيعة لزوجها المتحبة اليه وقال أبو عبيدة العروب الحسنة التبعيل «قات» يريد حسن موافقتها وملاطفتها لزوجها عند الجماع وقال المبرد هي العاشقة لزوجها وأنشد للمبرد :

وفي الحدوج (١) عروب غير فاحشة ربا الروادف يعشى دونها البصر
وذكر لمفسرون في تفسير «العرب» أنهم العواشق المتحجبات الغنجات الشكالات المتعشقات الغلمات المنخوجات كل ذلك من ألفاظهم وقل البخاري في صحيحه عربا مثقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العرب وأهل المدينة الغنجة وأهل العراق الشكاة «والعرب» المتحجبات إلى أزواجهن هكذا ذكره في كتاب بدء الخلق وقال في كتاب التفسير في سورة الواقعة عربا مثقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العرب وأهل المدينة الغنجة وأهل العراق الشكاة قلت فجمع سبحانه بين صورتهما وحسن عشرتهما وهذا غاية ما يطلب من النساء وبه تكمل لذة الرجل بهن وفي قوله (لم يطمئن أنس قباهم ولا جان) اعلام بكال اللذة بهن فان لذة الرجل بالمرأة التي لم يطأها سواء

لها فضل على لذته بغيرها وكذلك هي أيضا

﴿فصل﴾

وقال تعالى (إن للمتقين مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا) فالكواعب جمع كاعب وهي الناهد قال قتادة ومجاهد والمفسرون قل السكابي هن النملكات اللواتي تكعب ثديهن وتفلكت وأصل اللفظة من الاستدارة والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل ويسمين نواهد وكواعب

﴿فصل﴾

روى البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لغدوة فى سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده يعنى سوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملاأت ما بينهما من محاربا ولا ضاعت ما بينهما من نصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم «أن أول زهرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والتى تليها على أضواء كوكب درى فى السماء ولكل امرئ منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما فى الجنة أعزب » وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم «للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحد سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب » وقال الطبرانى حدثنا بكر ابن سهل الدمشقى حدثنا عمرو بن هشام البيرفى حدثنا سليمان بن أبى كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة قالت: «قلت يا رسول الله أخبرنى عن قول الله عز وجل (حور عين) قال حور بيض عين ضحاح العيون شقر الحوراء بمنزلة جناح النسر ، قلت أخبرنى عن قوله عز وجل (كأنهم لؤلؤ مكنون) قال صفاؤه من صفاء الدر الذى فى الاصداف الذى لم تمسه الايدى ، قلت يا رسول الله أخبرنى عن قوله عز وجل (فيهن خيرات حسان) قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه ، قلت يا رسول الله أخبرنى عن قوله عز وجل (كأنهن بيض مكنون) قال رقتهن كرقعة الجلد الذى رأيت فى داخل البيضة مما يلي القشر وهو الغرقى ، قلت يا رسول الله أخبرنى عن قوله عز وجل (عربا أترابا) قال هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز رمضا شمضا خالقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عربا متعشقات

متحجبات أقربا علي ميلاد واحد رقات يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور
العين؟ قال بل نساء الدنيا أنضل من الحور كفضل الظهارة على البطانة
قلت يا رسول الله وبهم ذلك؟ قال بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن
الله تعالى ليس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير يبيض الألوان خضر
التياب صفر الخلي مجامرهن الدر وامشادهن الذهب يقان نحن الخالدات فلا نفوت
ونحن الناعمات فلا نبأس ابداً ونحن المقيمات فلا نطمئن ابداً ونحن الراضيات
فلا نسخط ابداً منوبن لمن كنا له وكان لنا فقلت يا رسول الله المرأة منا تتزوج
زوجين أو ثلاثة أو أربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون
زوجها؟ قال يا أم سعة أيها تخير فتختار احسنهم خالفاً فتقول اي رب ان هذا
كان احسنهم معي خالفاً في دار الدنيا فزوجنيه يا أم سعة ذهب حسن الخلق
بخير الدنيا والآخرة تفيد بسليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وقال ابن عدى
حامة أحاديثه منا كبر ولم أر له متقدمين فيه كلاماً ثم ساق هذا الحديث من طريقه
وقال لا يعرف الا بهذا السند . وقال أبو يعلى الموصلي حدثنا عمر بن الضحاك بن
محمد حدثنا أبو حاتم الضحاك بن مخلد حدثنا أبو رافع اسماعيل بن رافع عن
محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الانصار عن أبي هريرة
قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في طائفة من أصحابه فذكر
حديث العمور وفيه «فأقول يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة
يسدخلون الجنة» فيقول الله قد شفعتك وأذنت لهم في دخول الجنة» وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول: «والذي بعثني بالحق ما أتم في الدنيا بأدرف بارواجكم
ومسا كنسكم من أهل الجنة بازواجهم ومسا كنسهم» فيدخل رجل منهم على اثنتين
وسبعين زوجة مما ينشئ الله واثنتين من ولد آدم لها فضل علي من أنشأ الله
لعبادتهما الله عز وجل في الدنيا يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوتة على سرير
من ذهب مكمل بالؤلؤ عليه سبعون زوجاً من سندس واستبرق وإنه ليضع يده
على كتفها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحها وإنه
لينظر إلى منخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت كبدتها امرأة
وكبدتها امرأة فبينما هو عندها لا يسلمها ولا تملمه ولا يأتيتها من مرة الا وجدها
من وراء ما يفتر ذكره ولا يشتكى قبلها فبينما هو كذلك اذ نودى إنا قد عرفنا
انك لا تعلم ولا تعلم الا انه لا منى ولا منية الا أن تكون له أزواج غيرها فتخرج

فتأتين واحدة واحدة كلما جاء واحدة قالت والله ما في الجنة شيء أحسن منك وما في الجنة شيء أحب إلي منك» هذا قطعة من حديث الصور والذي تفرد به إسماعيل بن رافع وقد روى له الترمذي وابن ماجه وضعفه أحمد ويحيى وجماعة وقال الدارقطني وغيره متروك الحديث وقال ابن عدي عامة أحاديثه فيها نظر وقال الترمذي ضعفه بعض أهل العلم وسمعت محمدا يعني البخاري يقول هو ثقة مقارب الحديث وقال لي شيخنا أبو الحجاج الحافظ هذا الحديث مجموع من عدة أحاديث ساقه إسماعيل أو غيره هذه السياقة وشرحه الوليد بن مسلم في كتاب مفرد وما تضمنه معروف في الأحاديث والله أعلم وقال عبد الله بن وهب حدثنا عمرو بن دراجا حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد ويقوت كما بين الجابية وصنعاء» رواه الترمذي ولكن دراج أو السمع بالطريق قال أحمد أحاديثه منكرا وقال النسائي منكر الحديث وقال أبو حاتم ضعيف وقال النسائي أيضا ليس بالقوي وساق له ابن عدي أحاديث وقال عامتها لا يتابع عليها وقال الدارقطني ضعيف وقال مرة متروك وأما يحيى بن معين فقد وثقه وأخرج عنه أبو حاتم بن حبان في صحيحه وقال عثمان بن سعيد الدارمي عن علي بن المديني هو ثقة وقال ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي السمع عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: «كانهن الياقوت والمرجان» قال: «ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرأة وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق والمغرب، وإنه ليكون عليها سبعون ثوبا يتنقذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك» وقال القرطبي أنبأنا أبو أيوب سليمان ابن عبد الرحمن حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أنامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من عبد يدخل الجنة إلا ويزوج ننتين وسبعين زوجة ننتان من الحور العين وسبعون من أهل ميراثه من أهل الدنيا ليس منهن امرأة إلا ولها قبل شهى وله ذكر لا ينثنى» قالت خالد هذا هو ابن يزيد بن عبد الرحمن الدمشقي وهاهنا ابن معين وقال أحمد ليس شيء وقال النسائي غير ثقة وقال الدارقطني ضعيف وذكر ابن عدي له هذا الحديث مما أنكره عليه وقال أبو نعيم حدثنا إبراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن حمويه

حدثنا أحمد بن حفص حدثني أبي حدثني إبراهيم بن طهمان عن الحجاج عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «للمؤمن في الجنة ثلاث وسبعون زوجة قلنا يا رسول الله أوله قوة على ذلك قال أنه يعطى قوة مائة رجل» قلت أحمد بن حفص هذا هو السعدي وله مناكير والحجاج هو ابن اربعة وقال الطبراني حدثنا أحمد بن علي الانباري حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع وأنبأنا أحمد بن أحمد بن هشام بن حسان السنجري ببغداد حدثنا عبد الله بن عمرو بن ابان قال حدثنا حسين بن علي الجعفي عن زائدة عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: «قيل يا رسول الله هل نصل الى نساءنا في الجنة؟ فقال إن الرجل ليصل في اليوم الى مائة عذراء» قال الطبراني لم يروه عن هشام الا زائدة تفرد به الجعفي قال محمد بن عبد الواحد المقدسي ورجال هذا الحديث عندي على شرط الصحيح وقال أبو الشيخ حدثنا أبو يحيى بن مسلم الرازي حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو أسامة عن هشام بن حسان عن زيد بن أبي الحواري وهو زيد العمي عن ابن عباس قال: «قيل يا رسول الله أنقض الى نساءنا في الجنة كما نقض اليهن في الدنيا؟ قال والذي نفس محمد بيده إن الرجل لينقض في الغداة الواحدة الى مائة عذراء» وزيد هذا قال فيه ابن معين صالح وقال مرة لا شيء وقال مرة ضعيف يكتب حديثه وكذلك قال أبو حاتم وقال الدارقطني صالح وضعفه النسائي وقال السعدي متمسك قلت وحسبه رواية شعبة عنه

(فصل)

والاحاديث الصحيحة اما فيها أن لكل منهم زوجتين وليس في الصحيح زيادة على ذلك فان كانت هذه الاحاديث محفوظة فاما أن يراد بها ما لكل واحد من السراري زيادة على الزوجتين ويكونون في ذلك على حسب منازلهم في القلة والكثرة كخدم والولدان، وإما أن يراد أنه يعطى قوة من يجامع هذا العدد ويكون هذا هو المحفوظ فرواه بعض هؤلاء بالمعنى فقال له كذا وكذا زوجة وشي روى الترمذي في جامعه من حديث قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجاع قيل يا رسول الله أو يضيق ذلك؟ قال يعطى قوة مائة» هذا حديث صحيح فلعل من رواه ينقض الى مائة عذراء رواه بالمعنى أو يكون تفاوتهم في عدد النساء بحسب تفاوتهم في الدرجات والله أعلم، ولا ريب أن للمؤمن في الجنة أكثر من اثنتين لما في

الصحيحين من حديث أبي عمران الجوني عن أبي بكر عن عبد الله بن قيس عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن للعبد المؤمن في الجنة خليفة من لؤلؤة مخوفة طولها ستون ميلا للعبد المؤمن فيها أهلون فيطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضاً»

﴿الباب الرابع والخمسون﴾

(في ذكر المادة التي خلق منها الحور العين وما ذكر فيها من الآثار وذكر صفاتهم ومعرفتهم اليوم بازواجهن)

فاما المادة التي خلق منها الحور العين فقد روى البيهقي من حديث الحارث بن خليفة حدثنا شعبة حدثنا اسماعيل بن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الحور العين خلقن من الزعفران» قال البيهقي وهذا منكر بهذا الاسناد ولا يصح عن ابن علية «قلت» ولكنه حديث فيه شعبة وقال الطبراني حدثنا أحمد بن رشد بن حدثنا علي بن الحسن بن هارون الانصاري حدثني الليث بن ابنة الليث عن أبي سليم قال حدثتني عائشة بنت يونس امرأة الليث بن أبي سليم عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خلق الحور العين من الزعفران» قال الطبراني لا يروى إلا بهذا الاسناد تفرد به علي بن الحسن بن هارون قلت وقد رواه اسحاق بن راهويه عن عائشة بنت يونس قالت سمعت زوجي ليث بن سليم يحدث عن مجاهد فذكره مرفوعا اليه وهو أشبه بالصواب: ورواه عقبة بن مكرم عن عبد الله بن زياد عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قوله ولا يصح رفع الحديث وحسبه أن يصل الى ابن عباس وقال أبو سامة بن عبد الرحمن «إن لولي الله في الجنة عروسا لم يلقها آدم ولا حواء ولكن خلقت من زعفران» وهذا مروي عن صحابين وهما ابن عباس وأنس وعن تابعيين وهما أبو سامة ومجاهد وبكل حال فهي من المنشآت في الجنة ليست مولودات بين الاء والامهات والله أعلم وقد رواه الطبراني، من حديث عبد الله بن زحر عن علي بن زيد عن الهيثم عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الاسناد لا يحتج به ورواه أبو نعيم حدثنا علي بن محمد الطوسي حدثنا علي بن سعيد حدثنا محمد بن اسماعيل الحسناني حدثنا منصور بن المهاجر حدثنا أبو منصور الابار عن انس يرفعه «لأن حوراء بصقت في سبعة أبحر لعذبت البحار من عذوبة فيها، وخلق الحور العين من

الزعفران ، وإذا كانت هذه الحلقة الأدمية التي هي من أحسن الصور وأجملها مادتها من تراب وجاءت الصور من أحسن الصور فما الظن بصورة مخلوقة من مادة الزعفران الذي هناك !!! قاله المستعان ، وقد روى أبو نعيم من حديث عيسى ابن يوسف بن الطباع حدثنا حاس بن محمد الكلابي حدثنا سفيان الثوري حدثنا مغيرة حدثنا ابراهيم النخعي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يسطع نور في الجنة فرفعوا رؤسهم فاذا هو من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها » وروى نعمة بن الوليد حدثنا مجهر بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال : « ان من المريد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ماذا تريدون أن أمطر كم فلا يتمنون شيئاً الا امطروا » قال يقول كثير لئن شهدني الله ذلك لاقولن أمطرينا جوارى مزيينات ، وقد روى في مادة خلقهن صفة أخرى قال ابن أبي الدنيا حدثنا خالد بن سعيد عن خداس حدثنا عبد الله بن وهب حدثنا سعيد بن أيوب عن عقيل بن خالد عن الزهري ان ابن عباس قال : « ان في الجنة نهراً يقال له البمدخ عليه قباب من ياقوت تحته حور ناشئات يقول أهل الجنة انطلقوا بنا الى البمدخ فيجيئون فيتصفحون تلك الحواري فاذا أعجب رجل منهم جارية مس معصمها فتتبعه » وقال الليث ابن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن الوليد بن عبدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الجبريل يا جبريل قف بى على الحور العين فأوقفه عليهن فقال من أنتين ؟ فقلن نحن حواري قوم كرام حلوا فلم يظعنوا ، وشبوا فلم يهرموا ، ونقوا فلم يدرنوا » وقال ابن المبارك أنبأنا يحيى عن أيوب عن عبد الله بن زحر عن خالد بن عمران عن ابن عباس قال : « كنا جلوسا مع كعب يوماً فقال لو أن يدا من الحور دليت من السماء لاضأت لها الارض كما تضىء الشمس لاهل الدنيا ثم قال انما قلت يدها فكيف بالوجه وبياضه وحسنه وجماله ! » وفي مسند الامام احمد من حديث كثير بن مرة عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه فأتاك الله فانما هو عندك ذخيل يوشك أن يفارقك الينا » وفي مراسيل عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الحور العين لاكثر عدداً منكن يدعون لازواجهن يقلن اللهم أعنه على دينك ، وأقبل بقلبه على طاعتك ، وبلغه بعزتك يا أرحم الراحمين » ذكره ابن أبي الدنيا من حديث اسامة بن زيد عن عطاء عنه

وذكر الازاعي عن حسان بن عطية عن ابن مسعود قال: «ان في الجنة حوراء يقال لها اللعبة كل حور الجنان يعجب بها يضربن بايديهن على كتفيها ويقان طوبى لك يا لعبة لو يعلم الطالبون لك لجذوا بين عينيها مكتوب من كان يبتغي أن يكون له مثلي فليعمل بضاعتي» وقال عطاء السلمي لمالك بن دينار: «يا أبا يحيى شوقنا قال يا عطاء ان في الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها لولا أن الله تعالى كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لما توأمن حسنها فلم يزل عطاء كهذا من قول مالك» وقال أحمد بن أبي الحواري حدثني جعفر بن محمد قال لقي حكيماً قال فقال أتشتاق إلى الحور العين؟ فقال لا، فقال فاشتق اليهن فان نور وجههن من نور الله عز وجل، فغشى عليه، فحمل إلى منزله فجعلنا نعوده شهراً» وقال ربعة ابن كلثوم نظر اليها الحسن ونحن حوله شباب فقال: «يا معشر الشباب أه تشتاقون إلى الحور العين؟» وقال لي ابن أبي الحواري حدثني الحضرمي قال «نمت أنا وأبو حمزة على سطح فجعلت أنظر إليه يتقلب على فرشته إلى الصباح فقام يا أبا حمزة ما رقدت الليلة، فقال اني لما اضطجعت تمثلت لي حوراء حتى كاني أحسست بجملدها وقد مس جلدي، فحدثت به أبا سليمان فقال هذا رجل كان مشتاقاً» وقال ابن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول: «ينشأ خاق الحور العين انشاء فاذا تكامل خلقهن ضرب عليهن الملائكة الخيام» وذكر ابن أبي الدنيا عن صالح المري عن زيد الرقاشي قال: «بلغني أن نورا سطع في الجنة لم يبق موضع من الجنة الا دخل من ذلك النور فيه، ففعل ما هذا؟ قال حوراء ضحكت في وجه زوجها، قال صالح فشرق رجل من ناحية المجلس فلم يزل يشرق حتى مات» وقال ابن أبي الدنيا حدثنا بشر بن الوليد حدثنا سعيد بن زريق عن عبد الملك الجوني عن سعيد بن جبير قال سمعت ابن عباس يقول: «لو أن حوراء أخرجت كفها بين السماء والارض لافتن الخلائق بحسنها ولو أخرجت نصفها لكانت الشمس عند حسنها مثل النقيلة في الشمس لاضوءها ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والارض» وقال ابن أبي الدنيا حدثني الحسين ابن يحيى وكثير العنبري حدثنا خزيمه أبو محمد عن سفيان الثوري قال: «سطع نور في الجنة لم يبق موضع من الجنة الا دخل فيه من ذلك النور فنظروا فوجدوا ذلك من حوراء ضحكت في وجه زوجها» ورواه الخطيب في تاريخه من حديث عبد الله بن محمد الكرخي قال حدثني عيسى بن يوسف الطباع

حدثني حاس بن محمد حدثنا سفيان الثوري عن مغيرة عن ابراهيم عن عاتمة عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سطع نور في الجنة فرفعوا أبصارهم فإذا هو من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها» وقال الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير: «إذا سبحت المرأة من الحور العين لم يبق شجرة في الجنة الا وردت» وقال ابن المبارك حدثنا الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير «ان الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقبلن طال ما أنتظرنكم فنخرجن الراضيات فلا تخطن والمقيات فلا نظعن؛ والخالدات فلا تموت؛ باحسن أصوات سمعت وتقول أنت حي وأنا حباك ليس دونك تقصير ولا وراءك معدل»

— الباب الخامس والخمسون —

(في ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم والتذاذب بذلك أكل لذة ونزاهة ذلك عن المذى والمنى والضعف وأنه لا يوجب غسلا)

قد تقدم حديث أبي هريرة «قيل يا رسول الله أنفضى إلى نساءنا في الجنة؟ فقال ان الرجل ايصل في اليوم إلى مائة عذراء» وان اسناده صحيح وتقدم حديث أبي موسى المتفق على صحته: «ان له مؤمن في الجنة خيمة من أولوة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا له فيها أهلون يطوف عليهم» وحديث أنس: «يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من النساء» وصححه الترمذي وروى الطبراني وعبد الله بن احمد وغيرهما من حديث لقيط بن عامر أنه قال «يا رسول الله على ما يطلع من الجنة؟ قال على أنهار من غسل مصفى وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن؛ وفاكهة لعمر الهلك مما تعلمون وخير من مثله وأزواج مطهرة» قات «يا رسول الله أولنا فيها أزواج مصلاحات؟ قال الصالحين تلمذوا بهم مثل لذاتكم في الدنيا وتلمذكم. غير أن لا توالد» وقال ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي حنيفة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يا رسول الله أنطأ في الجنة؟ قال نعم والذي نفسي بيده دحما دحما فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكاراً» وقال الطبراني حدثنا ابراهيم بن جابر الفقيه حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي الواسطي حدثنا يعلى بن عبد الرحمن الواسطي حدثنا شريك عن عاصم الاحول عن أبي المتوكل عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أهل الجنة إذا جاموا نساءهم عدن أبكاراً» قال الطبراني

لم يروه عن عاصم الا شريك تفرد به يعلى قل الطبراني وحدثنا عبدان بن أحمد
حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن أبي سامة حدثنا صدقة عن هاشم
ابن زيد عن سليم بن أبي يحيى أنه سمع أبا أمامة يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسئل «هل ينكح أهل الجنة؟» قل بذكر لا يمل وشهوة لا تنقطع دحماً دجاً»
قال الطبراني وحدثنا أحمد بن يحيى الحلواني حدثنا سويد بن سعيد حدثنا خالد بن
يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ سئل
«أيجامع أهل الجنة؟» قل دحاً دجاً ولكن لا منى ولا منية» وهاشم وخالد وان تكلم
فيهما فليس الاعتماد عليهما وقوله (لا منى ولا منية) أى لا انزال ولا موت وقول
أبو نعيم حدثنا أبو علي محمد بن أحمد حدثنا بشر بن موسى حدثنا أبو عبد الرحمن
المقري حدثنا عبد الرحمن بن زياد حدثنا عمارة بن راشد عن أبي هريرة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل: «هل يمس أهل الجنة أزواجهم؟» قال نعم والذي
بعثني بالحق بذكر لا يمل وفرج لا يحفى وشهوة لا تنقطع» وقال الحسن بن سفيان
في مسنده حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عثمان بن أبي العاتكة
عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة قل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
: «هل ينكح أهل الجنة؟» قال أى والذي بعثني بالحق دحماً دجاً وأشار بيده ولكن
لا منى ولا منية» وقال سعيد بن منصور حدثنا سفيان بن عمرو عن عكرمة في
قوله تعالى (ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) قال في افتضاض الابكار
وقال عبد الله بن أحمد حدثنا أبو الربيع الزهراني ومحمد بن حميد قال حدثنا يعقوب
ابن عبد الله حدثنا حفص بن حميد عن بشر بن عطية عن شقيق بن سلمة عن
عبد الله بن مسعود في قوله (ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) قال شغلهم
افتضاض العذارى وقال الحاکم أنبأنا الأصم أنبأنا العباس بن الوليد أخبرني شعيب عن
الاوزاعي في قوله تعالى (ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) قال شغلهم افتضاض
الابكار قال مقاتل شغلوا بافتضاض العذارى عن أهل النار فلا يذكر ونهم ولا
يهمون لهم وقال أبو الاحوص شغلوا بافتضاض الابكار عن السرر في الحجال
وقال سليمان التيمي عن أبي مجلز قلت لابن عباس عن قول الله تعالى (ان اصحاب
الجنة اليوم في شغل فاكهون) شغلهم قال افتضاض الابكار وقال ابن أبي الدنيا
حدثنا فضيل بن عبد الواحد حدثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمي عن أبي عمرو
عن عكرمة عن ابن عباس (في شغل فاكهون) قال في افتضاض العذارى حدثنا اسحاق

ابن ابراهيم حدثنا يحيى بن يعز عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير «إن شهوته لتجرى في جسده سبعين عاما يحمد اللذة ولا ياتقهم بذلك جنابة فيحتاجون إلى التطهير ولا ضعف ولا انحلال قوة بل وطئهم وطء التذاذ ونعيم لا آفة فيه بوجه من الوجود» وأكمل الناس فيه أصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام فكما أن من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن أكل في صحاف الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «إنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة» فمن استوفى طيباته ولذاته وأذهبها في هذه الدار حرما هناك كما نعى سبحانه على من أذهب طيباته في الدنيا واستمتع بها ولهذا كان الصحابة ومن تبعهم يخافون من ذلك أشد الخوف، وذكر الامام أحمد عن جابر بن عبد الله «أنه رأى عمر ومعه لحم قد اشتراه لاهله بدرهم فقال ما هذا؟! قال لحم اشتريته لاهلى بدرهم. فقال أو كلما انتهى أحدكم شيئا اشتراه! أما سمعت الله تعالى يقول (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها)» وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا جرير بن حازم قال حدثنا الحسن قال: «قدم وفد أهل البصرة مع أبي موسى على عمر فكنا ندخل عليه كل يوم وله خبز ثلاثة وربما وافقناها مأدومة بالسمن وربما وافقناها مأدومة بالزيت وربما وافقناها مأدومة بالابنة قد دقت ثم أغلى بها وربما وافقناها اللحم العريض وهو قليل، فقال ذات يوم انى والله قد أرى تقذيركم وكرهيتكم لطعامى انى والله لوشئت لكنت من أطيبكم طعاما وأرقكم عيشا ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول غير قوما بأمر فعلوه فقال أذهبهم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فمن ترك اللذة المحرمة لله استوفى يوم القيامة أكل ما تكون، ومن استوفى هنا حرما هناك أو نقص كمالها فلا يجعل الله لذة من أوضع في معاصيه ومحارمه كلذة من ترك شهوته لله أبدا، والله أعلم

— الباب السادس والخمسون —

(في ذكر اختلاف الناس هل في الجنة حمل وولادة أم لا)

قال الترمذى في جامعه حدثنا بن دار حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن عامر الاحول عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله

عليه السلام : «المؤمن إذا اشتبهى الولد في الجنة كان حملاً ووضعوه وسنه في ساعة كما يشتهى»
 قال هذا حديث حسن غريب وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم في
 الجنة جماع ولا يكون ولد هكذا روى عن داود وس مجاهد و ابراهيم النخعي
 وقل محمد يعنى البخارى قال اسحاق بن ابراهيم في حديث النبى صلى الله
 عليه وسلم «إذا اشتبهى المؤمن الولد في الجنة كان في ساعة كما يشتهى ولكن
 لا يشتهى» قال محمد وقد روى عن أبى ذر بن العقيلى عن النبى صلى الله
 عليه وسلم قال: «ان أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد» وأبو الصديق الناجي
 اسمه بكر بن عمرو ويقال بكر بن قيس انتهى كلام الترمذى «قلت» اسناد حديث
 أبى سعيد على شرط الصحيح فرجاله محتج بهم فيه ولكنه غريب جداً وتأويل
 اسحاق فيه نظر فانه قال إذا اشتبهى المؤمن الولد وإذا للمتحقق الوقوع ولو
 أريد ما ذكره من المعنى لقال لو اشتبهى المؤمن الولد لسكان حملة في ساعة
 فان ما لا يكون أحق باداة لو كما ان المتحقق الوقوع أحق باداة إذا ، وقد قال
 أبو نعيم حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا أحمد بن اسحاق حدثنا أبو أحمد الزبيرى
 حدثنا سفيان الثورى عن أبان عن أبى الصديق الناجي عن أبى سعيد الخدرى
 قال: «قيل يارسول الله أيولد لأهل الجنة فان الولد من تمام السرور؟ فقال نعم
 والذى نفسى بيده وما هو الا كقدر ما يتخنى أحدكم فيكون حملة ورضاعه
 وشبابه» حدثنا أبو الحسن على بن ابراهيم بن أحمد الرازى بمكة حدثنا عبد
 الرحمن بن محمد بن ادريس حدثنا سليمان بن داود القزاز حدثنا يحيى بن حفص
 الاسدى قال سمعت أبا عمرو بن العلاء يحدث عن جعفر بن ثور العبدى عن
 أبى الصديق الناجي عن أبى سعيد الخدرى قال قل رسول الله **صلى الله عليه وسلم** : «ان
 الرجل من أهل الجنة ليولد له كما يشتهى فيكون حملة وفصاله وشبابه في ساعة واحدة»
 وحديث معاذ بن هشام قال فيه بن دار عامر الاحول وذل عمرو بن على عاصم الاحول
 وقال الحاكم أنبأنا الاصح حدثنا محمد بن عيسى حدثنا سلام بن سليمان حدثنا
 سلام الطويل عن زيد العمى عن أبى الصديق الناجي عن أبى سعيد الخدرى
 يرفعه «ان الرجل من أهل الجنة ليشتهى الولد في الجنة فيكون حملة وفصاله
 وشبابه في ساعة واحدة» قال البيهقي وهذا اسناد ضعيف بمرة وأما حديث أبى
 رزبن الذى أشار اليه البخارى فهو حديثه الطويل ونحن نسوقه بطوله نجمل
 به كتابنا فعليه من الجلالة والمهابة ونور النبوة ما ينادى على صحته قال عبد الله

ابن الامام أحمد في مسند أبيه كتب إلى ابراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة
عن مصعب بن زهير الزبيري كذبت اليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعتها
على ما كتبت به اليك فيحدث به عنى حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة الخزامي
حدثني عبد الرحمن بن عابس المسمعي الانصاري من بنى عمرو بن عوف عن
دلهم بن الاسود بن عبد الله بن حاجب بن طامر بن المنتفق العقيلي عن أبيه عن عمه
لقيط بن طامر قال دلهم وحدثني أبو الاسود عن عاصم بن لقيط أن لقيطاً
خرج وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نهيك
ابن عاصم بن مالك بن المنتفق قال لقيط فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلاة الغداة فقام في الناس
خطيباً فقال: «ألا أيها الناس اني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام ألا أسمعكم
الا فهل من امرىء بعثه قومه فقالوا له اعلم لنا ما يقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم؟ الا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال
الا اني مسئول: الا هل بلغت: الا اسمعوا تعيشوا: الا اجلسوا: الا اجلسوا قال
فخاس الناس وقت أنا وصاحبي حتى اذا فرغ لما فؤاده وبصره قلت يا رسول الله
ما عندك من علم الغيب؟ فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم اني أبتغي سقطه فقال
ضن ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمهن الا الله: وأشار بيده قلت وما هي؟
قال علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه؛ وعلم ما في غد ما أنت طاعم
غدا ولا تعلمونه؛ وعلم يوم الغيث يوم يشرف عليكم أذلين مشفقين فيظل
يضحك قد علم أن غيركم الى قريب قال لقيط قلت ان نعدم من رب يضحك
خيراً؛ وعلم يوم الساعة: قلت يا رسول الله علمنا مما تعلم الناس وما تعلم فانا من قبيل
لا يصدقون تصديقنا: أحد من مذبح التي تربوا علينا وخضعم التي تواليا وعشيرتنا التي
نمن منها: قل تلبثون ما لبثتم ثم يتوفى نبيكم ثم تلبثون ما لبثتم ثم تبعث
الصائحة لعمر الهك لا تدع على ظهرك شيئاً الا مات والملائكة الذين مع ربك
عز وجل فأصبح ربك يطوف في الارضين وخلف عليه البلاد فأرسل ربك
السماء تهضب (١) من عند العرش فلعمري الهك ما تدع على ظهرك من مصرع قتيل ولا
مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى يخلقه من عند رأسه فيستوى جالسا فيقول
ربك مهيم لما كان فيه يقول يارب أمتي اليوم ولعهده بالحياة عشية تحسبه

حديثاً بأهله فقلت يا رسول الله كيف يجمعنا بعدما تمزق الرياح والبلى والسباع؟
 فقال أنبتك بمثل ذلك في آلاء الله الأرض أشرفت عليها وهي مدرة بلية فقلت
 لا تحيا أبداً ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أياماً حتى أشرفت
 عليها وهي شريفة واحدة (١) ولعمرك إلهك هو أقدر على أن يجمعهم من الماء على أن يجمع
 نبات الأرض فيخرجون من الأضواء ومن مصارعهم فتتظرون إليه وينظر اليكم
 قال قلت يا رسول الله فكيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا
 وننظر إليه قال أنبتك بمثل ذلك في آلاء الله الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونهما
 ويريانكم ساعة واحدة لا تضارون في رؤيتهما ولعمرك إلهك هو أقدر على أن يراكم
 وترونه منهما قلت يا رسول الله فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه قل تعرضون عليه بادية
 له صفحاتكم لا تخفى عليه منكم خافية فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من الماء
 فينضح قبلكم بها فلعمرك إلهك ما يخطيء وجه أحد منكم منها قطرة فاما المسلم
 فتدع وجهه مثل الريغة البيضاء وأما الكافر فتخطم وجهه بمثل الحجم الأسود ألا
 ثم ينصرف نبيكم رسول الله ﷺ وينصرف على أثره الصالحون فيسلكون جسراً من
 النار فيطأ أحدكم الجمر فيقول حس فيقول ربك أو إنه فيطلعون على حوض الرسول
 ﷺ على أظاء والله فاهلة قط رأيتها فلعمرك ربك ما يبسط واحد منكم يده إلا وقع
 عليها قدح مطهرة من الطوف والبول والأذى وتحبس الشمس والقمر فلا ترون
 منهما واحداً قال قلت يا رسول الله فبم نبصر؟ قال بمثل بصرك ساعتك هذه وذلك
 مع طلوع الشمس في يوم أشرفته الأرض ثم واجهته الجبال قل قامت يا رسول الله
 فبم نحزى من حسناتنا وسيئاتنا قل الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها الآن
 يغفوا قال قلت يا رسول الله ما الجنة ما النار؟ قال لعمرك إلهك إن للنار سبعة أبواب
 مامنهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً وإن للجنة ثمانية أبواب مامنهن

(١) في النهاية هكذا رواه بعضهم شريفة بالباء أراد أن الأرض اخضرت
 بالنبات فكانها حنظلة واحدة.

بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً قل قلت يا رسول الله فعلاً ما نطلع
من الجنة؟ قال على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس ما بها من صدايح ولا
ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وبفاكهة لعمر الهك مما تمنعون
وخير من مثله معه وأزواج مطهرة، قلت يا رسول الله ولنا فيه أزواج أو ممن صالحات
قال الصالحات للصالحين تلذون بهن مثل لذاتكم في الدنيا، ويلذذن بكم غير أن
لا توالد قال لقيط فقلت أقصى ما نحن بالغون ومنهون إليه فلم يحبه النبي
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله علاماً أبايعك فبسط النبي عليه السلام يده
وقال على اقام الصلاة وإيتاء الزكاة وإن لا تشرك بالله الهاً غيره، قال قلت وإن لنا
ما بين المشرق والمغرب؟ فقبض النبي صلى الله عليه وسلم يده وبسط أصابعه
وظن أني مشترط شيئاً لا يعطينه. قال قلت نحل منهما حيث شئنا ولا يجني على
أمرى إلا نفسه فبسط يده وقال ذلك لك نحل حيث شئت ولا يجني عليك إلا نفسك
قال فانصرفنا وقال ها أن ذين ها أن ذين لعمر الهك إن حدثت إلا أنهما من انقى الناس
في الأولى والآخرة، فقال له كعب بن الجدارية أخو بني بكر بن كلاب من هم
يا رسول الله؟ قال بنو المنة، قال أهل ذلك؟ قال فانصرفنا وأقبلت عليه فقلت يا رسول
الله هل لأحد مما مضى من خبر في جاهليتهم؟ قال قال رجل من عرض قریش
والله إن أباك المنة في النار، قال فلما كان قد وقع جزء من جلدي ووجهي
ولحي مما قال لأبي على رؤس الناس فهممت أن أقول وأبوك يا رسول الله، ثم إذا
الأخرى أجهل فقلت يا رسول الله وأهلك؟ قال وأهلي لعمر الله ما أتيت عليه من
قبر عامري أو قرشي من مشرك فقل ارسلني إليك محمد صلى الله عليه وسلم
فابشرك بما يسوءك تجر على وجهك وبطنك في النار، قال قلت يا رسول الله ما فعل
الله بهم ذلك؟ وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه وكانوا يحسبونهم مصالحين
قل ذلك بأن الله عز وجل بعث في آخر كل سبع أم نبياً فمن عصي نبيه كان من الضالين
ومن أطاع نبيه كان من المهتدين، هذا حديث كبير مشهور ولا يعرف إلا من حديث
أبي قتادة عن عبد الرحمن بن المغيرة عن عبد الرحمن المدني ثم من رواية إبراهيم
بن حمزة الزبيرى المدني عنه وهي من كبار علماء المدينة ثقتان يحتج بهما في
الحديث احتج بهما الإمام محمد بن إسماعيل البخارى وروى عنهما في مواضع
من كتابه رواد أئمة الحديث في كتبهم منهم أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن

الامام أحمد وأبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي العاصم وأبو القاسم الطبراني وأبو
 الشيخ الحافظ وأبو عبد الله بن منده والحافظ وأبو بكر أحمد بن موسى بن
 مردويه والحافظ أبو نعيم الأصفهاني وغيرهم على سبيل القبول والتسليم قال الحافظ
 أبو عبد الله بن منده روى هذا الحديث محمد بن اسحاق الصنعاني وعبد الله
 ابن أحمد بن حنبل وغيرهما وقرأوا بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين فلم يذكره
 أحد منهم ولم يتسكّم في اسناده، وكذلك أبو زرعة وأبو حاتم على سبيل القبول
 وقال أبو الخير بن حمدان هذا حديث كبير ثابت مشهور وسألت شيخنا أبا الحجاج
 المري عنه فقال عليه جلالة النبوة وقال نمأة الابلاد فهذا حديث صريح في انتفاء
 الولادة وقوله اذا اشتبهى معاق بالشرط ولا يلزم من التعاقب وقوع المعلق ولا
 المعلق به، واذا وان كانت ظاهرة في المحقق فقد تستعمل لمجرد التعليق الاعم من
 المحقق وغيره قالوا وفي هذا الموضع يتعين ذلك لوجوه (أحدها) حديث أبي رزين
 (الثاني) قوله تعالى: «ولهم فيها أزواج مطهرة» وهن اللاتي طهرن من
 الحيض والنفاس والأذى قال سفيان أنبأنا ابن أبي نجيح عن مجاهد مطهرة
 من الحيض والغائط والبول والنخام والبصاق والمنى والولد وقال أبو معاوية
 حدثنا ابن جريج عن عطاء أزواج مطهرة قال من الولد والحيض والغائط والبول
 (الثالث) قوله غير أنه لا منى ولا منية وقد تقدم. والولد إنما يخاق من ماء
 الرجل فاذا لم يكن هناك منى ولا مذى ولا نفخ في الفرج لم يكن هناك
 إيلاد (الرابع) انه قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يبقى
 في الجنة فضل فينشئ الله لها خلقا يسكنهم اياها ولو كن في الجنة إيلاد لكان
 النضل لأولادهم وكانوا أحق به من غيرهم (الخامس) ان الله سبحانه جعل الحمل
 والولادة مع الحيض والمنى فلو كانت النساء يحبان في الجنة لم ينقض عنهن
 الحيض والانزال (السادس) ان الله سبحانه قدر التناسل في الدنيا لانه قدر
 الموت وأخرجهم الى هذه الدار قرنا بعد قرن وجعل لهم أمدا ينتهون اليه فلو لا
 التناسل لبطل النوع الانساني ولهذا الملائكة لا تتناسل فلهن لا يموتون. فإنا
 نموت الانس والجن فإذا كان يوم القيامة أخرج الله سبحانه الناس كلهم من
 الأرض وأنشأهم للبقاء لا للموت فلا يحتاجون الى تناسل يحفظ النوع
 الانساني اذ هو مذكأ للبقاء والدوام فلا أهل الجنة يتناسلون ولا أهل النار

(م - ١٢ - حادى الارواح)

(السامع) أنه سبحانه وتعالى قال (والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان
أحبا اليهم ذرياتهم) فأخبر سبحانه أنه يكرههم بأحبا ذرياتهم الذين كانوا لهم
بهم في الدنيا ولو كان يدشأ لهم في الجنة ذرية أخرى لذكرهم كما ذكر ذرياتهم
الذين كانوا في الدنيا لان قرعة أعينهم كانت تكون بهم كما هي بذرياتهم من أهل
الدنيا (القائم) إنه إما أن يقال باستمرار النسل فيها إلى غاية أو إلى غاية ثم ينقطع
وكلاهما مما لا سبيل إلى القول به لاستلزام الاول اجتماع أشخاص لا تنهاى
وامتداد الثاني انقطاع نوع من لذة أهل الجنة وسروره وهو محال ولا يمكن أن يقال
بتناسل بموت معه نسل ويحلّذه نسل اذ لا موت هناك (السامع)
أن الجنة لا ينمو فيها الانسان كما ينمو في الدنيا فلا ولدان أهلها ينمون
ويكبرون ولا الرجال ينمون كما تقدم بل هؤلاء ولدان صغار لا يتغيرون، وهؤلاء
أبناء ثلاث ولاثنين لا يتغيرون. فلو كان في الجنة ولادة لكان المولود ينمو ضرورة
حتى يصير رجلا ومعلوم ان من مات من الاطفال يردون أبناء ثلاث وثلاثين
من غير نمو يومئذ (الوجه العاشر) أن الله سبحانه وتعالى ينشئ أهل الجنة
نشأة الملائكة أو اكل من نشأتهم بحيث لا يبولون ولا يتغوطون ولا ينامون
ويأبسون التسبيح ولا يهرمون على تناول الاحقاب ولا تنمو أبدانهم بل القدر
الذي جعلوا عليه لازم لهم أبدا والله أعلم فهذا في المسئلة . فاما قول بعضهم ان
القدرة صالحة والسكنى ممكن وقول آخرين ان الجنة دار المكافئين التي يستحقونها
بالعمل وسأل هذه المباحث فرخيصة وهي في كتب الناس وبالله التوفيق قل
انما كان الاستدلال برسول أهل الزبج يفكرون هذا الحديث يعنى حديث
الرسول في الجنة وقد روى فيه غير اسناد وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن
ذلك فقال يكون ذلك على نحو مما روينا والله سبحانه وتعالى يقول (وفيها
ناتقنهم بالانفس وتلد الاعين) وليس بالمستحيل أن يشتهي المؤمن الممكن
في شهوراته المصطفى المقرب المساط على لذاته قرعة عين وثمرة فؤاد من الذين
يعرفون الله تعالى بطريقه « من قبل » في الحديث فمن لا يحضن ولا يفسن
الذين يعرفون الله تعالى « من قبل » الحبيب بسبب الولادة المستمرة بالحق على السكرة
والجميع من جميع بلاد الدنيا من المشايخ والمخاض والملايس على
الذين يعرفون الله تعالى « من قبل » كل منهما مما يحذر منه ويخاف من عواقبه

وهذه خمرة الدنيا المحرمة المستولية على كل بلية قد أعدها الله تعالى لاهل الجنة منزوعة البلية موفرة اللذة فلم لا يجوز أن يكون على مثله الولد !! انتهى كلامه « قامت » المنافون للولادة في الجنة لم يذوقوا لزيغ قلوبهم ولكن حديث أبي رزين « غير ان لا توالد » وقد حكينا من قول عطاء وغيره انهن مظهرات من الحيض والولد وقد حكى الترمذي عن أهل العلم من السلف والخلف في ذلك قولين وحكى قول أبي اسحاق بالنسبة وقال أبو داود في حديثه « غير أن لا مني ولا منية » والجنة ليست دار تناسل بل دار بقاء وخالد لا يموت من فيها فيقوم نسله مقامه » وحديث أبي سعيد الخدري هذا أجود أسانيد اسناد الترمذي وقد حكم بغرابتة وأنه لا يعرف الا من حديث أبي الصديق الناجي وقد اضطرب لفظه فتارة يروى عنه اذا انتهى الولد ، وتارة أنه ليستهي الولد ، وتارة ان الرجل من أهل الجنة ليولد له ، والله أعلم فان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال فهو الحق الذي لا شك فيه وهذه الانقاط لا تنافي بينها ولا تناقض وحديث أبي رزين غير أن لا توالد اذ ذلك ينفي لتوالد المعهود في الدنيا ولا ينفي ولادة حمل الولد فيها ووضعها وسنه وشبابه في ساعة واحدة فهذا ما انتهى اليه علمنا القاصر في هذه المسألة وقد أتينا فيها بما لملك لا يتجده في غير هذا الكتاب والله أعلم

﴿ الباب السابع والخمسون ﴾

(في ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين ومافيه من الطرب واللذة)
قال تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون) قال محمد بن جرير حدثني محمد بن موسى الحرشي قال حدثنا عامر بن نساف قال سألت يحيى بن أبي كثير عن قوله عز وجل (فهم في روضة يحبرون) قال الحبرة اللذة والسماع ، حدثنا عبد الله بن محمد القرطبي حدثنا ضمرة بن ربيعة عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير في قوله يحبرون قال السماع في الجنة ولا يخالف هذا قول ابن عباس يسكرمون وقال مجاهد وقتادة ينعمون فلذة الاذن بالسماع من الحبرة والنعم وقال الترمذي حدثنا هناد وأحمد بن منيع قال حدثنا عبد الرحمن بن اسحاق عن النعمان بن سعد عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان في الجنة

فاجتمعوا لحدور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها يقان نحن الخالدات
 فلا نبید ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط . طوبى لمن كان
 لنا وكن له » وفي الباب عن أبي هريرة وأبي سعيد وأنس وحديث على حديث
 غريب قالت وفي الباب عن ابن أبي أوفى وإبي أمامة وعبد الله بن عمر أيضاً ما حديث
 أبي هريرة فقال جعفر الثوري إني حدثنا سعد بن حفص حدثنا محمد بن مسلمة عن أبي
 عبد الرحمن عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي صالح عن أبي هريرة
 قال : « ان في الجنة نهراً طول الجنة حافتاه العذارى قيام متقابلات يغنين
 بأصوات حتى يسمعها الخلائق ما يرون في الجنة لذة مثاها ، فقلنا يا أبا هريرة
 وما ذاك الغناء ؟ قال ان شاء الله التسبيح والتحميد والتكديس وثناء على الرب
 عز وجل » هكذا رواد موقوفا وروى أبو نعيم في صفة الجنة من حديث مسلمة
 ابن علي عن زيد بن واقد عن رجل عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : « ان في الجنة شجرة جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد
 ولؤلؤ فتهب لها ريح فيصطفقن فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألد منه »
 (وأما حديث أنس) فقال أبو نعيم انبأنا عبد الله بن جعفر حدثنا
 اسماعيل بن عبد الله حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم حدثنا ابن أبي
 فديك عن ابن أبي ذئب عن عون بن الخطاب عن عبد الله بن رافع عن
 أبي الاسن عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الحور العين
 يغنين في الجنة يقلن نحن الحور الحسان خالقن لآزواج كرام » ورواه ابن أبي
 الدنيا حدثنا أبو خزيمة حدثنا اسماعيل بن عمر حدثنا ابن أبي ذئب عن أبي
 عبد الله بن رافع عن بعض ولد أنس فذكره (وأما حديث ابن أبي
 أوفى) فقال أبو نعيم حدثنا محمد بن جعفر عن أصله حدثنا موسى بن
 هارون حدثنا حامد بن يحيى الباخي حدثنا يونس بن محمد المؤدب
 حدثنا لوليد بن أبي ثور حدثني سعد الطائي عن عبد الرحمن بن سابط عن
 ابن أبي أوفى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يزوج كل واحد من أهل
 الجنة أربعة آلاف بكر وثمانية آلاف أيم ومائة حوراء فيجتمعن في كل سبعة
 أيام فيقان بأصوات حسان لم تسمع الخلائق بمثلها نحن الخالدات فلا نبید ،
 ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا
 نطعن ، طوبى لمن كان لنا وكن له » (وأما حديث أبي أمامة) فقال جعفر

الفرجاني حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا خالد بن يزيد عن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثقتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمعه الانس والجن وليس عزامير الشيطان» (وأما حديث ابن عمر) فقال الطبراني حدثنا أبو رفاعه عمارة بن وثيمة بن موسى بن الثقات المصري حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط، وإن ما يغنين به نحن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام، ينظرون بقرة أعين، وإن ما يغنين به نحن الخالدات فلا تمتهن، نحن الآمئات فلا نخفهن، نحن المقيمات فلا نطفن» قال الطبراني لم يروه عن زيد بن أسلم إلا محمد تفرد به ابن أبي مريم وقال ابن وهب حدثني سعيد بن أبي أيوب قال وقال رجل من قريش لابن شهاب هل في الجنة سماع فانه حبيب الى السماع؟ فقال أي والذي نفس ابن شهاب بيده ان في الجنة لشجرا حمله اللؤلؤ والزبرجد تحته جوار ناهدات يتغنين بألوان يقان نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الخالدات فلا نموت فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضاً فاجبن الحوارى فلا تدرى أصوات الحوارى أحسن أم أصوات الشجر؟ قال ابن وهب وحدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد ان الحور العين يغنين أزواجهن فيقان نحن الخيرات الحسان أزواج شباب كرام، ونحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نطفن، في صدر احدهن مكتوب أنت حبي وأنا حبيبك انتمت نفسي عندك لم تر عيناى مثلك» وقال ابن المبارك حدثنا الاوزاعي حدثنا يحيى بن أبي كثير «ان الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن طالما انتظرناكم فنحن الراضيات فلا نسخط، والمقيمات فلا نطفن والخالدات فلا نموت، بأحسن أصوات وتقول أنت حبي وأنا حبيبك ليس دونك مقصر ولا وراءك معد

(فصل)

(ولهم سماع أعلى من هذا)

قال ابن أبي الدنيا حدثني دهم بن الفضل القرشي حدثنا

الاوزاعي: «قال بلغني أنه ليس من خلق الله أحسن صوتا من اسرافيل فيأمره الله تبارك وتعالى فيأخذ في السجود فيبقى ملك في السموات الا قطع عليه صلاته فيمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث فيقول الله عز وجل وعزتي لو يعلم العباد قدر عظمتي ما عبدوا غيري» وحدثني داود بن عمر الضبي حدثنا عبد الله ابن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس الله ومزامير الشيطان أسمعوهم يرض المسك ثم يقول للملائكة أسمعوهم تمجيدى وتمميدى» وقال ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن الحسن حدثني عبد الله بن أبي بكر حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار في قوله عز وجل (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قل إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع فوضع في الجنة ثم نودى يا داود مجدي بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجيدنى به في دار الدنيا قال فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنان فذلك قوله تعالى (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) وذكر حماد بن سلمة عن ثابت البناني وحجاج الاسود عن شهر بن حوشب قال: «إن الله جل ثناؤه يقول للملائكة ان عبادى كانوا يحبون الصوت الحسن في الدنيا فيدعونه من أجلى فاسمعوا عبادى فيأخذوا بصوات من تهليل وتسبيح وتكبير لم يسمعوا بمثله قط» وقال عبد الله بن الامام أحمد في كتاب الزهد لأبيه حدثني علي بن مسلم الطوسي حدثني سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار «في قوله عز وجل (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قال يقيم الله سبحانه داود عند ساق العرش فيقول يا داود مجدي اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم فيقول الهى كيف أعجبتك وقد سلمتني في دار الدنيا؟ قال فيقول الله عز وجل فاني أردته عليك قال فيرده عليه فيزداد صوته قال فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة» وقال ابن أبي الدنيا حدثنا مسلم بن إبراهيم الحراني حدثنا مسكين بن بكير عن الاوزاعي عن عبيدة بن أبي لبابة قل: «إن في الجنة شجرة ثمراز برجد وياقوت ولؤلؤ فيبعث الله ريحا فتصنق فتسمع لها أصوات لم يسمع أحد منها» حدثنا أبو بكر بن يزيد وابراهيم بن سعيد قالا حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا رفعة بن صالح عن سلمة بن زهران عن عكرمة عن ابن عباس قال: «في الجنة شجرة على ساق قدر ما يسير الراكب في ظلها مائة عام فيمتحدثون في ظلالها فيشتمى بعضهم فيذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك

الشجرة بكل هو كان في الدنيا» حدثنا ابراهيم بن سعيد حدثنا علي بن عاصم حدثني سعيد بن سعيد الحارثي قال حدثت «أن في الجنة آجاما من قصب من ذهب حماتها اللؤلؤ فإذا اشتبه أهل الجنة أن يسمعوا صوتا حسنا بعث الله على تلك الآجام ريحا فتأتيتهم بكل صوت يشتهونه»

(فصل)

ولهم سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع وذلك حين يسمعون كلام الرب جل جلاله وخطابه وسلامه عليهم ومحاضراته لهم ويقرأ عليهم كلامه فإذا سمعوه منه فبكاتهم لم يسمعوه قبل ذلك وسيمر بك أيها السني من الأحاديث الصحاح والحسان في ذلك ما هو من أحب سماع لك في الدنيا وألذ لأذنك وأقر لعينك إذ ليس في الجنة لذة أعظم من النظر إلى وجه الرب تعالى وسماع كلامه منه ولا يعطى أهل الجنة شيئا أحب إليهم من ذلك وقد ذكر أو الشيخ عن صالح بن حبان عن عبد الله بن بريدة قال: «إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والذهب والزمرد فلم تقرأ عليهم بشيء ولم يسمعوا شيئا قط أعظم ولا أحسن منه ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين قريرة أعينهم إلى مثابها من الغد»

﴿الباب الثامن والخمسون﴾

(في ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم)

قال الترمذي حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا عاصم بن علي حدثنا المسعودي عن علقمة بن مرثد عن سايان بن بريدة عن أبيه «أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هل في الجنة من خيل؟ قال إن أدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك في الجنة حيث شئت، قال وسأله رجل فقال يا رسول الله هل في الجنة من ابل؟ قال فلم يقل ما قال لصاحبه قال إن أدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتيت نفسك ولدت عينك» حدثنا سويد بن نصر أنبأنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن بن سابط عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه

بعضه وهذا أصح من حديث المسعودي حدثنا محمد بن اسماعيل بن سمرة
الاحمسي حدثنا أبو معاوية عن واصل بن السائب عن أبي سورة عن أبي
أيوب قال : « أتى النبي صلى الله عليه وسلم أعرابي فقال يا رسول الله اني أحب
الخليل في الجنة خيل ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخلت الجنة أتيت
بفرس من ياقوتة له جناحان فحلمات عليه ثم طار بك حيث شئت » قال الترمذي
هذا حديث اسناده ليس بالقوى ولا نعرفه من حديث أبي أيوب الا من هذا
الوجه وأبو سورة هو ابن أخي أبي أيوب يضعف في الحديث ضعفه ابن معين
جداً وسمعت محمد بن اسماعيل يقول أبو سورة هذا منكر الحديث يروى
مناكير عن أبي أيوب لا يتابع عليه « قلت » أما حديث علقمة بن مرثد فقد اضطرب
فيه علقمة مرة يقول عن سليمان بن بريدة عن أبيه ومرة يقول عن عبد الرحمن
ابن سابط عن عمير بن ساعدة قال : « كنت أحب الخليل فمات هل في الجنة خيل
يا رسول الله » ومرة يقول قل رجل من الانصار يقال له عمير بن ساعدة يا رسول
الله : ومرة يقول عن عبد الرحمن بن سابط عن النبي صلى الله عليه وسلم
والترمذي جعل هذا أصح من حديث المسعودي لان سفيان أحفظ منه وأثبت
وقد رواه أبو نعيم من حديث علقمة هذا فقال عن أبي صالح عن أبي هريرة
« ان اعرابيا قل يا رسول الله أفى الجنة ابل ؟ قال يا اعرابي إن يدخلك الله الجنة
رأيت فيها ما تشتهي نفسك وتلد عينك » ورواه أيضا من حديث علقمة عن
يحيى بن اسحاق عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال قل رسول الله صلى
الله عليه وسلم وذكر الجنة فقال « والفر دوس أعلاها سموا وأوسعها منه محلا
ومنها تفجر أنهار الجنة وعلمها يوضع العرش يوم القيامة ، فقام اليه رجل فقال
يا رسول الله أتى رجل حبيب إلى الخليل فهل في الجنة خيل ؟ قال أى والذي نفسى
بيده ان فى الجنة خيلا وإبلا ههنافة تزف بين خلال ورق الجنة يتراورون عليها
حيث شاؤوا ، فقام اليه رجل فقال يا رسول الله انى حبيب إلى الابل » وذكر الحديث
وأما حديث أبي سورة فلا يعرف الا من حديث واصل بن السائب عنه ولم
يروه عنه غيره وغير يحيى بن جابر الطائى وقد أخرج له أبو داود حديث
« مستفتح عليكم الامصار وتجنبدون اجنادا » وأخرج له ابن ماجه عن أبي أيوب
« رأيت النبي صلى الله عليه وسلم توضأ فخلل لحيته » وحدثنا آخر فى تفسير قوله
تعالى (حتى تستأنسوا) وأخرج له الترمذي حديث « خيل الجنة » فقط ورواه أبو
نعيم من حديث جابر بن نوح عن واصل به وقال : « ان أهل الجنة ليتراورون

على نجائب بيض كأنها الياقوت وليس في الجنة من البهائم إلا الخيل والابل»
وقال أبو الشيخ حدثنا القاسم بن زكريا حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مروان
ابن معاوية عن أبي الحكم عن أبي خالد عن الحسن البصري عن جابر بن
عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة جاءتهم
خيول من ياقوت أحمر لها أجنحة لا تبول ولا تروث فقعدها عليها ثم طارت
بهم في الجنة فيمتجلي لهم الجبار فإذا رأوه خروا سجداً فيقول لهم الجبار
تعالى: ارفعوا رؤسكم فإن هذا ليس يوم عمل إنما هو يوم نعيم وكرامة، فيرفعون
رؤسهم فيمطر الله عليهم طيباً فيمرون بكتبان المسك فيبعث الله على تلك
الكتبان رجلاً فتهميجهما عليهم حتى إنهم ليرجعون إلى أهلهم وإنهم لشعث غبر»
وقال عبد الله بن المبارك حدثنا همام عن قتادة عن عبد الله بن عمرو قال: «في
الجنة عتاق الخيل وكرائم النجائب»

(الباب التاسع والخمسون)

(في زيارة أهل الجنة بعضهم بعضاً وتذاكرهم ما كان بينهم في الدنيا)
قال تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل من هم أنى كان لي قرين
يقول أثنتك لمن المصدقين أنذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون ، قال هل أنتم
مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم ، قال تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربى لكنت
من الخضرين) فأخبر سبحانه وتعالى أن أهل الجنة أقبل بعضهم على بعض يتحدثون
ويسأل بعضهم بعضاً عن أحوال كانت في الدنيا فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة
إلى أن قال قائل منهم أنى كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة ويقول
ما حكاه الله عنه يقول أثنتك لمن المصدقين بآنا نبوت ونجazy بأعمالنا ونحاسب
بها بعد أن مزقنا البلى وكنا تراباً وعظاماً ثم يقول المؤمن لآخوانه في الجنة هل
أنتم مطلعون في النار لننظر منزلة قرينى هذا وما صار اليه ، هذا أظهر الأقوال
وفيهما قولان آخران (أحدهما) أن الملائكة تقول لهؤلاء الممتذاكرين الذين يحدث
بعضهم بعضاً هل أنتم مطلعون رواء عطاء عن ابن عباس (والثاني) أنه من قول
الله عز وجل لأهل الجنة يقول لهم هل أنتم مطلعون والضحيج القول الاول وأن
هذا قول المؤمن لأصحابه ومحادثيه والسياق كله والاختبار عنه وعن حال قرينه
قال كعب «بين الجنة والنار كوى فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له في الدنيا

اطلع من بعض تلك الكوى» (وقوله) فاطاع أى أشرف قال مقاتل لما قتل لاهل الجنة هل أنتم مطلعون قالوا له أنت أعرف به منا فاطاع أنت فأشرف فرأى قرينه في سواء الجحيم ولولا أن الله عرفه إياه لما عرفه لقد تغير وجهه ولونه وغيره العذاب أشد تغير فعندها قال تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين أى إن كدت لتهلكنى ولولا أن أنعم الله على بنعمته لكنت من المحضرين معك في العذاب وقال تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتسائلون قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم) وقال الطبرانى حدثنا الحسن بن اسحاق حدثنا سهل بن عثمان حدثنا المسيب بن شريك عن بشر بن نمير عن القاسم عن أبى امامة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ايتراور أهل الجنة؟ قال يزور الاعلى الاسفل ولا يزور الاسفل الاعلى الا الذين يتخابون في الله يأتون منها حيث شاؤوا على النوق محقة بين الحشايا» (١) وقال الدورقى حدثنا أبو سامة التميمى كى حدثنا ساجان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: «بلغنا أن أهل الجنة يزور الاعلى الاسفل ولا يزور الاسفل الاعلى» وقد تقدم حديث عاقمة بن مرثد عن يحيى بن اسحاق عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة وقال الطبرانى حدثنا محمد ابن عبدوس حدثنا الحسن بن حماد حدثنا جابر بن نوح عن واصل بن السائب عن أبى سورة عن أبى أيوب يرفعه «إن أهل الجنة يتزاورون على النجائب» وقد تقدم فأهل الجنة يتزاورون فيها ويستزير بعضهم بعضا وبذلك تم لذتهم وسرورهم ولهذا قال حارثة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد سأله «كيف أصبحت يا حارثة؟ قال أصبحت مؤمنا حقا» قال ان لكل حق حقيقة فإحقيقة إيمانك؟ قال عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظلمات نهارى وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزا، وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها وإلى أهل النار يعذبون فيها، فقال عبد نور الله قلبه» وقال ابن أبى الدنيا حدثنا عبد الله حدثنا سامة بن شبيب حدثنا سعيد بن دينار عن الربيع بن صبيح عن الحسن بن أنس قال دل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الاخوان بعضهم إلى بعض قل فيسير سرير هذا إلى سرير هذا وسرير هذا إلى سرير هذا حتى يجتمعوا جميعا فيقول أحدهما لصاحبه تعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله

فغفر لنا» قال وحدثني حمزة بن العباس أنبأنا عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا اسماعيل بن عياش قل حدثني ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير العجلي عن شفي بن مانع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاوون على المطايا والمجب وأنهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ماجمة لا تروث ولا تبول فيركبونها حتى يذهبوا حيث شاء الله عز وجل فيأتينهم مثل السحابة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت فيقولون امطري علينا فما يزال المطر عليهم حتى يفتتق ذلك فوق أمانيهم، ثم يبعث الله ريحا غير مؤذية فتتسفف كثرائب من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم فيأخذ ذلك المسك في نواص خيولهم وفي مفارقهم وفي رؤوسهم ولكل رجل منهم حمة على ما اشتتهت نفسه فيمتعاق ذلك المسك في تلك الجمام وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب ثم يقبلون حتى يذهبوا إلى ما شاء الله تعالى فإذا المرأة تذاذي بعض أولئك يا عبد الله أمالك فينا حاجة؟ فيقول ما أنت ومن أنت؟ فتقول أنا زوجتك وحبك فيقول ما كنت علمت بمسكانك؟ فتقول المرأة أو ما علمت أن الله قل (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) فيقول بلى وربى فاعله يشغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفا لا يلتفت ولا يعود ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم والكرامة» حدثني حمزة أنبأني عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا رشدين بن سعد قال حدثني ابن أنعم أن أبا هريرة قال «إن أهل الجنة ليتزاوون على العيس (١) الذين عليها رجال الميس (٢) تثير مناسمها (٣) غبار المسك خطام أوزمام أحدها خير من الدنيا وما فيها» وذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي اليمان حدثنا اسماعيل بن عياش عن عمرو بن محمد عن زيد بن أسام عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عن هذه الآية (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) قال هم الشهداء يبعثهم الله متقدمين أسياهم حول عرشه فأناهم ملائكة من المحش يتعاطب من ياقوت أزمتها الدر الأبيض برحال الذهب أعناقها السندس والاستبرق ونارها ألين من الحرير ومد خطاها مد أبصار الرجال يسرون في الجنة على خيول يقولون عند طول النزهة انطلقوا بنا ننظر كيف يقضى الله بين خلقه يضحك الله اليهم وإذا ضحك الله إلى عبد في موطن فلا حساب عليه» قال ابن أبي الدنيا وحدثنا الفضل بن جعفر

(٢) الميس شجر

(١) هي الابل البيضاء مع سواد يسير

صلب تعمل منه أكوار الابل ورحالها (٣) أي اخفافها . ع

ابن حسن حدثنا أبي عن الحسن بن علي عن علي قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه
وما هم يقول: إن في الجنة لشجرة يخرج من أعلاها حلال ومن أسفلها خيل من
ذهب مسرجة ملحمة من در وياقوت لا تروث ولا تبول لها أجنحة خطوها
مد بصرها فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاؤوا فيقول الذين أسفل منهم
درجة يارب بما بلغ عبادك هذه الكرامة؟ قال فيقال لهم كانوا يصلون في الليل
وكنتم تنامون، وكانوا يصومون وكنتم تأكلون، وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون
وكانوا يقاتلون وكنتم تحبسون»

(فصل)

ولهم زيارة أخرى أعلى من هذه وأجل وذلك حين يزورون ربهم تبارك وتعالى
فيربهم وجهه ويسمعهم كلامه ويحل عليهم رضوانه وسيمر بك ذكر هذه الزيارة
عن قريب إن شاء الله

❦ الباب الستون ❦

(في ذكر سوق الجنة وما أعد الله تعالى فيه لأهلها)

دل مسلم في صحيحه حدثنا سعيد بن عبد الجبار الصيرفي حدثنا حماد بن
سالمه عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال: «إني في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم
وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً فيقول
لهم أهلهم والله لقد ازدادتم بعدنا حسناً وجمالاً فيقولون والله وأنتم لقد ازدادتم بعدنا
حسناً وجمالاً» ورواه الإمام أحمد في مسنده عن عفان عن حماد بن سالمه وقال «فيها
كتبان المسك فإذا خرجوا إليها هبت الريح» وقال ابن عاصم في كتاب
السنة حدثنا هشام بن عمار حدثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العسر عن
الأوزاعي عن حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب أنه التقى أبا هريرة فقال
أبو هريرة: «سأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد أو فيها
سوق؟ قال نعم» أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم «أن أهل الجنة إذا دخلوها
نزلوها بنضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة عن أيام الدنيا فيزورون
الله تبارك وتعالى فيبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة
فيوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ياقوت

ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيها ذئ على كسبان المسك
والسكافور ما يرون ان أصحاب الكرامى بأفضل منهم مجلسا ، قال أبو هريرة
وهل نرى ربنا عز وجل؟ قل نعم ، قال هل تمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة
البدر؟ قلنا لا ، قل فكذلك لا تمارون فى رؤية ربكم ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد
الا حاضره الله محاضرة حتى يقول يا فلان ابن فلان أتذكر يوم فمات كذا
وكذا فيذكره ببعض غدراته فى الدنيا ، فيقول بلى أفلم تغفر لى ، فيقول بلى
فبمغفرتى بلغت منزلتك هذه ، قال فينأى على ذلك اذ غشيتهم سحابة من فوقهم
فامطرت عليهم دليبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط ، قل ثم يقول ربنا تبارك وتعالى
قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوها واستهيم ، قال فيأتون سوفا
قد حفت بها الملائكة فيها ما لم تنظر العيون الى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر
على القلوب ، قال فيحمل لنا ما استهيمنا ليس يباع فيه ولا يشتري ، وفى ذلك
السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا ، ذل فيقبل ذو البزة المرتعة فيلقى من
هو دونه وما فيهم ذئ فيروعه ما يرى عليه من اللباس والهيئة فما ينقضى آخر
حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه وذلك انه لا ينبغي لاحد أن يحزن فيها قال
ثم ننصرف الى منازلنا فيلقانا أزواجنا فيقبلن مرحبا وأهلا بحبنا لقد جئت وان
بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه ، فتقول انا جالسنا اليوم : بنا الجبار
عز وجل وبحقنا ان نقرب بمنل ما نقابنا ، ورواه الترمذى فى صفة الجنة عن
محمد بن اسماعيل عن هشام بن عمار رواه ابن ماجه عن هشام بن عمار وليس فى
هذا الاسناد من ينظر فيه الا عبد الحميد بن حبيب وهو كاتب الاوزاعى فلانكر عليه
تفرده عن الاوزاعى بما لم يروده غيره وقد قال الامام أحمد وأبو حاتم الرازى هو ثقة
واما دحيم والنسائى فضعفاه ولا نعرف انه حدث عن غير الاوزاعى والترمذى قل فى
هذا الحديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه «قلت» وقد رواه ابن أبى الدنيا عن
الحكم بن موسى حدثنا هقل بن زياد عن الاوزاعى قال؟ نبئت ان سعيد بن
المسيب لقي أبا هريرة فذكره وقال الترمذى حدثنا ياحميد بن منيع
حدثنا أبو معاوية أنبأنا عبد الرحمن بن اسحاق عن النعمان بن سعد
عن على بن أبى طالب قل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ان فى الجنة لسوقا
ما فيها شراء ولا بيع الا الصور من الرجال والنساء فاذا استهسى الرجل الصورة
دخل فيها » قال هذا حديث غريب وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سليمان التيمي

عن أنس بن مالك قال: «يقول أهل الجنة انطلقوا إلى السوق فينطلقون إلى كئيبان المسك فإذا رجعوا إلى أزواجهم قالوا انا لنجد لكن ريحا ما كانت لكن ، قال فيقبلن لقد رجعتن بريح ما كانت لكم اذ خرجتم من عندنا» قال ابن المبارك وأنبأنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: «ان في الجنة سوقا كئيبان مسك يخرجون اليها ويجتمعون اليها فيبعث الله ريحا فتدحاهم بيوتهم فيقول لهم أهلوهم اذا رجعوا اليهم قد ازددتم حسنا بعدنا فيقولون لاهليهم قد ازددتم أيضا بعدنا حسنا» وقال الحافظ محمد بن عبد الله الحضرى المعروف بمطين حدثنا احمد بن محمد بن طريف البجلي حدثنا أبي حدثنا محمد بن كثير حدثني جابر الجعفى عن أبي جعفر عن علي بن الحسين عن جابر بن عبد الله قال: «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مجتمعون فقال يا معشر المسلمين ان في الجنة لسوقا ما يباع فيها ولا يشتري الا الصور من أحب صورة من رجل أو امرأة دخل فيها» والله اعلم

❦ الباب الحادى والستون ❦

(في ذكر زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى)

قال الامام الشافعى رضى الله عنه في مسنده حدثنا ابراهيم بن محمد قال حدثني موسى بن عبيدة قال حدثني أبو الازهر معاوية بن اسحاق بن طلحة عن عبد الله بن عبيد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك يقول: «أتى جبريل بمرأة بيضاء فيها وكت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي ﷺ ما هذه؟ قال الجمعة فضات بها أنت وأمتك فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى، ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير الا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد ، قال النبي ﷺ يا جبريل وما يوم المزيد؟ قل ان ربك اتخذ في الفردوس واديا افيح فيه كئيب المسك فإذا كان يوم القيامة انزل الله تبارك وتعالى ماشاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد انبيين ، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من وراءهم على تلك الكئيب فيقول الله تعالى أنا ربكم قد صدقتم وعدى فسلوني أعظمكم، فيقولون ربنا نسئلك رضوانك ، فيقول قد وضيت عنكم ولكم على ما تمنيت ، ولدى مزيد ، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير وهو اليوم الذى

استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم عليه الصلاة والسلام وفيه تقوم الساعة » ولهذا الحديث طرق سنشير اليها في باب المزيد ان شاء الله تعالى وروى ابو نعيم من حديث شيبان بن خبير بن فرقد عن الحسن عن أبي برزة الاسلمي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ان أهل الجنة ليغدون في حلة ويروحون في أخرى كغدوا أحدكم ورواحه إلى ملك من ملوك الدنيا ، كذلك يغدون ويروحون إلى زيارة ربهم عز وجل وذلك لهم بمقادير ومعالم يعلمون تلك الساعة التي يأتون فيها ربهم عز وجل » قال وروى جعفر بن حسن بن فرقد عن أبيه مثله وذكر أبو نعيم أيضا من حديث أبي اسحاق عن الحارث عن علي قال: « اذا سكن أهل الجنة الجنة أتاهم ملك فيقول لهم ان الله تبارك وتعالى يأمركم أن تزوروه فيجتمعون فيأمر الله تبارك وتعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل ثم يوضع مائدة الخلد قالوا يارسول الله وما مائدة الخلد ؟ قال زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب فيقطعهمون ثم يسقون ثم يكسون فيقولون لم يبق الا النظر في وجه ربنا عز وجل فيمتجلي لهم فيخرون سجدا فيقال لهم استم في دار عمل انما أنتم في دار جزاء » وقال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو موسى اسحاق بن ابراهيم الهروي حدثنا القاسم بن يزيد الموصلي قال حدثني أبو الياس قال حدثني محمد ابن علي بن الحسين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو نعيم حدثنا محمد بن علي بن حنبل حدثنا ابراهيم بن شريك حدثنا أحمد بن يونس حدثنا المعافى ابن عمران وكان من خيار الناس قال حدثني ادريس بن سنان عن وهب بن منبه عن محمد بن علي قال ادريس ثم لميت محمد بن علي بن الحسين بن فاطمة حدثني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى لوسخر الجواد الراكب أن يسير في ظلها لسا فيها مائة عام ، ورقها برود خضر ، وزهرها رياض صفر ، وأقامها سندس واستبرق ، وثمرها حلال وصمغها زنجبيل وعسل ، وبطحاؤها ياقوت أحمر وزمرد أخضر ، وترابها مسك وحشيشها زعفران . منيع والا لنجوج يؤججان من غير وقود ويتنجر من أصلها انها بالسلسيل والمين والحق وظلها مجاس من مجالس أهل الجنة يألفونه ومتحدث يجمعهم ، فبينما هم يوما يتحدثون في ظلها اذ جاءتهم الملائكة يقودون نجبا جبلت من الياقوت ثم تنفخ فيها الروح مزومة بسلاسل من ذهب كان وجوها المصابيح فضاة وحسنا ، وبرها خز أحمر ، ومزعزى أبيض مختلطان لم ينظر الناظرون إلى مثلها

عليها رحائل ألواحها من الدر والياقوت منقصة بالؤلؤ والمرجان وصفافها من الذهب الأحمر، ملبسة بالعبقري والارجوان فأناخوا اليهم تلك النجائب ثم قالوا لهم ان ربكم تبارك وتعالى يقرئكم السلام ويستزيروكم لتنظروا اليه وينظر اليكم وتحبوا ويحبكم ويكلمكم وتكلمونه ويزيدكم من سعته وفضله انه ذو رحمة واسعة وفضل عظيم فيتحول كل رجل منهم على راحته ثم انطلقوا صفوا واحدا معتدلا لا يفوق منه شيء شيئا ولا يقرب أذن الناقة أذن صاحبته ولا تركب ناقة بركت صاحبته ولا يمرون بشجر من أشجار الجنة ألا تحفتمهم بشمرها ورحات لهم عن طريقهم، كراهية ان ينشلم صغيرهم أو يفرق بين الرجل ورفيقه، فلما دفعوا الى الجبار تبارك وتعالى أسفر لهم عن وجهه الكريم وتحلى لهم في عظمتها العظيمة فقالوا ربنا أنت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال والاكرام، فقال لهم ربهم تبارك وتعالى اني السلام واني السلام ولي حق الجلال والاكرام مرحبا بعبادي الذين حفظوا وصيتي وراعوا عهدي وخافوني بالغيب وكانوا مني على كل حال مشفقين قالوا وعزتك وجلالت وعلو مكانك ما قدرناك حق قدرك وما أدينا اليك كل حقك فثذن لنا بالسجود لك فقال لهم ربهم تبارك وتعالى اني قد وضعت عنكم مؤنة العبادة وارتحت لكم أبدانكم فلما ما أتعبتم الى الابدان وأعنيتم الى الوجوه فالآن أفضيتكم الى روحي ورحمتي وكرامتي فاستلوني ما شئتم وتمنوا على أعطكم أمانيتكم فاني ان أجزيكم اليوم بقدر أعمالكم ولكن بقدر رحمتي وكرامتي وطول وجلالي وعلو مكاني وعظمتي شائي، فلا يزالون في الاماني والعطايا والمواهب حتى ان المقتصر من أمنيته ليمتنى مثل جميع الدنيا منذ خلقها الله عز وجل إلى يوم أفناها فقال لهم ربهم عز وجل لقد قصرتم في أمانيتكم ورضيتكم بدون ما يحق لكم فقد أوجبت لكم ما سألتهم ونفيتهم وألحقت بكم ذريتهم وزدتكم ما قصرتم عنه أمانيتكم « ولا يصح رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وحسبه ان يكون من كلام محمد بن علي فغاط فيه بعض هؤلاء الضعفاء فجعله من كلام النبي ﷺ وادريس بن سنان هذا هو مخطو وهب بن منبه ضعفه ابن سنان وقال الدار قطنى متروك وأما أبو الياس المتابع له فلا يدرى من هو وأما التماس بن يزيد الموصلى الراوى عنه فيحصل أيضا ومثل هذا لا يصح رفعه إليه أعلم وقال الضعيف في قوله عز وجل (يوم نحشر المتقين الى الرحمن

﴿الباب الثاني والستون﴾

(في ذكر السحاب والمطر الذي يصيبهم في الجنة)

قد تقدم في حديث سوق الجنة انه يغشاهم يوم الزيارة سحابة من فوقهم
فتمطر عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه قط، وقال بقية بن الوليد حدثنا بحير بن
سميد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال: «إن من المزيّد أن تمر السحابة
بأهل الجنة فتقول ماذا تريدون أن أمطر كم؟ فلا يتمنون شيئا إلا أمطروا» وقال
ابن أبي الدنيا حدثني أزهر بن مروان حدثنا عبد الله بن عبد الله الشيباني
عن عبد الرحمن بن بديل عن أبيه عن صفى اليماني قال سأله عبد العزيز بن مروان
عن وفد أهل الجنة قال: «إنهم يقدون إلى الله سبحانه وتعالى كل يوم خميس فتوضع
لهم أسرة، كل انسان منهم أعرف بسريره منك بسريرك هذا الذي أنت عليه
فاذا قعدوا عليه وأخذ القوم مجالسهم قال الله تعالى: اطعموا عبادي وخلقى
وجيراني ووفدى فيطعموا ثم يقول أسقوهم قل فيأتون بآنية من ألوان شتى
مختمة فيشربون منها ثم يقول عبادي وخلقى وجيراني ووفدى قد طعموا
وشربوا فسكرهم فتحجى ثمرات شجر تدلى فيأكلون منها ما شاؤوا ثم يقول
عبادي وخلقى وجيراني ووفدى قد طعموا وشربوا وفسكهاوا افسوهم فتحجى
ثمرات شجر أصفر وأخضر وأحمر وكل لون لم تنبت إلا الحلل فتشرب عليهم حملا
وقصا ثم يقول عبادي وخلقى وجيراني ووفدى قد طعموا وشربوا وفسكهاوا
وكسوا طيبوهم فيتناثر عليهم المسك مثل رذاذ المطر ثم يقول عبادي وجيراني
وخلقى ووفدى قد طعموا وشربوا وفسكهاوا وكسوا وطيبوا لا تحبائهم لهم حتى
ينظروا الى فاذا تحلى لهم فنظروا اليه نظرت وجوههم ثم يقال لهم ارجعوا الى
منازلكم فتقول لهم أزواجهم خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على
غيرها فيقولون ذلك ان الله جل ثناؤه تحلى نما فنظرنا اليه فنضرت وجوهنا»
وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا اسماعيل بن عياش قال حدثني ثعلبة بن مسلم عن
أيوب بن بشير العجلي عن شفى بن مانع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
: «إن من نعم أهل الجنة أنهم يتزاوون على المطايا والنجب وإنهم يؤتون في الجنة
بخل مسرجة ما حجة لا تروث ولا تبول يركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله
فيأتيهم مثل السحابة فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت فيقولون امطري علينا

(١٣ - م - حادى الارواح)

فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانهم، ثم يبعث الله ريحا غير مؤذية فتدسف كسباناً من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم فيأخذون ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي مفارقها وفي رؤوسهم ولكل رجل منهم حمة على ما اشتبهت نفسه فيتعلق ذلك المسك في تلك الحمام وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب ثم يقبلون حتى ينتهوا إلي ما شاء الله فاذا المرأة تنادى بعض أولئك يا عبد الله أملك فينا من حاجة؟ فيقول ما أنت ومن أنت؟ فتقول أنا زوجتك وحبك فيقول ما كنت علمت بمكانك، فتقول المرأة أو ما تعلم أن الله تعالى قال (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) فيقول بلى وربى فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفاً ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم

(فصل)

وقد جعل الله سبحانه وتعالى السحاب وما يطره سبباً للرحمة والحياة في هذه الدار ويجمع له سبباً لحياة الخلق في قبورهم حيث يطر على الأرض أربعين صباحاً مطراً متداركاً من تحت العرش فينبئون تحت الأرض كنبات الزرع ويبعثون يوم القيامة والسماء تطش عليهم وكأنه والله أعلم أثر ذلك المطر العظيم كما يكون في الدنيا ويثير لهم سحاباً في الجنة يطرهم ما شاءوا من طيب وغيره، وكذلك أهل النار ينشئ لهم سحاباً يطر عليهم عذاباً إلى عذابهم كما أنشأ لقوم هود وقوم شعيب سحاباً أمطر عليهم عذاباً أهلهم بهم فهو سبحانه ينشئه للرحمة والعذاب

❦ الباب الثالث والستون ❦

(في ذكر ملك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها)

قال تعالى (وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكا كبيرا) قال ابن أبي نعيم عن مجاهد « ملكا كبيرا قال عطيما وقال استئذان الملائكة عليهم لا تدخل الملائكة عليهم إلا بأذن وقال كعب في قوله تعالى: « وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكا كبيرا » يرسل إليهم ربهم الملائكة فتأتى الملائكة فتستأذن عليهم الملائكة » وقال بعضهم الخدم ولا يدخل عليهم الملائكة إلا بأذن، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أنه ذكر مراب أهل الجنة ثم تلا وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكا كبيرا. وقال ابن أبي الحواري سمعت أبا ساجان يقول في قوله عز وجل: « وإذا رأيت

ثم رأيت نعيما ومليكا كبيرا قال الملك الكبير أن رسول الله يأتيه بالتحفة والالطف فلا يصل اليه حتى يستأذن له عليه فيقول للحاجب استأذن على ولى الله فاني لست أصل اليه ، فيعلم ذلك الحاجب حاجبا آخر وحاجبا بعد حاجب، ومن داره إلى دار السلام باب يدخل منه على ربه إذا شاء بلا إذن، فالملك الكبير أن رسول رب العزة لا يدخل عليه الا باذن وهو يدخل على ربه بلا إذن. وقال ابن أبي الدنيا حدثنا صالح بن مالك حدثنا صالح المري حدثنا يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك يرفعه: «إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم» حدثنا محمد بن عباد بن موسى أنبأنا زيد بن الحباب عن أبي هلال الراسي أنبأنا الحجاج بن عتاب العبدى عن عبد الله بن معبد الزماني عن أبي هريرة قال «إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنىء من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم ليس منهم خادم الا ومعه طرفة ليست مع صاحبه» وحدثني محمد بن عباد حدثنا زيد بن الحباب عن أبي هلال حدثنا حميد بن هلال : « قال ما من رجل من أهل الجنة الا وله ألف خازن ليس منهم خازن الاعلى عمل ليس عليه صاحبه » وحدثني هارون بن سفيان أنبأنا محمد ابن عمر أنبأنا الفضل بن فضالة عن زهرة بن معبد عن أبي عبد الرحمن الحبلى قال : « ان العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ » حدثني هارون بن سفيان حدثنا محمد بن عمر أنبأنا محمد بن هلال عن أبيه عن أبي هريرة قال : « ان أدنى أهل الجنة منزلة وما فيهم دنىء لمن يغدو عليه عشرة آلاف خادم مع كل خادم طرفة ليست مع صاحبه » وقال عبد الله ابن المبارك حدثنا يحيى بن أيوب حدثني عبد الله بن رجز عن محمد بن أبي أيوب الخزومي عن أبي عبد الرحمن المغافري قال : « انه ليصف للرجل من أهل الجنة سمطان لا يرى طرفهما من غله انه حتى اذا مر مشوا وراءه » وقال أبو خيثمة حدثنا الحسن ابن موسى حدثنا ابن طهيمه حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد كما بين الجابية وصنعاء » وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا بقية بن الوليد حدثني أرطاة بن المنذر قال سمعت رجلا من مشيخة الجند يقال له أبو الحجاج قال جلست

إلى أبي أمامة فقال: «إن المؤمن يكون متكئا على أريكته إذا دخل الجنة وعنده
سماطان من الخدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة
الله عز وجل ليستأذن فيقوم أدنى الخدم إلى الباب فإذا هو بالملك يستأذن
فيقول للذي يليه ملك يستأذن ويقول للذي يليه ملك يستأذن حتى يبلغ
المؤمن فيقول أئذنوا له فيقول أقربهم إلى المؤمن أئذنوا له ويقول الذي يليه
للذي يليه أئذنوا له كذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل
فيسلم ثم ينصرف» وقول ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن الحسن حدثنا قبيصة حدثنا
سليمان العنبري عن الضحاك بن مزاحم قال: «بينما ولي الله في منزله إذ أتاه رسول
من الله عز وجل فقال للأذن استأذن لرسول الله على ولي الله فيدخل الأذن
فيقول له يا ولي الله هذا رسول من الله يستأذن عليك قال أئذن له فيأذن له
فيدخل على ولي الله فيضع ما بين يديه تحفة فيقول يا ولي الله إن ربك يقرأ عليك
السلام ويأمرك أن تأكل من هذه قال فيشبهه بطعام أكله أيضا فيقول انما أكلت
هذا الآن فيقول ان ربك يأمرك أن تأكل منها فيأكل منها فيجد منها طعام
كل ثمرة في الجنة قال فذلك قوله تعالى (وأتوا به متشابهاً) وفي صحيح مسلم
من حديث المغيرة بن شعبه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سأل موسى ربه
ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال هو رجل يحبىء بعد ما أدخل أهل الجنة
الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول أى رب كيف وقد نزل الناس منازلهم
وأخذوا أخذاتهم فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟
فيقول رضيت ربى فيقول له لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في
الخامسة رضيت ربى فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتئت نفسك ولدت
عينك فيقول رضيت ربى» وذكر الحديث وقد تقدم ذكره بتمامه (وقال البزار)
في مسنده حدثنا محمد بن المنثري حدثنا المغيرة بن سلامة حدثنا وهيب عن الحريري
عن أبي بصرة عن أبي سعيد قال: «خلق الله الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب
وغرسها بيده وقال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون فدخلتها الملائكة
فقال طوبى لك منزل الملوك» هكذا رواه وهيب عن الحريري موقوفا ورواه
عدي بن الفضل عن الحريري فرفعه وقال البزار ولا نعلم أحدا رفعه إلا عدي
ابن الفضل بهذا الاسناد وعدي بن الفضل ليس بالحافظ وهو شيخ بصري

قلت عدى ابن الفضل هذا انفرد به ابن ماجه وقد ضعفه يحيى بن معين وأبو حاتم والحديث صحيح موقوف والله أعلم وقد تقدم ذكر التمييز على رؤوسهم وإنما يلبسها الملوك

— الباب الرابع والستون —

(في ان الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال وان موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها)

قل تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذى أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم حين يقوموا إلى صلاة الليل بقرة الاعين فى الجنة (وفى الصحيحين) من حديث أبى هريرة قل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « قل الله عز وجل أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر مصداق ذلك فى كتاب الله (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) » وفى لفظ آخر فيهما « يقول الله عز وجل أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخراً بلهما أطاعتكم عليه ثم قرأ فلا تعلم نفس الآية » وفى بعض طرق البخارى « قال أبو هريرة: اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » وفى صحيح مسلم من حديث سهل بن سعد الساعدي قال: « شهدت مع النبي صلى الله عليه وسلم مجلساً وصف فيه الجنة حتى انتهى ثم قال فى آخر حديثه فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قرأ هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) » وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة قل قال رسول الله ﷺ: « لقاب قوس أحدكم فى الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب » وقد تقدم حديث أبى أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم: « ألا مشعر للجنة أن لا خطر لها هي ورب السكبة نور يتلأل ويحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلال كثيرة ومقام فى أبد فى دار سليمة وفاكية وخضرة وحبرة ونعمة ومهابة عذبة بهية) ولو لم يكن من خطر الجنة وشرفها الا انه لا يسأل برحمة الله خير

شرفاً وفضلاً كما في سنن أبي داود من محمد حديث سليمان بن معاذ عن بن المنكدر
 عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يسأل بوجه الله
 الجنة» وفي معجم الطبراني من حديث بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن
 عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما خاق الله الجنة
 عدن خلق فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال
 لها تكلمي فتالت قد أفلح المؤمنون» وفي صحيح البخارى من حديث سهل
 ابن سعد قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول موضع سوط في الجنة
 خير من الدنيا وما فيها» (وقال الامام أحمد) حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر
 عن همام عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقيد سوط أحدكم
 من الجنة خير مما بين السماء والأرض» وهذا الاسناد على شرط الصحيحين
 وقال الترمذى حدثنا سويد بن نصر حدثنا ابن المبارك أنبأنا ابن لهيعة
 عن يزيد بن أبي حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه
 عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو أن أقل ظفر مما في الجنة
 بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض، ولو أن رجلاً من أهل
 الجنة اطالع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء الكواكب»
 قال الترمذى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه بهذا الاسناد الا من حديث ابن
 لهيعة وقد روى يحيى بن أيوب هذا الحديث عن يزيد بن أبي حبيب وقال عن
 عمر بن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت وقد رواه ابن وهب
 أنبأنا عمرو يعنى ابن الحارث ان سليمان بن حميد حدثه ان عامر بن سعد بن
 أبي وقاص قال سليمان لا أعلم الا أنه حدثني عن أبيه عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم انه قال: «لو أن أقل ظفر من الجنة برز للدنيا لتزخرفت له ما بين
 السماء والأرض» وفي الباب عن أنس بن مالك وأبي سعيد الخدرى وعبد الله
 ابن عمرو بن العاص «وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقراً
 لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالقور العظيم
 وملأكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بمخذا فيره، وطهرها من كل عيب
 وآفة ونقص، فان سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران، وان سألت
 عن سقفها فهو عرش الرحمن، وان سألت عن بلاطها فهو المسك الازفر،

وان سألت عن حصباؤها فهو اللؤلؤ والجوهر . وان سألت عن
بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب . وان سألت عن أشجارها فما فيها
شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة لا من الحطب والخشب . وإن سألت
عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل . وان سألت عن ورقها
فاحسن ما يكون من رقائق الخلل . وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير
طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى . وإن سألت عن طعامهم
ففاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون . وان سألت عن شرابهم فالتسليم
والنخبيل والكافور . وان سألت عن آنيةهم فآنية الذهب والفضة في صفاء
القوارير . وان سألت عن سعة أبوابها فبين المصريين مسيرة أربعين من
الاعوام ، وليأتين عليه يوم وهو كظيم من الزحام ، وان سألت عن تصفيق الرياح
لأشجارها فأنها تستفز بالطرب لمن يسمعها . وان سألت عن ظلها ففيها شجرة
واحدة يسير الراكب المجد السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها ، وان سألت عن سمعتها
فأدى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام ، وان
سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلا
من تلك الخيام . وان سألت عن علائها وجواسقها فهي غرف من فوقها غرف
مبنية تجري من تحتها الأنهار . وان سألت عن ارتفاعها فانظر الى الكوكب
الطالع أو الغارب في الافق الذي لا تكاد تناله الابصار . وإن سألت عن لباس أهلها
فهو الحرير والذهب ، وان سألت عن فرشها فبطائنها من استبرق مفروشة في أعلى
الرتب ، وإن سألت عن أرائكها فهي الاسرة عليها البشخانات وهي الحجال مزودة
بازرار الذهب . فما لها من فروج ولا خلال . وان سألت عن وحوه أهلها وحسنهم
فعلى صورة القمر . وان سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم
عليه السلام أبى البشر * . وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين
وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين . وأعلى منهما خطاب رب العالمين .
وان سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها فنجائب إن شاء الله مما شاء تسير
بهم حيث شاؤا من الجنان . وان سألت عن حلیمهم وشارتهم فساور الذهب
واللؤلؤ على الرأس ملابس التيجان * . وإن سألت عن غلامهم فولدان مخلصون
كأنهم لؤلؤ مكنون . وإن سألت عن عرائسهم فزواجهم فهن الكواعب الاتراب

اللاتى جرى فى أعضائهن ماء الشباب فللورد والتفاح ما لبسته الخدود. وللرمان
ما تضمنته النهود. وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور. وللرقة واللطافة ما دارت عليه
الخصور ، تجرى الشمس من محاسن وجهها إذا برزت ، ويضىء البرق من بين ثناياها
إذا ابتسمت. إذا قابلت حبها فقل ما تشاء فى تقابل النيرين ، وإذا حدثته فما ظنك بمحادثة
الحبين. وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق العصنين ، يرى وجهه فى صحن خدها كما يرى فى
المرآة التى جالها صيقلها ، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا
عظمها ولا حلقها. لو اطلمت على الدنيا ملأت ما بين الأرض والسماء ريحاً ، ولا استنطقت
أفواه الخلائق تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً ، ولتخرق لها ما بين الخاققين ، ولا غمضت عن
غيرها كل عين ، ولو لمست ضوء الشمس كما تلمس الشمس ضوء النجوم ، ولا آمن
من على ظهرها بالله الحى القيوم. ونصفية على رأسها خير من الدنيا وما فيها ،
ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيتها ، لا تزداد على طول الاحقاب الاحسنا
وجالاً ، ولا يزداد لها طول المدى المحبة ووصالاً ، مبرأة من الحبل والولادة
والحيض والنفاس ، مطهرة من الخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الادناس ،
لا ينفى شبابها. ولا تملى ثيابها. ولا يخلق ثوب جمالها. ولا يعمل طيب
وصالها. قد قصرت طرفها على زوجها فلا تطمح لاحد سواه. وقصر طرفه عماها
فهى غاية أمنيته وهواه. ان نظر اليها سرته. وان أمرها بطاعته اطاعته. وان
غاب عنها حفظته. فهو معها فى غاية الأمانى والأمان. هذا ولم يطمعها قبله
انس ولا جان. كلما نظر اليها ملأت قلبه سرورا. وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤا
منظوما ومنثورا. وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورا * وان سألت عن
السن فاقتراب فى أعدل سن الشباب. وان سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس
والقمر. وان سألت عن الحديق فأحسن سواد فى أصفى بياض فى أحسن حور.
وان سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الاغصان. وان سألت عن النهود
فهن الكواعب نهودهن كألف الرمان. وان سألت عن اللون فكأنه الياقوت
 والمرجان * وان سألت عن حسن الخلق فهن الخيرات الحسان * اللاتى جمع لهن
بين الحسن والاحسان * فاعطين جمال الباطن والظاهر * فهن أفراح النفوس
وقرة النواظر * وان سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العرب
المتحبيبات إلى الأزواج بلطافة التبعيل التى تمتزج بالروح أى امتزاج. فما ظنك

بامرأة إذا ضحك في وجه زوجها أضاعت الجنة من ضحكها. وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قات هذه الشمس متنقلة في بروج فللكها. وإذا حاضرت زوجها في أحسن تلك المحاضرة * وان خاضرته في الذة تلك المعانقة والمخاضرة

وحديثها العجر الحلال لو انه لم يحسن قتل المسلم المتحرز ان ذال لم يعمل وان هي حدثت ود الحديث انها لم توجز وان غنت في الذة الابصار والاسماع . وان آنت وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والامتع . وان قبلت فلا شيء أشهى اليه من ذلك التقبيل . وان فولت فلا ألد ولا أطيب من ذلك التنبيل * هذا وان سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه . كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه . وذلك موجود في الصباح والسنن والمسائيد . من رواية جرير وصهيب وأنس وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد . فاستمع يوم ينادى المنادى يا أهل الجنة ان ربكم تبارك وتعالى يستزركم خي على زيارته فيقولون سمعاً وطاعة. وينهضون إلى الزيارة مبادرين. فاذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورهم أسرعين حتى إذا انتهوا إلى الوادي الافيح الذي جعل لهم موعداً . وجمعوا هناك فلم يغادر الداعي منهم أحداً . أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك ثم نصبت لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة . وجلس أذنانهم وحاشاهم أن يكون فيهم ذنئ على كتمان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم. نادى المنادى يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه. فيقولون ما هو؟ ألم ببئس وجوهنا وبئس مواريننا . ويدخاننا الجنة ويزحزحنا عن النار. فبيناهم كذلك اذ سطع لهم نور أشرفت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فأذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم وقال يا أهل الجنة سلام عليكم فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركن يا ذا الجلال والاكرام فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك اليهم ويقول يا أهل الجنة فيكون أول ما يسمعون منه تعالى أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني فهذا يوم المزيد فيجتمعون على كلمة واحدة أن قد رضينا

فارض عنا ، فيقول يا أهل الجنة انى لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتى . هذا يوم
المزید فاسألونى . فيجتمعون على كلمة واحدة أرنا وجهك فنظر اليه . فيكشف لهم
الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا ان الله تعالى
قضى أن لا يحترقوا لا حترقوا . ولا يبقى في ذلك المحاس أحد الا حاضره ربه تعالى
محاضرة حتى انه ليقول يا فلان أتذكر يوم فعات كذا وكذا يذكره ببعض
غدراته فى الدنيا . فيقول يا رب ألم تغفر لى ؟ فيقول لى بمغفرتى بلغت منزلتك هذه
فيالذلة الاسماع بتلك المحاضرة وياقرة عيون الابرار بالنظر إلى وجه الكريم فى
الدار الآخرة ، وباذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة . « وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها
ناظرة ، ووجوه يومئذ باسرة . تظن أن يفعل بها فاقرة »

فحى على جنات عدن فانها منازل الأولى وفيها الخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم

❦ الباب الخامس والستون ❦

(فى رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة كما يرى القمر ليلة البدر وتجليه
لهم ضاحكا اليهم)

هذا الباب أشرف أبواب الكتب وأجلها قدرا وأعلاها خطراً وأقرها لعيون
أهل السنة والجماعة وأشدّها على أهل البدعة والضلالة وهى الغاية التى شمر اليها
المشغرون وتنافس فيها المتنافسون . وتسابق اليها المتسابقون . ولمثلها فليعمل
العاملون . اذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم * وحرمانه والحجاب عنه
لاهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم * اتفق عليها الأنبياء والمرسلون .
وجميع الصحابة والتابعون . وأئمة الاسلام على تتابع القرون . وأنكرها أهل البدع
المارقون . والجهمية المتهوكون . والفرعونية المعطلون . والباطنية الذين هم من جميع
الاديان منسلخون . والرافضة الذين هم بمحبائل الشيطان متمسكون . ومن حبل
الله منقطعون وعلى مسببة أصحاب رسول الله ما كفون . وللسنة وأهلها محاربون
ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون . وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن
بابه مطرودون . أولئك احزاب الضلال وشيعة اللعين . وأعداء الرسول وحزبه
وقد أخبر الله سبحانه عن أعلم الخلق به فى زمانه . وهو كليمه ونجييه وصفيه من

أهل الأرض أنه سأل ربه تعالى النظر اليه فقال له ربه تبارك وتعالى: «لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما نحلى ربه للجبل جعله دكا» وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة (أحدها) أنه لا يظن بكلام الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال وهو عند فروخ اليونان والصابئة والفرعونية بمنزلة أن يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه فيما لله العجب كيف صار اتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الاصنام وفروخ الجهمية والفرعونية أعلم بالله تعالى من موسى بن عمران. وبما يستحيل عليه ويحجب له وأشد تنزيها له منه؟! (الوجه الثاني) أن الله سبحانه وتعالى لم ينسكرك عليه سؤاله ولو كان محالا لانكره عليه. ولهذا لما سأل ابراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيى الموتى لم ينسكرك عليه. ولما سأل عيسى بن مريم ربه انزال المائدة من السماء لم ينسكرك سؤاله. ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال «انى أعظك أن تكون من الجاهلين». قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين» (الوجه الثالث) أنه أجابه بقوله لن ترانى ولم يقل لا ترانى ولا انى لست بمرئى ولا تجوز رؤيتى والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله. وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يرى ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته فى هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى (يوضحه الوجه الرابع) وهو قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فأعلمه ان الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له فى هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذى خلق من ضعف (الوجه الخامس) ان الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقراً مكانه وليس هذا بمتع فى مقدوره بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ولو كانت محالا فى ذاتها لم يعلقها بالممكن فى ذاته ولو كانت الرؤية محالا لكان ذلك فظاير ان يقول ان استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام فالأمران عندكم سواء (الوجه السادس) قوله سبحانه وتعالى فلما نحلى ربه للجبل جعله دكا وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى فانه اذا جاز ان يتجلى للجبل الذى هو حماد لا ثواب له ولا عقاب فكيف يتمتع أن يتجلى لانبياؤه ورسوله واوليائه فى دار كرامته ويرىهم نفسه؟ فأعلم سبحانه

وتعالى موسى أن الجبل اذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف (الوجه السابع) أن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه اليه وخاطبه وناجاه وناداه ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ولهذا لا يتم انكار الرؤية إلا بانكار التكليم وقد جمعت هذه الطوائف بين انكار الامرين فانكروا أن يكلم أحدا أو يراه أحد ولهذا سأله موسى النظر اليه لما أستمعه كلامه وعلم نبي الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه فلم يخبره باستحالة ذلك عليه ولكن أراه أن ما سأله لا يقدر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه. وأما قوله تعالى «لن تراني» فانما يدل على النفي في المستقبل ولا يدل على دوام النفي ولو قيدت بالتأبيد فكيف اذا أطلقت قال تعالى «ولن يتمنوه أبدا» مع قوله تعالى «وزادوا يامالك ليقض علينا ربك» .

(فصل)

الدليل الثانی قوله تعالى: «وانقوا الله واعلموا انكم ملاقوه» وقوله تعالى «تحيةهم يوم يلقونه سلام» وقوله تعالى «فن كان يرجو لقاء ربه» وقوله تعالى «قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله» وأجمع أهل اللسان على ان اللقاء متى نسب إلى الحى السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية ولا ينتقض هذا بقوله تعالى (فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه) فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على ان المنافقين يرونه تعالى فى عرصات القيامة بل والكفار أيضا كما فى الصحيحين من حديث التجلى يوم القيامة وسيمر بك عن قريب ان شاء الله تعالى (وفى هذه المسألة) ثلاثة أقوال لاهل السنة (أحدها) أن لا يراه الا المؤمنون (والثانى) يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك (والثالث) يراه المنافقون دون الكفار . والاقوال الثلاثة فى مذهب أحمد وهى لأصحابه وكذلك الاقوال الثلاثة بعينها لهم فى تكليمه لهم ولشيخنا فى ذلك مصنف مفرد وسكى فيه الاقوال الثلاثة وحجج أصحابها وكذا قوله سبحانه وتعالى: «يا أيها الانسان انك كادح إلى ربك كددا فإلقه» ان ماد الضمير على العمل فهو رؤيته فى الكتاب مسطورا مثبتا . وان عاد على الرب سبحانه وتعالى فهو لقاءه الذى وعده به

الدليل الثالث قوله تعالى (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجهه الكريم كذلك فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه القرآن فالصحابية من بعده كما روى مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال: «قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو؟ ألم ينقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار!! فيكشف الحجاب فينظرون الله فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة » وقال الحسن بن عرفة حدثنا مسلم بن سالم البلخي عن نوح بن أبي مريم عن ثابت عن أنس قال «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة والزيادة وهي النظر إلى وجهه الله (وقل) محمد بن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء بن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال الزيادة النظر إلى وجه الرحمن جل جلاله فأت عطاء هذا هو الخراساني وليس عطاء بن أبي رباح قال ابن جرير وحدثنا ابن عبد الرحيم حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال سمعت زهيراً وقال يعقوب بن سفيان حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا زهير بن محمد قال حدثني من سمع أبا العالية الرياحي يحدث عن أبي بن كعب قال: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزيادة في كتاب الله عز وجل قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجهه الله عز وجل » وقال أسد السنة: حدثنا قيس بن الربيع عن ابن عباس عن أبي تيممة الهيجمي أنه سمع أبا موسى يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يبعث الله عز وجل يوم القيامة منادياً نادى يا أهل الجنة بصوت يسمع أولهم وآخرهم إن الله وعدهم الحسنى والحسنى الجنة

والزيادة النظر الى وجه الله عز وجل» وقال ابن وهب أخبرني شبيب عن أبان عن ابن تيمية الهجيمي أنه سمع أبا موسى الأشعري يحدث عن رسول الله ﷺ «إن الله عز وجل يأمر يوم القيامة مناديا بنادي يا أهل الجنة بصوت يسمع أولهم وآخرهم أن الله وعدكم الحسنى وزيادة، الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الرحمن»

(وأما الصحابة) فقال ابن جرير حدثنا ابن يسار حدثنا عبد الرحمن هو ابن مهدي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قل النظر إلى وجه الله الكريم. وبهذا الاسناد عن أبي إسحاق عن مسلم بن يزيد عن حذيفة (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال النظر إلى وجه ربهم تعالى. وحدثنا علي بن عيسى حدثنا شبابة حدثنا أبو بكر الهذلي قال سمعت أبا تيمية الهجيمي يحدث عن أبي موسى الأشعري قال: «إذا كان يوم القيامة يبعث الله تعالى إلى أهل الجنة مناديا بنادي هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ فينظرون إلى ما أعد الله لهم من السكرات فيقولون نعم. فيقول للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر إلى وجه الرحمن عز وجل. وقل عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي أنبأنا أبو تيمية قال سمعت أبا موسى الأشعري يخطب الناس في جامع البصرة ويقول: إن الله يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل الجنة فيقول يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدكم فينظرون فيزون الحلى والحلل والأنهار والأزواج المطهرة فيقولون نعم قد أنجزنا الله ما وعدنا ثم يقول الملك هل أنجزكم الله ما وعدكم ثلاث مرات فلا ينفقون شيئا مما وعدوا فيقولون نعم فيقول قد بقي لكم شيء أن الله عز وجل يقول (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ألا إن الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى. (وفي تفسير) أسباط بن نصر عن إسماعيل السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة قال أما الحسنى فالجنة وأما الزيادة فالنظر إلى وجه الله وأما القتر فأسواد (وقل) عبد الرحمن بن أبي ليلى وطاهر بن سعد وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي والضحاك بن مزاحم وعبد الرحمن بن سابط وأبو إسحاق السبيعي وقتادة وسعيد بن المسيب والحسن البصري وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد بن جبر: الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى، وقال غير واحد من السلف في الآية «ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة» بعد النظر إليه والأحاديث

عنهم بذلك صحيحة ولما عطف سبحانه الزيادة على الحسنى اتى هي الجنة دل على أنها أمر آخر وراء الجنة وقدر زائد عليها ومن فسر الزيادة بالمغفرة والرضوان فهو من لوازم رؤية الرب تبارك وتعالى

﴿فصل﴾

(الدليل الرابع) قوله تعالى: «كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون» ووجه الاستدلال بها انه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته واستماع كلامه فلم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضا محجوبين عنه وقد احتج بهذه الحجة الشافعي نفسه وغيره من الأئمة فذكر الطبراني وغيره عن المزني قل سمعت الشافعي يقول في قوله عز وجل: «كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون» فيها دليل على ان أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة (وقال الحاكم) حدثنا الأصم أنبأنا الربيع بن سليمان قال حضرت محمد بن ادریس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها ما تقول في قول الله عز وجل «كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون» فقال الشافعي لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على ان أولياءه يرونه في الرضى قال الربيع فقلت يا أبا عبد الله وبه تقول؟ قال نعم وبه أدبني الله، ولو لم يوقن محمد بن ادریس انه يرى الله لما عبد الله عز وجل ورواه الطبراني في شرح السنة من طريق الأصم أيضا وقال أبو زرعة الرازي سمعت أحمد بن محمد بن الحسين يقول سئل محمد بن عبد الله ابن الحسك هل يرى الخلق كلهم ربهم يوم القيامة المؤمنون والكفار؟ فقال محمد ابن عبد الله ليس يراه الا المؤمنون قال محمد وسئل الشافعي عن الرؤية فقال يقول الله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ففي هذا دليل على ان المؤمنين لا يحجبون عن الله عز وجل

﴿فصل﴾

(الدليل الخامس) قوله عز وجل: «لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد» دل الطبراني قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك هو النظر إلى وجه الله عز وجل وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره

(فصل)

(الدليل السادس) قوله عز وجل: «لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار»

والاستدلال بهذا أعجب فانه من أدلة النفاذ وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه وقال لى أنا ألتزم انه لا يحتج مبطل بأية أو حديث صحيح على باطله الا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله فمنها هذه الآية وهى على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها . فان الله سبحانه انما ذكرها فى سياق التمدح ومعلوم أن المدح انما يكون بالاوصاف الثبوتية وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يمدح به وانما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم اذا تضمن أمرا وجوديا كتمدحه بنفى السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ونفى الموت المتضمن كمال الحياة ونفى اللغوب والاعياء المتضمن كمال القدرة ونفى الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته والهيته وقهره . ونفى الاكل والشرب المتضمن كمال الصمدية وغناه ، ونفى الشفاعة عنده بدون اذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه . ونفى الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه . ونفى النسيان وعزوب شىء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته . ونفى المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمرا ثبوتيا فان المعدوم يشارك الموصوف فى ذلك العدم ولا يوصف الكمال بامر يشترك هو والمعدوم فيه . فلو كان المراد بقوله «لا تدركه الابصار» انه لا يرى بحال لم يكن فى ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له فى ذلك فان العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الابصار والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض فاذا المعنى انه يرى ولا يدرك ولا يحاط به كما كان المعنى فى قوله «وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة» انه يعلم كل شىء . وفى قوله «وما مسنا من لغوب» انه كمال القدرة وفى قوله «ولا يظلم ربك أحدا» انه كمال العدل وفى قوله «لا تأخذه سنة ولا نوم» انه كمال القيومية فقوله «لا تدركه الابصار» يدل على غاية عظمته وانه أكبر من كل شىء وانه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به فان الادراك هو الاحاطة بالشىء وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى «فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قل كلا» فلم ينف موسى الرؤية ولم يريدوا بقولهم (انا لمدركون) انا لمرئيون فان موسى صلوات الله وسلامه عليه نفى ادراكهم اياهم بقوله كلا وأخبر الله سبحانه انه لا يخاف دركهم بقوله (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم داريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى) فالرؤية والادراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه فالرب تعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به وهكذا هو الذى فهمه الصحابة والائمة من

الآية قال ابن عباس: لا تدركه الابصار، لا تحيط به الابصار قال قتادة هو أعظم من أن تدركه الابصار وقال عطية ينظرون الى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمتهم وبصره يحيط بهم فذلك قوله تعالى (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) فالؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عيانا ولا تدركه أبصارهم بمعنى انها لا تحيط به اذ كان غير جائز ان يوصف الله عز وجل بأن شيئا يحيط به وهو بكل شيء محيط وهكذا يسمع كلام من يشاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه وهكذا يعلم الخلق ما علمهم ولا يحيطون بعلمه (ونظير هذا) استدلالهم على نفى الصفات بقوله تعالى (ليس كمثله شيء) وهذا من أعظم الأدلة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله وانها أكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها والا فلو أريد بها نفى الصفات لكان العدم المحض أولى بهذا المدح منه مع أن جميع العقلاء انما يفهمون من قول القائل فلان لا مثل له وليس له نظير ولا شبيه ولا مثل، أنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها وكلما كثرت أوصافه ونعوته فأت أمثاله وبعد عن مشابهة أضرابه، فقوله ليس كمثله شيء من أدل شيء على كثرة نعوته وصفاته وقوله لا تدركه الابصار من أدل شيء على انه يرى ولا يدرك وقوله (هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) من أدل شيء على مباينة الرب لخلقهم فانه لم يخلقهم في ذاته بل خلقهم خارجا عن ذاته، ثم بان عنهم باستوائه على عرشه وهو يعلم ما هم عليه فيراهم وينفذهم بصره، ويحيط بهم علما وقدره وإرادة وسمعا وبصرا، فهذا معنى كونه سبحانه معهم أينما كانوا وتأمل حسن هذه المقابلة لفظاً ومعنى بين قوله «لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار» فانه سبحانه لعظمته يتعالى أب تدركه الابصار وتحيط به، وللطنة وخبرته يدرك الابصار فلا تخفى عليه فهو العظيم في لطنة، اللطيف في عظمتهم، العالى في قربهم القريب في علوه، الذى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير

(فصل)

(الدليل السابع) قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وانت، إذا

أجرت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراد منها وجدتها منادية نداء صريحا أن الله سبحانه يرى عياناً بالابصار يوم القيامة، وإن آيت الانحرافها الذي يسميه المحرفون تأويلاً فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك ولا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول مثل هذه النصوص، وهذا الذي أفسد الدين والدنيا، وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بإداة إلى الصريحة في نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه الممدى إلى خلاف حقيقته، وموضوعه صريح في أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الرب جل جلاله فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه، فإن عدى بنفسه فعناه التوقف والانتظار كقوله (انظرونا نقتبس من نوركم) وإن عدى بفي فعناه التفكير والاعتبار كقوله (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض) وإن عدى بالي فعناه المعاينة بالأبصار كقوله (انظروا إلى ثمره إذا أثمر) فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر؟! قال يزيد بن هارون أنبأنا مبارك عن الحسن قال نظرت إلى ربها تبارك وتعالى فنظرت بنوره، فاسمع الآن أيها السني تفسير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين وأئمة الإسلام لهذه الآية (قال ابن مردويه) في تفسيره حدثنا إبراهيم عن محمد حدثنا صالح بن أحمد حدثنا يزيد بن الهيثم حدثنا محمد ابن الصباح حدثنا المصعب بن المقدام حدثنا سفيان عن ثوير بن أبي ناجة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) قال من البهاء والحسن، إلى ربها ناظرة قال في وجه الله عز وجل، وقال أبو صالح عن ابن عباس إلى ربها ناظرة قال: تنظر إلى وجه ربها عز وجل، وقال عكرمة وجوه يومئذ ناضرة قال من التعميم إلى ربها ناظرة قال تنظر إلى ربها نظراً، ثم حكى عن ابن عباس مثله وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث.

﴿فصل﴾

وأما الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الدالة على الرؤية فتواترة رواها عنه أبو بكر الصديق وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وجابر ابن عبد الله البجلي وصهيب بن سنان الرومي وعبد الله بن مسعود الهذلي وعلي بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري وعدى بن حاتم الطائي وأنس بن مالك الانصاري وبريدة بن الحصيب الأسلمي وأبو رزين العقيلي، وجابر بن عبد الله الانصاري، وأبو أمامة الباهلي، وزيد بن ثابت، وعمار بن ياسر وعائشة أم المؤمنين وعبد الله بن عمر وعمار بن ربيعة، وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليان، وعبد الله ابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص، وحديثه موقوف، وأبي بن كعب، وكعب ابن عجرة وفضالة بن عبيد وحديثه موقوف، ورجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم غير مسمى * فهناك سياق أحاديثهم من الصحاح والمسانيد والسنن وتلقاها بالقبول والتسليم وانشرح الصدر لا بالتحريف والتبديل وضيق العطن ولا تكذب بها فمن كذب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين، وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين

(فصل)

فأما حديث أبي بكر الصديق رضى الله عنه فقال الأئمة أحمد حدثنا إبراهيم ابن اسحاق الطالقاني قال حدثني النضر بن شميل المازني قال حدثني أبو نعمة قال حدثني أبو حميدة البراء بن نوفل عن دالان العدوي عن حذيفة عن أبي بكر الصديق قال: «أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فضلى الغداة فجلس حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الأخيرة، ثم قام إلى أهله فقال الناس لأبي بكر ألا تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنه؟ صنع اليوم شيئاً لم يصنعه قط؟ قال فسأله فقال نعم عرض على ما هو كائن من أمر الدنيا والآخرة فجمع الأولون والآخرون في صعيد واحد فقطع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم صلى الله عليه وسلم والعرق يكاد يلجمهم فقالوا يا آدم انت أبو البشر وانت اصطفاك الله عز وجل أشفع لنا إلى ربك، قال لقد لقيت مثل الذي لقيتم انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم إلى نوح (ان الله

اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) قل فيمنطلقون الى
نوح صلى الله عليه وسلم فيقولون اشفع لنا الى ربك فانت اصطفاك الله واستجاب
لك في دعائك ولم يدع على الارض من الكافرين ديارا فيقول ليس ذلكم عندي
انطلقوا الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فان الله اتخذ خيلا فيمنطلقون الى ابراهيم
فيقول ليس ذلكم عندي انطلقوا الى موسى صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل
كلمه تكليما فيقول موسى صلى الله عليه وسلم ليس ذلك عندي انطلقوا الى عيسى
ابن مريم صلى الله عليه وسلم فانه كان يبرىء الالهة والابرص ويحيى الموتى فيقول
عيسى ليس ذلكم عندي انطلقوا الى سيد ولد آدم انطلقوا الى محمد صلى الله عليه
وسلم فليشفع لكم الى ربكم عز وجل قال فينطلق فيأتي جبريل ربه تبارك وتعالى
فيقول له الله عز وجل ائذن له وبشره بالجنة فينطلق به جبريل صلى الله عليه
وسلم فيعثر ساجدا بقدر جمعة ويقول الله عز وجل ارفع رأسك وقل تسمع
واشفع تشفع قال فيرفع رأسه فاذا نظر الى وجه ربه خر ساجدا قدر جمعة أخرى
فيقول الله عز وجل ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع قال فيذهب ليقع
ساجدا فيأخذ جبريل بضبعيه فيفتح الله عليه من الداء شيئا لم يفتح به على
بشر قط فيقول اي رب خلقتني سيد ولد آدم ولا فخر وأول من تنشق الارض
عنه يوم اقيامة ولا فخر حتى إنه ليرد على الحوض اكثر مما بين صنعاء وأيلة ثم
يقال ادعوا الصديقين فيشفعون ثم يقال ادعوا الانبياء قال فيجىء النبي ومعه
الهمامة والنبي ومعه الخمسة والستة والنبي وليس معه احد ثم يقال ادعوا الشهداء
فيشفعون لمن أرادوا قال فاذا فعلت الشهداء ذلك قال فيقول الله عز وجل انا
أرحم الراحمين أدخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئا قال فيدخلون الجنة قال
ثم يقول الله عز وجل انظروا في أهل النار هل تلقون من أحد عمل خيرا قط قال
فيجدون في النار رجلا فيقولون له هل عملت خيرا قط فيقول لا غير أني كنت
أسامح الناس في البيع فيقول الله عز وجل استمحو لعبيدي بسماحته الى عبيدي
ثم يخرجون من النار رجلا يقول له هل عملت خيرا قط فيقول لا غير أني أمرت
ولدي إذا امت فأهرقوني في النار ثم ادعوني حتى اذا كنت مثل الكحل فاذهبوا
الي البحر فأذروني في الريح فوالله لا يقدر على رب العالمين ابدا فقال الله
عز وجل له لم فعلت ذلك فقال من مخافتك قال فبقول الله عز وجل انظر الى ملك

أعظم ملك فإن لك مثله وعشرة أمثاله ؛ قال فيقول أتسخر بي وأنت الملك ، قل
وذلك الذي ضحك منه من الضحى»

(فصل)

وأما حديث أبي هريرة وأبي سعيد في الصحيحين من حديث أبي هريرة
«أن ناساً قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا لا يارسول الله؟ قال هل
تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا لا قال فأنكم ترونه كذلك،
يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شئاً فليتبعه فيتبع . من كان
يعبد الشمس الشمس . ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد
الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الأئمة فيها منافقوها فيأتهم الله تعالى في
صورة غير صورته التي يعرفون ، فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا
مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتهم الله عز وجل في صورته
التي يعرفون فيقول أنا ربكم ، فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ، ويضرب الصراط
بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يحيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ،
ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم ، وفي جهنم كالليب مثل شوك السعدان
هل رأيتم السعدان ؟ قالوا نعم يارسول الله ، قال فأنها مثل شوك السعدان
غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله عز وجل ، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم المواق
بعمل ، ومنهم المجازي حتى ينجوا فإذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن
يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان
لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله ، فيخرجونهم
بأثر السجود ، وتأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن
تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة
فينبثون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى
رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة فيقول أي رب
أصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبنى ريحها وأحرقني ذكؤها فيدعوه الله

ماشاء أن يدعوهم ثم يقول الله تبارك وتعالى هل عسيت إن فعلت ذلك أن
 تسأل غيره فيقول لا أمألك غيره، فيعطى ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله
 فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل على الجنة ورآها سكنت ما شاء الله أن
 يسكت ثم يقول أي رب قدمني إلى باب الجنة فيقول الله ليس قد أعطيت عهودك
 ومواثيقت لا تسألني غير الذي أعطيتك؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك؟! فيقول أي
 رب فيدعو الله حتى يقول له فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره؟ فيقول
 لا وعزتك فيعطى ربه ماشاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا قام
 على باب الجنة انفتحت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور فسكت ماشاء الله أن
 يسكت ثم يقول أي رب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له اليس قد أعطيت
 عهودك ومواثيقتك أن لا تسألني غير ما أعطيت وملك يا ابن آدم ما أغدرك؟! فيقول أي
 رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه فإذا ضحك الله
 منه قال أدخل الجنة فإذا دخلها قال الله له تمن فيسأل ربه ويتمنى حتى أن الله
 ليذكره فيقول تمن كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الاماني قال الله عز وجل ذلك
 لك ومثله معه قال ابو سعيد وعشرة أمثاله معه، قال عطاء بن يزيد وابو سعيد
 الخدرى مع ابى هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئاً حتى إذا حدث ابو هريرة
 قال ان الله عز وجل قال لذلك الرجل ومثله معه قال ابو سعيد وعشرة أمثاله
 معه يا أبا هريرة قال ابو هريرة ما حفظت الا قوله ذلك لك ومثله معه، قال ابو
 سعيد اشهد أنى حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ذلك لك وعشرة
 أمثاله، قال ابو هريرة وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة، وفي الصحيحين
 ايضا عن ابى سعيد الخدرى «أن ناساً في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا
 يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم
 هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحب؟ وهل تضارون
 في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحب؟ قالوا لا يا رسول الله؟ قال ماتضارون
 في رؤيته تبارك وتعالى يوم القيامة؟ إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم
 القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله
 من الاصنام والأنصاب الا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق الا من كان يعبد
 الله من بر وفاجر وغبرات أهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون
 قالوا كنا نعبد عزير بن الله، فيقال كذبتكم ما اتخذ الله من صاحبه ولا ولد فإذا

تبغون؟ قالوا عظمنا ياربنا فاستقنا فيشار اليهم ألا تردون؟ فيحشرون الى النار
 كأنها سراب يحطم بعضها بعضها فيتساقطون في النار، ثم تدعى النصارى فيقال لهم
 ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة
 ولا ولد، فيقال لهم ما ذا تبغون فيقولون عظمنا ياربنا فاستقنا قال فيشار اليهم ألا تردون
 فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضها فيتساقطون في النار حتى اذا لم يبق
 الا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى
 صورة من التي رأوه فيها، قل فما تنتظرون؟ لمتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا
 ياربنا فارقنا الناس في الدنيا افقر ما كنا اليهم ولم نأجبههم، فيقول انا ربكم
 فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً حتى إن بعضهم ليسكاد
 أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن
 ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن الله له بالسجود ولا
 يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن
 يسجد خر على فخذه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها
 أول مرة فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا ثم يضرب لهم الجسر على جهنم وتحل
 الشفاعة قيل يا رسول الله وما الجسر؟ قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلايب
 وحسكة تسون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين
 وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب ففاج مسلم ومخدوش مرسل
 ومكدوس في نار جهنم. حتى إذا خلس المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده
 ما من أحد منكم بأشد مناشدة في استيناء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم
 القيامة لاخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون
 ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فيحرم صومهم على النار فيخرجون
 خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه فيقولون ربنا ما بقي
 فيها أحد ممن أمرتنا، فيقول ارجعوا فن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار
 من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم ندر فيها ممن
 أمرتنا أحداً، ثم يقول ارجعوا فن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه
 فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون ربنا لم ندر فيها ممن أمرتنا أحداً، ثم يقول
 ارجعوا فن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا
 كثيرا، ثم يقولون ربنا لم ندر فيها خيرا قط، ولأن أبو سعيد الخدري يقول ان

لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا ان شئتم (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً) فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمها فيلقبهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون منها إلى الشمس اصيفر وأخضر وما يكون منها إلى الظل يكون ابيض فقالوا يا رسول كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كالؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة فيقول أهل الجنة هؤلاء غتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه، ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين، فيقول لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون يا ربنا وأى شيء أفضل من هذا؟ فيقول تعالى رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبداً «

(فصل)

وأما حديث جرير بن عبد الله ففى الصحيحين من حديث اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عنه قال: «كنا جلوساً مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال انكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا ثم قرأ قوله (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب)» رواه عن اسماعيل بن أبي خالد عبد الله بن ادريس الأزدي ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن محمد الحاربي وجرير بن عبد الحميد وعبيد بن حميد وهشيم بن بشير وعلى بن عاصم وسفيان بن عيينة وهرمان بن معاوية وأبو أسامة وعبد الله بن غير ومحمد بن عبيد وأخوه يعلى بن عبيد ووكيع بن الجراح ومحمد ابن فضيل والظفراوي ويزيد بن هارون واسماعيل بن أبي خالد وعنبسة بن سعيد والحسن بن صالح بن حى وورقاء بن عمرو وعمار بن زريق وأبو الأعز سعيد ابن عبد الله ونصر بن طريف وعمار بن محمد والحسن بن عياش أخو أبي بكر ويزيد بن عطاء وعيسى بن يونس وشعبة بن الحجاج وعبد الله بن المبارك وأبو حمزة السكري وحسين بن واقد ومعمّر بن سليمان وجعفر بن زياد وخداش بن المهاجر وهريم ابن سفيان ومنديل بن علي وأخوه سنان بن علي وعمر بن يزيد وعبد الغفار بن القاسم

ومحمد بن بشير الحريري ومالك بن مغول وعصام بن النعمان وعلي بن اقسام الكندي
 وعبيد بن الاسود الهمداني وعبد الجبار بن العباس والمعلى بن هلال ويحيى بن زكريا
 ابن ابي زائدة والصباح بن محارب ومحمد بن عيسى وسعيد بن حازم وابان بن
 ارقم وعمرو بن النعمان ومسعود بن سعد الجعفي وعثمان بن علي وحسن بن
 حبيب وسان بن هارون البرجمي ومحمد بن يزيد الواسطي وعمرو بن هشام ومحمد بن
 مروان ويعلى بن الحارث الحارثي وشعيب بن راشد والحسن بن دينار وسلام
 ابن ابي مطيع وداد بن الزبرقان وحماة بن ابي حنيفة ويعقوب بن حبيب وحكام
 ابن سلم وابو مقاتل بن حفص ومسيب بن شريك وابو حنيفة النعمان بن ثابت
 وعمرو بن سمر الجعفي وعمرو بن عبد الغفار التيمي وسيف بن هارون البرجمي
 اخو سنان، وطابد بن حبيب ومالك بن سعيد بن الحسن ويزيد بن عطاء مولى
 ابي عوانة وحالد بن يزيد العنبري وعبد الله بن موسى وخالد بن عبد الله الطحان
 وابو كدينة يحيى بن المهلب ورقبة بن مصقلة ومعمار بن سليمان الرقي ومروحي
 ابن رجاء وعمرو بن جرير ويحيى بن هاشم السمسار وابراهيم ابن طهمان وخارجة
 ابن مصعب وعبد الله بن عثمان شريك شعبة وعبد الله بن فروح وزيد بن ابي انيسة،
 ونجوده فقال: «فستعاينون ربكم عز وجل كما تعاينون هذا القمر» وابوشهاب
 الخياط وقال «ستروا ربكم عيانا» وحارثة بن هرم وعاصم بن حكيم ومقاتل بن
 سليمان وابو جعفر الرازي والحسن بن ابي جعفر والوليد بن عمرو واخوه
 عثمان بن عمرو وعبد السلام بن عبد الله بن قرة العنبري ويزيد بن عبد العزيز
 وعلي بن صالح بن يحيى وزفر بن الهذيل واقاسم بن معن، تابع اسماعيل بن ابي
 خالد عن قيس جماعة منهم بيان بن بشر ومجاهد بن سعيد وطارق بن عبد الرحمن
 وجرير بن يزيد بن جرير البجلي وعيسى بن المسيب كلهم عن قيس بن ابي حازم
 عن جرير وكل هؤلاء شهدوا على اسماعيل بن ابي خالد وشهد اسماعيل بن ابي
 خالد على قيس ابن ابي حازم وشهد قيس بن ابي حازم على جرير بن عبد الله وشهد
 جرير بن عبد الله على رسول الله ﷺ فكانت تسمع رسول الله ﷺ وهو
 يقوله ويبلغه لامته ولا شيء أقر لآعينهم منه، وشهدت الجهمية والفرعونية
 والرافضة والقرامطة والباطنية وفروخ الصائبة والنجوس واليونان بكفر من اعتقد
 ذلك وانه من أهل التشبيه والتجسيم وتابعهم على ذلك كل عدو لسنة وأهلها

والله تعالى ناصر كتابه وسنة رسوله ولو كره الكافرون

(فصل)

وأما حديث صهيب فرواه مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قل قل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل تريدون شيئاً أزيدكم؟ يقولون ألم تبئض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قل فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» وهذا حديث رواه الأئمة عن حماد وتلقوه عن نبيهم بالقبول والتصديق

« فصل »

وأما حديث عبد الله بن مسعود فقال الطبراني حدثنا محمد بن نصر الأزدي وعبد الله بن أحمد بن حنبل والحضرمي قلاوا حدثنا اسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة الحراني حدثنا محمد بن سلمة الحراني عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة بن عبد الله عن مسروق بن الأجدع حدثنا عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياماً أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء قال وينزل الله عز وجل في ظلال من الغرم من العرش إلى الكرسي ثم ينادى مناد أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً أن يولى كل ناس منكم ما كانوا يقولون ويعبدون في الدنيا، اليس ذلك عدلاً من ربكم؟ قلاوا بلى، قل فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويقولون في الدنيا قال فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون فمنهم من ينطلق إلى الشمس ومنهم من ينطلق إلى القمر وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون قال ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى ويمثل لمن كان يعبد عزيزاً شيطان عزيز ويبقى محمد صلى الله عليه وسلم وأمة فيأتيهم الرب عز وجل فيقول ما بالكم لا تنطقون كما انطلق الناس؟ قال فيقولون ان لنا إلهاً ما رأيناه بعد، فيقول هل تعرفونه ان رأيتموه؟ فيقولون ان بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه، قال فيقول ما هي؟ فيقولون يكشف عن ساقه

فعند ذلك يكشفه عن ساق فيخرون له سجداً ويبقى قوم ظهورهم كهيأى البقر
 يريدون السجود فلا يستطيعون وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون، ثم يقول
 ارفعوا رؤسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى
 نوره على قدر الجبل العظيم يسعى بين أيديهم، ومنهم من يعطى نوراً أصغر من ذلك،
 ومنهم من يعطى نوراً مثل النخلة يمينه، ومنهم من يعطى نوراً أصغر من ذلك حتى
 يكون آخرهم رجلاً يعطى نوره على إبهام قدمه يضىء مرة ويطفأ مرة فإذا أضاء قدمه
 قدمه ومشى، وإذا طفىء قام والرب تبارك وتعالى أمامهم حتى يمر فى النار فيبقى
 أثره كحد السيف قال ويقول مروا فيمرون على قدر نورهم منهم من يمر كطرف
 العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كاقطاض
 الكوكب، ومنهم من يمر كالبح ومنهم من يمر كشدة النور، ومنهم كشدة الرجل
 حتى يمر الذى أعطى نوره على قدر إبهام قدمه يحبوا على وجهه ويديه ورجليه
 تجريد وتعلق يد وتجر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار، فلا يزال كذلك
 حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد أعطانى الله ما لم يعط أحداً
 إذ نجاني منها بعد أن رأيتها قال فيمطابق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل
 فيعود إليه ربح أهل الجنة والوأنهم، فيرى ما فى الجنة من خلال الباب فيقول رب أدخلني
 الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار؟ فيقول يا رب
 اجعل بينى وبينها حجاباً لا اسمع حسيها قال فيدخل الجنة قال ويرى أو يرفع له
 منزل أمام ذلك كأنما الذى هو فيه إليه حلم ليدخله فيقول رب أعطنى ذلك المنزل
 فيقول فلعلك إن أعطيتك تسأل غيره. فيقول لا وعزتك لا أسأل غيره، وأى منزل
 يكون أحسن منه؟ قال فيعطاه فينزله قال ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر
 ليدخله فيقول رب أعطنى ذلك المنزل فيقول الله عز وجل فلعلك إن أعطيتك
 تسأل غيره، فيقول لا وعزتك لا أسألك غيره وأى منزل يكون أحسن منه؟ قال
 فيعطاه فينزله قال ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر كأنما الذى هو فيه إليه
 حلم فيقول رب أعطنى ذلك المنزل فيقول الله جل جلاله فلعلك إن أعطيتك
 تسأل غيره، قال لا وعزتك لا أسأل غيره وأى منزل يكون أحسن منه قال فيعطاه
 فينزله ثم يسكت فيقول الله عز وجل مالك لا تسأل؟ فيقول رب لقد سألتك
 حتى استحييتك وأقسمت لك حتى استحييتك، فيقول الله عز وجل

ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ يوم خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة
أضعافه؟ فيقول أستهنىء بى وأنت رب العزة فيضحك الرب عز وجل من قوله
قال فرأيت عبد الله بن مسعود إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك
فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدث بهذا الحديث مراراً كلما بلغت
هذا المكان ضحكت فقال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث
بهذا الحديث مراراً كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك حتى تبدو
أضراسه قال فيقول الرب عز وجل لا، ولكننى على ذلك قادر سل، فيقول ألحقنى
بالناس فيقول الحق بالناس قال فينطلق يرمل فى الجنة حتى إذا دنا من الناس
رفع له قصر من درة فيخر ساجداً فيقال له ارفع رأسك مالك؟ فيقول رأيت
ربى أو تراءى لى ربى فيقال له إنما هو منزل من منازلك قال ثم يلقى فيها
رجلاً فيتمياً للِسجود فيقال له مه مالك؟ فيقول رأيت انك ملك من الملائكة
فيقول له إنما أنا خازن من خزانك عبد من عبيدك تحت يدى ألف قهرمان على
مثل ما أنا عليه، قال فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر قال وهو فى درة مجوفة
سقائفها وأبوابها وأغلاقيها ومفاتيحها منها تستقبله جوهرة خضراء مبطنة
بحمراء كل جوهرة تفضى إلى جوهرة على غير لون الأخرى فى كل جوهرة
سرر وأزواج ووصائف أدناه من حوراء عيناء عليها سبعون جلة يرى من ساقها
من وراء حللها كبدها مرآته وكبده مرآتها إذا عرض غنها اعراضة ازدادت فى
عينه سبعين ضعفا عما كانت قبل ذلك فيقول لها والله لقد ازددت فى
عينى سبعين ضعفا فتقول له والله والله وأنت لقد ازددت فى عينى سبعين
ضعفا فيقال له أشرف قال فيشرف فيقال له ملكك مسيرة مائة عام
ينفذ بصره، قال فقال عمر ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب عن
أدنى أهل الجنة منزلاً فكيف أعلام؟ قال كعب يا أمير المؤمنين فيها ما لا عين
رأت ولا أذن سمعت ان الله عز وجل جعل داراً فيها ماشاء من الأزواج والثمرات
والاشربة ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة ثم
قرأ كعب (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) قال
وخاق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه ثم قال من
كان كتابه فى عليين نزل تلك الدار التى لم يرها أحد حتى ان الرجل من أهل
عليين ليخرج فيسير فى ملكة فلا يلقى خيمة من خيام الجنة الا دخلها من

ضوء وجهه فيستبشرون بريحه فيقولون واهاً لهذا الريح هذا رجل من أهل
 علمين قد خرج يسير في ملكه فقال ويحك يا كعب هذه القلوب قد استرست
 فأقبحها، فقال كعب والذي ننسى بيده أن لجهنم يوم القيامة لزفرة ما يبقى من
 ملك مقرب ولا نبي مرسل الا يخر لركبته حتى أن ابراهيم خليل الله يقول
 رب نفسي نفسي حتى لو كان لك عمل سبعين نبيا إلى عملك لظننت أنك لا تنجو»
 هذا حديث كبير حسن رواه المصنفون في السنة كعبد الله بن أحمد والطبراني
 والدارقطني في كتاب الرؤية رواه عن ابن صاعد حدثنا محمد بن أبي عبد الرحمن
 المقرئ قال حدثنا أبي حدثنا ورقاء بن عمر حدثنا أبو طيبة عن كرز بن وبرة
 عن نعيم بن أبي هند عن أبي عبيدة عن عبد الله ورواه من طريق عبد السلام
 ابن حرب حدثنا الدالاني حدثنا المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة به ورواه
 من طريق زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة به
 ورواه من طريق أحمد بن أبي طيبة عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبي
 هند عن أبي عبيدة

« فصل »

وأما حديث علي بن أبي طالب فقال يعقوب بن سفيان حدثنا محمد بن
 المصنف حدثنا سويد بن عبد العزيز حدثنا عمرو بن خالد عن زيد بن علي عن
 أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 : « يزور أهل الجنة الرب تبارك وتعالى في كل جمعة وذكر ما يعطون قال ثم يقول
 الله تبارك وتعالى اكشفوا حجابا فيكشف حجاب ثم حجاب ثم يتجلى
 لهم تبارك وتعالى عن وجهه فكأنهم لم يروا نعمة قبل ذلك وهو قوله تبارك
 وتعالى ولدينا مزيد »

« فصل »

وأما حديث أبي موسى في الصحيحين عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال: « جنتان من فضة آيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آيتهما وما فيهما
 وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى إلرداء الكبرياء على
 وجهه في جنة عدن » (وقال الامام أحمد) حدثنا حسن بن موسى وعثمان قالا
 حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمارة عن أبي بردة عن أبي موسى
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يجمع الله الامم في صعيد واحد يوم القيامة

فاذا بدا لله أن يصدع بين خلقه (١) مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يحمونهم النار ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول من أنتم؟ فنقول نحن المسلمون؛ فيقول ما تنتظرون؟ فنقول ننتظر ربنا عز وجل؛ فيقول وهل تعرفونه ان رأيتموه؟ فنقول نعم إنه لا عدل له فيتجلى لنا ضاحكاً فيقول ابشروا يا معشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت في النار يهوديا أو نصرانيا مكانه» وقل حاد بن سامة عن علي بن زيد عن عمارة القرشي عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يتجلى لنا ربنا تبارك وتعالى ضاحكاً يوم القيامة» وذكر الدارقطني من حديث ابان بن أبي عياش عن أبي تيمعة الهجيمي عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يبعث الله يوم القيامة منادياً بصوت يسمعه أولاهم وآخرهم ان الله عز وجل وعدكم الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل»

(فصل)

وأما حديث عدى بن حاتم في صحيح البخارى قال: «بينما أنا عند النبي ﷺ اذ أتى اليه رجل فشكا اليه الناقة ثم أتى اليه آخر فشكا اليه القطع السبيل فقال يا عدى هل رأيت الحيرة؟ قلت لم أرها وقد أنبتت عنها قال فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله؛ قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيى الذين سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز؟ قال كسرى بن هرمز؛ ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له فيقولن ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك؟ فيقول بلى يارب فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك؟ فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم. قال عدى بن حاتم سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكملة طيبة قال عدى فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن

(١) أى يفرق بينهم فيفصل أهل الجنة من أهل السعير

طالت بكم حياة لترون ما قال النبي صلى الله عليه وسلم «

﴿فصل﴾

وأما حديث أنس بن مالك ففي الصحيحين من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيهمون لذلك وفي لفظ فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا؟ فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الخلق خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله عز وجل قل فيأتون نوحاً فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذ الله خليلاً فيأتون إبراهيم فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله تكليماً وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمداً صلى الله عليه وسلم عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر: قل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتوني فأستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا أنا رأيته فأقع ساجداً فيدني ما شاء الله أن يدني فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع، وسل تعطى واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني ربي فأشفع فيجذبني حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجداً فيدني ما شاء الله أن يدني ثم يقال ارفع رأسك يا محمد قل تسمع، وسل تعطى واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني ربي ثم أشفع فيجذبني حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، قل فلا أدري في الثالثة أوفى الرابعة قل فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود» (وذكر ابن خزيمة) عن ابن عبد الحكم عن أبيه وشعيب بن الليث عن الليث حدثنا معمر بن سليمان عن حميد عن أنس قال: «ياقبي الناس يوم القيامة ما شاء الله أن يلقوه من الحبس فيقولون انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا إلى ربنا فذكر الحديث

الى أن قل فينطقون الى محمد صلى الله عليه وسلم فأقول أنا لها فأنطق حتى
أستفتح باب الجنة فيفتح لي فأدخل وربى على عرشه فأخر ساجداً (ودكر
الحديث) وقال أبو عوانة وابن أبي عروبة وهام وغيرهم عن أنس في هذا
الحديث فأستأذن على ربى فإذا رأيته وقعت ساجداً وقال عفان عن حماد بن
سامة عن ثابت عن أنس فأتى ربى وهو على سريره أو كرسيه فأخر له ساجداً
وساقه ابن خزيمة بسياق طويل وقال فيه فأستفتح فإذا نظرت إلى الرحمن وقعت
له ساجداً ورؤية النبي ﷺ لربه في هذا المقام ثابتة عنه ثبوتاً يقطع به أهل العلم
بالحديث والسنة وفي حديث أبي هريرة أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم
القيامة ولا فخر وأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا صاحب لواء الحمد ولا فخر: «وأنا
أول من يدخل الجنة ولا فخر» أخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي فيستقبلني وجه
الجبار جل جلاله فأخر له ساجداً (وقال الدارقطني) حدثنا محمد بن إبراهيم
المنائي العدل بمصر حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر القاضي حدثنا أبو بكر
إبراهيم بن محمد حدثنا الخليل عن عمر الأشج عن سعيد بن أبي عروبة عن
قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل (للذين
أحسنوا الحسنوا زيادة) قال النظر إلى وجه الله عز وجل (حدثنا) أبو صالح
عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الأصماني ومحمد بن جعفر بن أحمد الطبري
ومحمد بن علي بن اسماعيل الأيلي قالوا حدثنا عبد الله بن روح المدائني حدثنا
سلام بن سليمان حدثنا ورقاء واسرائيل وشعبة وجرير بن عبد الحميد كلهم قالوا
حدثنا ليث بن عثمان بن أبي حميد عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول: «أتاني جبريل وفي كفه كمرأة البيضاء يحماما، فيها كلنكتة
السوداء فقلت ما هذه التي في يدك يا جبريل. فقال هذه الجمعة؛ قلت وما الجمعة؛ قال
لكم فيها خير كثير؛ قلت وما يكون لنا فيها؟ قال يكون عيداً لك ولقومك من بعدك
ويكون اليهود والنصارى تبعاً لك؛ قلت وما لنا فيها؟ قال لكم فيها ساعة لا يسأل الله
عبد فيها شيئاً هو له قسم، إلا أعطاه إياه، أو ليس له بتسم إلا أذخر له في آخرته
ما هو أعظم منه قلت ما هذه النكتة التي هي فيها؟ قال هي الساعة ونحن ندعوه
يوم المزيدي قلت وما ذاك يا جبريل؟ قال إن ربك اتخذ في الجنة واديًا فيه كثران
من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه فيحفر الكرسي
بكراسي من نور فيجيء النبيون حتى يجلسوا على تلك الكراسي ويحفر

الكراسى بمنابر من نور ومن ذهب مكالة بالجواهر ثم يجيئ الصديقون والشهداء حتى يجلسوا على تلك المنابر ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم حتى يجلسوا على تلك الكسبان ثم يتجلى لهم عز وجل فيقول أنا الذى صدقتم وعدى وأتممت عليكم نعمتى وهذا محل كرامتى، فسلونى فيسألونه حتى تنتهى رغبتهم فيفتح لهم فى ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة ثم يرتفع على كرسية عز وجل ويرتفع معه النبيون والصديقون ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم وهى لؤلؤة بيضاء وزبرجدة خضراء وياقوتة حمراء غرفها وأبوابها وأنهاها مطردة فيها وأزواجها وخدامها وثمارها متدليات فيها فجلسوا إلى شىء بأحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا نظرا إلى ربهم ويزدادوا منه كرامة « هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول (وجمل به الشافعى مسنده) فرواه عن ابراهيم بن محمد قال حدثنى موسى بن عبيدة قال حدثنى أبو الازهر عن عبد الله بن عبد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك فذكر بنحوه وقد تقدم لفظه ثم قال الشافعى أنبأنا ابراهيم قال حدثنى أبو عمران ابراهيم ابن الجعد عن أنس شبيبها به وزاد فيه أشياء (ورواه محمد بن اسحاق) قال حدثنى ليث بن أبي سليم عن عثمان بن عمير عن أنس به وقال فيه « ثم يتجلى لهم ربهم عز وجل حتى ينظروا إلى وجهه الكريم » وذكر باقى الحديث * ورواه عمرو ابن أبى قيس عن أبى ظبية عن عاصم عن عثمان بن عمير أبى اليتظان عن أنس وجوده وفيه « فإذا كان يوم الجمعة نزل على كرسية ثم حف الكرسى بمنابر من نور فيجئ النبيون حتى يجلسوا عليها ويجيئ أهل الغرف حتى يجلسوا على السائب قال ثم يتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى فينظرون إليه فيقول أنا الذى صدقتم وعدى وأتممت عليكم نعمتى وهذا محل كرامتى سلونى فيسألونه الرضى، قال رضى آمم لكم دارى، وأنا لكم كرامتى سلونى، فيسألونه الرضى قل فيشهدهم بالرضاء يسألونه حتى تنتهى رغبتهم » وذكر الحديث. ورواه على بن حرب حدثنا اسحاق ابن سليمان حدثنا عنبة بن سعيد عن عثمان بن عمير ورواه الحسن بن عرفة حدثنا عمار بن محمد بن اخت سفيان الثورى عن ليث بن أبى سالم عن عثمان وقال فيه ثم يرتفع على كرسية ويرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم ورواه الدارقطنى من طريق آخر من حديث قتادة عن (١٥ - م - حادى الارواح)

أنس قال سمعته يقول «بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال أتاني جبريل في يده كمرأة البياض في وسطها كالنكتة السوداء قلت يا جبريل ما هذا؟ قال هذا يوم الجمعة يعرضه عليك ربك ليكون لك عيداً ولا منك من بعدك» قال قامت يا جبريل ماهذه النكتة السوداء؟ قال هي الساعة وهي تقوم يوم الجمعة وهو سيد أيام الدنيا ونحن ندعوه في الجنة يوم المزيد قال قلت يا جبريل ولم تدعونه يوم المزيد؟ قال ان الله اتخذ في الجنة واديا أفيح (١) من مسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل ربنا عز وجل على كرسيه إلى ذلك الوادي وقد حف السكسرى بمنابر من ذهب مكالمة بالجوهر وقد حفت تلك المنابر بكراسي من نور ثم يؤذن لاهل الغرف فيقبلون يخوضون كشبان المسك إلى الركب عليهم أسورة الذهب والفضة وثياب السندس والحرير حتى ينتهوا إلى ذلك الوادي فاذا اطلوا فيه جالوساً بعث الله عليهم ريحاً يقل لها المنيعة فأنارت ينابيع المسك الأبيض في وجوههم وثيابهم وهم يومئذ جرد مرد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين سنة على صورة آدم يوم خلقه الله عز وجل فينادي رب العزة تبارك وتعالى رضوان وهو خازن الجنة فيقول يا رضوان ارفع الحجب بيني وبين عبادي وزواري فاذا رفع الحجب بينه وبينهم قرأوا بهاءه ونوره هموا له بالسجود فيناديهم تبارك وتعالى بصوته ارفعوا رؤسكم فانما كانت العبادة في الدنيا وأنتم اليوم في دار الجزاء سلوني ما شئتم فانا ربكم الذي صدقتكم وعدى، وأتممت عليكم نعمتي، فهذا محل كرامتي فسلوني ما شئتم، فيقولون ربنا وأى خير لم تفعله بنا؟ ألسنت أعنتنا على سكرات الموت، وآنسنت منا الوحشة في ظلمات القبور وآنسنت روعتنا عند النفخة في الصور؟ ألسنت أقلت عثراتنا، وسترت علينا القبيح من فعلنا؟ وثبتت على جسر جهنم أقدامنا؟ ألسنت الذي أدنيتنا من جوارك وأسمعتنا لداذة منطقك وتجليت لنا بنورك ذى خير لم تفعله بنا؟ فنعود بالله عز وجل فيناديهم بصوته فيقول أنا ربكم الذي صدقتكم وعدى، وأتممت عليكم نعمتي فسلوني، فيقولون نسألك رضاك فيقول برضائي عنكم أقلتكم عثراتكم، وسترت بلباسكم القبيح من أموركم، وأدريت مني جواركم، وأسمعتمكم لداذة منطقي وتجليت لكم بنوري، فهذا محل كرامتي فسلوني، فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم ثم يقول عز وجل سلوني فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم ثم يقول عز وجل

سلوني فيقولون رضينا ربنا وسامنا فيزيدهم من مزيد فضله وكرامته مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قاب بصر، ويكون ذلك مقدار تفرقهم من الجمعة؛ قال أنس فقلت بأبي وأمي يا رسول الله وما مقدار تفرقهم؟ قال كقدر الجمعة إلى الجمعة قال ثم يحمل عرش ربنا تبارك وتعالى معهم الملائكة والنبيون ثم يؤذن لأهل الغرف فيعودون إلى غرفهم وهم غرقتان من زمردتين خضراوين وليسوا إلى شيء أشوق منهم إلى الجمعة لينظروا إلى ربهم عز وجل وليزيدهم من مزيد فضله وكرامته؛ قال أنس سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيني وبينه أحد» (ورواه الدارقطني) أيضا عن أبي بكر النيسابوري قال أخبرني أبو العباس بن الوليد بن يزيد قال أخبرني محمد بن شعيب قال أخبرني عمر مولى عفرة عن أنس ورواه محمد بن خالد بن جنى حدثنا أبو اليان الحكم بن نافع حدثنا صفوان قال قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا عبد الرحمن بن محمد عن ليث عن أبي عثمان عن أنس ورواه امام الأئمة محمد بن اسحاق بن خزيمة عن زهير بن حرب حدثنا جرير عن ليث عن عثمان بن أبي حميد عن أنس ورواه عن الاسود بن عامر قال ذكر لي عن شريك عن أبي اليقظان عن أنس ورواه ابن بطة في الابانة من حديث الاعمش عن أبي وائل عن حذيفة وسياتي سياقه وقد جمع ابن أبي داود طريقه

(فصل)

وأما حديث بريدة بن الحصيب فقال امام الأئمة محمد بن اسحاق بن خزيمة حدثنا أبو خالد عبد العزيز بن أبان القرشي حدثنا بشير بن المهاجر عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان»

— فصل —

وأما حديث أبي رزين العقيلي فرواه الامام أحمد من حديث شعبة وحماد بن سامة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن خدش عن أبي رزين قال: «قلنا يا رسول الله أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة؟ قال نعم، قالت وما آية ذلك في خلقه؟ قال ليس كلكم ينظر إلى القمر ليلة البدر؟ قلنا نعم، قال الله أكبر وأعظم» قال عبد الله قال أبي والاصواب حدس (وقال أبو داود سليمان بن الاشعث حدثنا موسى بن

اسماعيل حدثنا حماد بن سلمة به فقد اتفق شعبة وحماد بن سلمة وحسبك بهما على روايته عن يعلى بن عطاء ورواه الناس عنهما وعن أبي رزين فيه اسناد آخر قد تقدم ذكره في حديثه الطويل وأبو رزين العقيلي له صحبة وعداده من أهل الطائف وهو لقيط بن عامر ويقال لقيط بن صبرة هكذا قال البخاري وابن أبي حاتم وغيرهما وقيل هما اثنان ولقيط بن عامر غير لقيط بن صبرة والصحيح الأول وقال ابن عبد البر من قال لقيط بن صبرة نسبه الى جده وهو لقيط بن عامر ابن صبرة

(فصل)

وأما حديث جابر بن عبد الله فقال الإمام أحمد حدثنا روح بن جريح قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يسأل عن الورود فقال: «نحن يوم القيامة على كذا وكذا أي فوق الناس فتدعى الامم بأوثانها وما كانت تعبد الاول فالاول ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول ومن تمنتظرون؟ فيقولون ننتظر ربنا فيقول أنا ربكم فيقولون حتى ننظر اليك فيتجلى لهم تبارك وتعالى يضحك قال فينطلق بهم ويتبعونه ويعطى كل انسان منهم منافع أو مؤمن نورا ثم يتبعونه على جسر جهنم وعليه كالليب وحسك تأخذ من شاء الله ثم يطفأ نور المنافق ثم ينجو المؤمنون فتنجوا أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر وسبعون ألفا لا يحاسبون ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء ثم كذلك ثم تحمل الشفاعة حتى يخرج من النار من قال لا اله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة فيجعلون بفناء الجنة ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى يمتنون نبات الشيء في السيل ويذهب حرقه ثم يسأل حتى يجعل الله له الدنيا وعشرة أمثالها معها» رواه مسلم في صحيحه وهذا الذي وقع في الحديث من قوله على كذا وكذا قد جاء منسباً في رواية صحيحة ذكرها عبد الحق في الجمع بين الصحيحين «نحن يوم القيامة على تل مشرفين على الخلائق» وقال عبد الرزاق أنبأنا رباح بن زيد قال حدثني ابن جريح قال أخبرني زياد بن سعد أن أبا الزبير أخبره عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ينظرون إلى وجهه فيخرون له سجداً فيقول ارفعوا رؤسكم فليس هذا بيوم عبادة» (وقال الدارقطني) أنبأنا أحمد بن عيسى بن السكن حدثنا أحمد بن

محمد بن عمر بن يونس حدثنا محمد بن شرحبيل الصنعاني قال حدثني ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يتجلى لنا ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكاً» وزواد أبو قرة عن مالك بن انس عن زياد بن سعد حدثنا أبو الزبير عن جابر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم فذكر الحديث وفيه فيقولون أتعرفون الله عز وجل أن رأيتموه؟ فيقولون نعم، فيقول وكيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون نعم انه لا عدل له قال فيتجلى لهم تبارك وتعالى فيخرون له سجداً» (وقال ابن ماجه في سننه) حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا أبو عاصم العباداني عن فضل بن عيسى الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بيننا أهل الجنة في نعمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة وهو قول الله عز وجل (سلام قولاً من رب رحيم) فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ماداموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم وتبقى فيهم بركته ونوره» (وقال حرب في مسأله) حدثنا يحيى بن أبي حزم حدثنا يحيى بن محمد أبو عاصم العباداني فذكره وعند البيهقي في هذا الحديث سياق آخر رواه أيضاً من طريق العباداني عن الفضل بن عيسى عن ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بيننا أهل الجنة في مجالس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف فقال تعالى يا أهل الجنة سلوني قالوا نسألك الرضى عما قال رضائي أحلكم داري وأنا لك كرامتي، هذا أو انها فسلوني، قالوا نسألك الزيادة قال فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر أزمتها زهره أخضر وياقوت أحمر خاؤها عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها فيأمر الله بأشجار عليها الثمار فتجيء جوارى الخور العين وهن يقلبن نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الخالدات فلانموت، أزواج قوم مؤمنين كرام، ويأمر الله عز وجل بكشبان من مسك أبيض أذفر فيثير عليهم ريحاً يقال لها المنيرة حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن وهي قصبة الجنة، فتقول الملائكة ياربنا قد جاء اقوم فيقول مرحباً بالصادقين ومرحباً بالطائعين، قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله تبارك

وتعالى ويتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضاً، ثم يقول أرجعهم إلى القصور بالتحف فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك قوله تعالى (نزلنا من غفور رحيم) «رواه في كتاب البعث والنشور وفي كتاب الرؤية قال وقد مضى في هذا الكتاب وفي كتاب الرؤية ما يؤكد هذا الخبر وقال الدارقطني أنبأنا الحسن بن اسماعيل أنبأنا أبو الحسن علي بن عبدة حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن ابن أبي ذئب عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ان الله عز وجل يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة»

(فصل)

وأما حديث أبي أمامة فقال ابن وهب أخبرني يونس بن يزيد عن عطاء الخراساني عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن عمرو بن عبد الله الحضرمي عن أبي أمامة قال: «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فكان أكثر خطبته ذكر الدجال يحدثنا منه، ويحدثنا عنه حتى فرغ من خطبته، فكان فيما قال لنا يومئذ ان الله عز وجل لم يبعث نبياً الا حذره أمته واني آخر الانبياء وأتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة فان يخرج وأنا بين أظهركم فانا حجيح كل مسلم، وان يخرج فيكم بعدى فكل امرئ حجيح نفسه والله خليفتي على كل مسلم، إنه يخرج من خلة بين العراق والشام عاث عيناً وعاث شمالاً، يا عباد الله اثبتوا وانه يبدأ فيقول أنا نبي ولا نبي بعدى، ثم يثنى فيقول أناربكم ولن تروا ربكم حتى تموتوا وانه مكتوب بين غيبه كافر يقرؤه كل مؤمن فن لقيه منكم فليتنفل في وجهه وليقرأ سورة أضحاب الكهف وانه يسلم على نفس من بنى آدم فيقتلها ثم يحياها وانه لا يعدو ذلك ولا يسلم على نفس غيرها وان من فتنته ان معه جنة وناراً فخاره جنة وجنته نار فمن ابتلى بناره فليغمض عينيه وليستغث بالله تكن برداً وسلاماً كما كانت النار برداً وسلاماً على ابراهيم وان أيامه أربعون يوماً كسنة ويوما كشهريوما كجمعة ويوما كالأيام وآخر أيامه كالسراب، يصيح الرجل عند باب المدينة فيمسي قبل ان يبلغ بابها الاخر، قالوا فكيف نصلي يا رسول الله في تلك الأيام؟ قال تقدرון كما تقدرون في الأيام الطوال» ورواه الدارقطني عن ابن صاعد عن أحمد بن الفرخ عن ضمرة بن ربيعة عن يحيى بن أبي عمرو

﴿فصل﴾

وأما حديث زيد بن ثابت فقال الامام أحمد حدثنا أبو المغيرة قال حدثني أبو بكر قال حدثني ضمرة بن حبيب عن زيد بن ثابت «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم قال دل حين تصبح لبنيك اللهم لبنيك لبنيك وسعديك والخير في يديك ومنك واليك اللهم وما قلت من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فشيئتك بين يديه، ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بك انك على كل شيء قدير، اللهم وما صليت من صلاة فعلى من صليت، وما لعنت من لعنة فعلى من لعنت، أنت ولي في الدنيا والآخرة توفي مسلماً وألحقني بالصالحين، أسألك اللهم الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك، من غير ضراء. مضره ولا فتنة مضلة، أعوذ بك اللهم أن أظلم أو أظلم أو أعتدى أو يعتدى عليّ أو أكسب خطيئة محبطة أو ذنباً لا تغفره، اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والاكرام فاني أعهد اليك في هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيداً اني أشهد أن لا إله الا أنت وحدك لا شريك لك . لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك وأشهد أن وعدك حق وإن لقاءك حق، والجنة حق والساعة آتية لا ريب فيها وأنت تبعث من في القبور، وأشهد أنك ان تكفني الى نفسي تكفني الى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة وانى لأثق الا برحمتك فأغفر لي ذنبي انه لا يغفر الذنوب الا أنت وتب عليّ انك انت التواب الرحيم» رواه أبو داود في صحيحه

﴿فصل﴾

وأما حديث عمار بن ياسر فقال الامام أحمد حدثنا اسحاق الأزرق عن شريك عن أبي هاشم عن أبي مجاز : «قال صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها فأنكروا ذلك فقال ألم أتم الركوع والسجود؟ قالوا بلى، قال أما انى قد دعوت فيها بدعاء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني اذا علمت الوفاة خيراً لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك في غير ضراء مضره ولا فتنة

مظلة اللهم زيننا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين « وأخرجه ابن حبان والحاكم في صحيحيهما

- فصل -

(وأما حديث عائشة) في صحيح الحاكم من حديث الزهري عن عروة عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جابر يا جابر ألا أبشرك؟ قال بلى بشرك الله بخير قال شعرت ان الله أحيا أباك فقعده بين يديه فقال تمنّ عني عبدى ما شئت أعطك قل يارب ما عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك ان تردني الى الدنيا فأقاتل مع نبيك. فأقتل فيك مرة أخرى. قال إنه قد سأل مني أنك اليها لا ترجع » وهو في المسند من حديث جابر وفي مسنده أدخله ولله ترمذى فيه سياق أتم من هذا عن جابر قال : « لما قتل عبد الله بن عمرو بن حزام يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ألا أخبرك ما قال الله عز وجل لأبيك؟ قال بلى قال ما كلم الله عز وجل أحدا إلا من وراء حجاب وكلم أباك كنفاحا فقال يا عبدى تمنّ عني أعطك . قال يارب تحييني فأقتل فيك ثانية. قال انه قد سبق مني انهم اليها لا يرجعون قال يارب فأبلغ من ورأى فأنزل الله عز وجل هذه الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية) قال الترمذى هذا حديث حسن غريب قلت واسناده صحيح ورواه الحاكم في صحيحه

فصل

وأما حديث عبد الله بن عمر فقال الترمذى حدثنا عبد بن حميد عن شعبة عن اسرائيل عن ثوير بن أبي فاختة وقال الطبراني حدثنا أسد بن موسى حدثنا أبو معاوية محمد بن حازم عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير بن أبي فاختة عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه الف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر الى أزواجه وممره وخدمه وان أفضلهم منزلة من ينظر الى وجهه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين » (قال الترمذى) وروى هذا الحديث من غير وجه عن اسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعا ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعا وروى الأشجعي عبيد الله عن سفيان الثوري عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر نحوه ولم يرفعه حدثنا بذلك أبو كريب قلت ورواه الحسن بن عرفة عن شعبة

عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعاً «أوزاد فيه» ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال سعيد بن هشيم بن بشير عن أبيه عن كرز بن حكيم عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عين إلى الله تبارك وتعالى» ورواه الدارقطني عن جماعة عن أحمد بن يحيى بن حبان الرقي عن إبراهيم بن خرزاذ عنه (وقال الدارقطني) حدثنا أحمد بن سليمان حدثنا أحمد بن يونس حدثنا عبد الحميد بن صالح حدثنا أبو شهاب الخياط عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ألا أخبركم بأفضل أهل الجنة؟ قالوا بلى يا رسول الله، فذكر الحديث إلى أن قال حتى إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه أشرف الرب تبارك وتعالى عليهم فينظرون إلى وجه الرحمن عز وجل فيقول يا أهل الجنة هللوني وكبروني وسبحوني بما كنتم تهملوني وتكبروني وتسبحوني في دار الدنيا فيمتجأون بتهليل الرحمن فيقول تبارك وتعالى لداود يادود قم فمجدني فيقوم داود فيمجد ربه عز وجل» (وقال عثمان) بن سعيد الدارمي في رده على بشر المريسي حدثنا أحمد بن يونس عن أبي شهاب الخياط عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن ابن عمر يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: «أن أهل الجنة إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه تجللى لهم الرب تبارك وتعالى فنظروا إلى وجه الرحمن فنسوا كل نعيم عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمن»

(فصل)

وأما حديث عمارة بن ربيعة فقال ابن بطة في الإبانة حدثنا عبد الغافر بن سلامة الحمصي حدثنا محمد بن عوف بن سفيان الطائي حدثنا أبو اليان حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن عبد الله بن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر بن عمارة بن ربيعة عن أبيه قال: «نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضارون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا» قال ابن بطة وأخبرني أبو القاسم بن عمر بن أحمد عن أبي بكر أحمد بن هارون حدثنا عبد الرزاق بن منصور حدثنا المغيرة حدثنا المسعودي عن إسماعيل بن

أبي خالد عن أبي بكر بن عمار بن روية عن أبيه قال: «نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم تبارك وتعالى كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغامروا على ركعتين قبل دلوغ الشمس وركعتين بعد غروبها فافعلوا»

(فصل)

وأما حديث سلمان الفارسي فقال أبو معاوية حدثنا عاصم الأحول عن أبي عثمان عن سلمان الفارسي قال: «يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون يا نبي الله إن الله فتح بك وختم بك وغفر لك، قم فاشفع لنا إلى ربك، فيقول نعم أنا صاحبكم فخرج يحوش الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة فيأخذ بحلقة الباب فيقرع فيقال من هذا؟ فيقال محمد قال فيفتح له فيجىء حتى يقوم بين يدي الله فيستأذن في السجود فيؤذن له» الحديث

﴿فصل﴾

وأما حديث حذيفة بن اليمان فقال ابن بطة أخبرني أبو القاسم عمر بن أحمد عن أبي بكر أحمد بن هارون حدثنا يزيد بن جمهور حدثنا الحسن بن يحيى ابن كثير العنبري حدثني أبي عن إبراهيم بن المبارك عن القاسم بن مطيب عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة بن اليمان وقال البزار حدثنا محمد بن معمر وأحمد بن عمرو بن عبيد العصري قالا حدثنا يحيى بن كثير حدثنا إبراهيم ابن المبارك عن القاسم بن مطيب عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاني جبريل فاذا في كفه مرآة كأصفى المرايا وأحسنها وإذا في وسطها نكتة سوداء قل قلت يا جبريل ما هذه؟ قال هذه الدنيا صفاؤها وحسنها قال قلت وما هذه النكتة في وسطها؟ قال هذه الجمعة قال قلت وما الجمعة؟ قال يوم من أيام ربك عظيم وسأخبرك بشرفه وفضله واسمه في الآخرة (أما شرفه وفضله في الدنيا فإن الله تعالى جمع فيه أمر الخلق وأما ما يرجى فيه فإن فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم أو أمة مسلمة يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاهما إياه) وأما شرفه وفضله واسمه في الآخرة فإن الله تبارك وتعالى إذا صير أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار وجرت عليهم أيامها وساعاتها ليس بها ليل ولا نهار الا قد علم الله مقدار ذلك وساعاته فاذا كان يوم الجمعة في الحين الذي يبرز أو يخرج فيه أهل الجنة إلى جمعتهم نادى مناد يا أهل الجنة اخرجوا إلى

دار المزيد لا يعلم سعته وعرضه وطوله الا الله عز وجل في كسبان من المسك
قال فيخرج غلمان الانبياء بخابر من نور ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي
من ياقوت قال فاذا وضعت لهم وأخذ القوم بحالهم بعث الله تبارك وتعالى
عليهم ريحا تدعى المثيرة تثير عليهم آثار المسك الابيض تدخله من تحت ثيابهم
وتخرجه في وجوههم وأشعارهم فتلك الريح اعلم كيف تصنع بذلك المسك من
امراة احدمك لودفع اليها ذلك الطيب باذن الله تعالى قل ثم يوحى الله سبحانه
الى حملة العرش فيوضع بين ظهرائى الجنة وبينه وبينهم الحجب فيكون أول
ما يسمعون منه أن يقول أين عبادى الذين أطاعونى فى الغيب ولم يرونى وصدقوا
رسلى واتبعوا أمرى فسلونى فهذا يوم المزيد قال فيجتمعون على كلمة واحدة
ربنا رضينا عنك فارض عنا قال فيرجع الله تعالى فى قولهم ان يأهل الجنة انى لو
أرض عنكم لما أسكنتمكم جنتى فسلونى فهذا يوم المزيد قال فيجتمعون على كلمة
واحدة رضينا عنك فارض عنا قال فيرجع الله عز وجل فى قولهم ان يأهل الجنة
انى لو لم أرض عنكم لما أسكنتمكم جنتى فهذا يوم المزيد فسلونى قال فيجتمعون
على كلمة واحدة رب وجهك رب وجهك أرنا ننظر اليه قال فيكشف الله بارك
وتعالى تلك الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره شيء لولا انه قضى عليهم ان
لا يحترقوا لا يحترقوا اما غشاهم من نوره قال ثم يقال ارجعوا الى منازلكم قال فيرجعون
الى منازلهم وقد خفوا على أزواجهم وخفي عليهم مما غشاهم من نوره فاذا
صاروا الى منازلهم يزداد النور وأمكن ، ويزاد وأمكن حتى يرجعوا الى صورهم اتى
كانوا عليها قال فيقول لهم أزواجهم لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها
قال فيقولون ذلك بأن الله تبارك وتعالى تجلى لنا فنظرنا منه الى ما خفينا به
عليكم قال فلهم فى كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا فيه قال وذلك قوله عز وجل
(فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) (وقال عبد الرحمن
ابن مهدي) حدثنا اسرائيل عن أبى اسحاق عن مسلم بن يزيد السعدي عن
حذيفة فى قوله عز وجل (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال النظر الى وجه
الله عز وجل قال الحاكم وتفسير الصحابي عندنا فى حكم المرفوع

فصل

وأما حديث ابن عباس فروى ابن خزيمة من حديث حماد بن سلمة عن ابن
جدعان عن أبى نضرة قال : خطبنا ابن عباس فقال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: «ما من نبي الا وله دعوة تعجلها في الدنيا وإني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة فآتي باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فاقرع الباب فيقال من أنت؟ فأقول أنا محمد فآتي ربي وهو على كرسيه أو على سريره فيمتجلي لي ربي ذأخر له ساجداً» ورواه ابن عيينة عن ابن جدهان فقال عن أبي سعيد بدل ابن عباس وقال ابو بكر بن أبي داود حدثنا عمي محمد بن الاشعث حدثنا ابن جبير قال حدثني أبي جبير عن الحسن عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ان أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى في كل يوم جمعة في رمال الكافور وأقربهم منه مجلسا أسرعهم اليه يوم الجمعة وأبكرهم غدوا»

(فصل)

وأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص فقال الصنعاني حدثنا صدقة بن عمرو العقدي قال قرأت على محمد بن اسحاق حدثني أمية بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث مروان بن الحكم وهو أمير المدينة قال: «خاق الله الملائكة لعبادته أصنافا فان منهم لملائكة قياما صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة وملائكة ركوعا خشوعا من يوم خلقهم إلى يوم القيامة وسجودا منذ خلقهم إلى يوم القيامة، فاذا كان يوم القيامة وتجلي لهم تعالى ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا سببحانك ما عبدناك حق عبادتك»

❖(فصل)❖

وأما حديث أبي بن كعب فقال الدارقطني حدثنا عبد الصمد بن علي حدثنا محمد بن زكريا بن دينار قال حدثني قحطبة بن علاقة حدثنا أبو جلدة عن أبي العالية عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قل النظر إلى وجه الله عز وجل (وأما حديث كعب ابن عجرة) فقال محمد بن حميد حدثنا ابراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قل الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى

(فصل)

وأما حديث فضالة بن عبيد فقال عثمان بن سعيد الدارمي حدثنا محمد بن المهاجر عن أبي حليس عن أبي الدرداء أن فضالة يعني ابن عبيد كان يقول

: « اللهم اني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقاءك، في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة »

— فصل —

وأما حديث عبادة بن الصامت في مسند أحمد من حديث بقية حدثنا يحيى ابن سعيد عن خالد بن معدان عن عمرو بن الأسود عن جنادة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا أن مسيح الدجال رجل قصير أفحج (١) جعد أعور مظموس العين ليست بناتئة ولا جعراء (٢) فان التبس عليكم فاعلموا ان ربكم ليس بأعور وانكم ان تروا ربكم حتى تموتوا » (وأما حديث الرجل من أصحاب النبي ﷺ) فقال الصنعاني حدثنا روح بن عبادة حدثنا عباد بن منصور قال سمعت عدي بن أرطاة يخطب على المنبر بالمدائن فجعل يعظ حتى بكى وأبكنا ثم قال كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه « يا بني أوصيك أن لا تصلي صلاة إلا ظننت أنك لا تصلي بعدها غيرها حتى تموت، وتعال يا بني فعمل رجلين كأنهما قد وقفوا على النار ثم سألا الكرة، واقد سمعت فلانا - نسي عباد اسمه - ما بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم غيره فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان لله ملائكة ترعد فرائضهم من مخافته ما منهم ملك تقطر دمعته من عينه الا وقعت ملائكة يسبح الله تعالى وقال ملائكة : وجود منذ خاق الله السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة وصفوف لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون الى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة وتحبلى لهم رهبهم فنظروا اليه قالوا سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك أن نعبدك »

❦ فصل ❦

وهك بعض ما قاله بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وأئمة الاسلام بعدهم
(قول) أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال أبو اسحاق عن عامر بن سعد

(١) أفحج متباعدا ما بين التخذين (٢) جعراء أي غائرة متحجرة.

قرأ أبو بكر الصديق (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) فقالوا ما الزيادة يا خليفة رسول الله؟ قال النظر إلى وجهه الله تبارك وتعالى (قول) علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال عبد الرحمن بن أبي حاتم حدثنا علي بن ميسرة الهمداني حدثنا صالح ابن أبي خالد العنبري عن أبي الأحوص عن أبي إسحاق الهمداني عن عمارة ابن عبيد قال سمعت علياً يقول: «من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى وجهه الله تبارك وتعالى في جنته» (قول) حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسلم بن زيد عن حذيفة قال الزيادة النظر إلى وجهه الله تبارك وتعالى (قول) عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ذكر أبو عوانة عن هلال بن عبد الله بن عكيم قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول في هذا المسجد مسجد الكوفة يبدأ باليمين قبل أن يحدثننا فقال: «والله ما منكم من إنسان إلا أن ربه سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر قال فيقول ما غرك بي يا بن آدم ثلاث مرات، ماذا أجبتم المرسلين ثلاثاً؟ كيف عملت فيما علمت» وقال ابن أبي داود حدثنا أحمد بن الأزهر حدثنا إبراهيم بن الحكم حدثنا أبي عن عكرمة قال قيل لابن عباس كل من دخل الجنة يرى الله عز وجل قال نعم، وقال إسباط بن نصر عن إسماعيل السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود الزيادة النظر إلى وجهه الله عز وجل؟ (قول معاذ بن جبل) قال عبد الرحمن بن أبي حاتم أنبأنا إسحاق بن أحمد الخراز حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي عن المغيرة بن مسلم عن ميمون بن أبي حمزة قال: «كنت جالساً عند أبي وائل فدخل علينا رجل يقال له أبو عفيف فقال له شقيق بن سلمة يا أبا عفيف ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل قال بلى سمعته يقول يحشر الناس يوم القيامة في صعيد واحد فينادي أين المثقون فيقومون في كنف واحد من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر، قلت من المثقون؟ قال قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله في العبادة فيمرون إلى الجنة» (قول أبي هريرة رضي الله عنه) قال ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي النصر أن أبا هريرة كان يقول لن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت (قول عبد الله بن عمر) قال حسين الجعفي عن عبد الملك بن ابجر عن ثوير عن ابن عمر قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى ملكه ألفي عام يرى أدناه كما يرى أقصاه وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى وجهه

الله في كل يوم مرتين» (قول فضالة بن عبيد) ذكر الدارمي عن محمد بن مهاجر عن أبي حليس عن أبي الدرداء أن فضالة بن عبيد كان يقول: «اللهم اني أسألك الرضا بعد القضا ، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك» وقد تقدم: (قول أبي موسى الأشعري) قل وكيع عن أبي بكر الهذلي عن أبي تميم عن أبي موسى قال الزيادة النظر إلى وجه الله ، وروى يزيد بن هارون وابن أبي عدي وابن علية عن التيمي عن أسلم العجلي عن أبي مزانة عن أبي موسى الأشعري أنه كان يحدث الناس فشخصوا بأبصارهم فقال ماصرف أبصاركم عني؟ قالوا الهلال قال فكيف بكم إذا رأيتم وجه الله جبهة (قول أنس بن مالك) قال ابن أبي شيمة حدثنا يحيى بن عمار حدثنا شريك عن أبي الية طان عن أنس بن مالك في قوله عز وجل «ولدينا مزيد» قل يظهرهم الرب تبارك وتعالى يوم القيامة (قول جابر بن عبد الله) قال مروان بن معاوية عن الحكم بن أبي خالد عن الحسن بن جابر قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأديم عليهم بالكرامة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لا تبول ولا تروث لها أجنحة فيمعدون عليها ثم يأتون الجبار فإذا تجلى لهم خرواله سجداً فيقول يا أهل الجنة ارفعوا رؤسكم فقد رضيت عنكم لاسخط بعده: (قال الطبري) فتحصل في الباب ممن روى عن رسول الله ﷺ من الصحابة حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفساً منهم علي وأبو هريرة وأبو سعيد وجابر وأبو موسى وصهيب وجابر وابن عباس وأنس وعمار بن ياسر وأبي بن كعب ، وابن مسعود وزيد بن ثابت وحذيفة بن اليمان وعبادة بن الصامت وعدي بن حاتم وأبو رزين العقيلي وكعب بن عجرة وفضالة بن عبيد وبريدة بن الحصيب ورجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (وقال الدارقطني) أنبأنا محمد بن عبد الله حدثنا جعفر ابن محمد الأزهر حدثنا مفضل بن غسان قال سمعت يحيى بن معين يقول عندي سبعة عشر حديثاً في الرؤية كلها ضحاح (وقال البيهقي) رويناه في إثبات الرؤية عن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي موسى وغيرهم ولم يرو عن أحد منهم نفيها ولو كانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم في ذلك إلينا كما أنهم لما اختلفوا في رؤية الله بالأبصار في الدنيا نقل اختلافهم في ذلك إلينا فإما نقلت رؤية الله سبحانه وتعالى بالأبصار في الآخرة عنهم ولم ينقل عنهم في ذلك اختلاف كما نقل عنهم فيها اختلاف في الدنيا علمنا أنهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار في الآخرة متفقين ومجتمعين

(فصل)

وأما التابعون ونزل الاسلام وعصابة الايمان من أئمة الحديث والفقه والتفسير
وأئمة التصوف فأقوالهم أكثر من أن يحيط بها الا الله عز وجل قل سعيد بن
المسيب الزيادة النظر الى وجه الله رواه مالك عن يحيى عنه وقال الحسن الزيادة
النظر الى وجه الله رواه ابن أبي حاتم عنه وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى الزيادة
النظر الى وجه الله تعالى رواه حماد بن زيد عن ثابت عنه وقاله طاهر بن سعد
البجلي ذكره سفيان عن أبي اسحاق عنه وقاله عبد الرحمن بن سابط رواه
جرير بن ليث عنه وقاله عكرمة ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك وكعب
وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله أما بعد فاني أوصيك بتقوى الله
ولزوم طاعته والتمسك بأمره والمعاهدة على ما حملك الله من دينه واستحفظك
من كتابه فان بتقوى الله نجاة أولياء الله من سخطه وبها رافقوا أنبياءه وبها
نضرت وجوههم ونظروا الى خالقهم وهي عصمة في الدنيا من الفتن ومن كرب
يوم القيامة. وقال الحسن لو علم العابدون في الدنيا انهم لا يرون ربهم في الآخرة
لدابت أنفسهم في الدنيا وقال الاعمش وسعيد بن جبيرة إن أشرف أهل الجنة
لمن ينظر الى الله تبارك وتعالى غدوة وعشية وقال كعب ما نظر الله سبحانه الى
الجنة قط الا قال طيبي لاهلك فزادت ضعفا على ما كانت حتى ياتيها اهلها وما
من يوم كان لهم عيد في الدنيا الا ويخرجون في مقداره في رياض الجنة فيبرز
لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون اليه وتسنى عليهم الريح المسك ولا يسألون
الرب تعالى شيئا الا اعطاهم حتى يرجعوا وقد ازدادوا على ما كانوا من الحسن والجمال
مبشرين ضعفاء ثم يرجعون الى أزواجهم وقد ازدادوا مثل ذلك. وقال هشام بن حسان إن
الله سبحانه وتعالى يتجلى لاهل الجنة فاذا رآه اهل الجنة نسوا نعيم الجنة وقال طاووس
اصحاب المرآة والمقاييس لا يزال بهم المرآة والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية
ويخالفوا اهل السفة وقال شريك عن أبي اسحاق السبعي الزيادة النظر الى وجه الرحمن
تبارك وتعالى وقال حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى انه تلى
هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال اذا دخل أهل الجنة الجنة اعطوا
فيها ما سألوا وما شاءوا فيقول الله عز وجل لهم انه قد بقي من حقم شيء لم
تعطوه فمتجلى لهم ربهم فلا يكون ما عطوه عند ذلك بشيء فالحسنى الجنة

والزيادة النظر إلى وجه ربه عز وجل (ولا يرق وجوههم قتر ولا ذلة) بعد
نظرهم إلى ربه تبارك وتعالى ، وقال علي بن المديني سألت عبد الله بن المبارك عن
قوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً) قال عبد الله من أراد
النظر إلى وجه الله خالقه فليعمل عملاً صالحاً ولا يخبر به أحداً ، وقال نعيم بن
حماد سمعت ابن المبارك يقول ما حجب الله عز وجل أحداً عنه إلا عذبه ثم
قرأ (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ، ثم انهم لصالوا الجحيم ، ثم يقال هذا
الذي كنتم به تكذبون) قال بالرؤية ذكره ابن أبي الدنيا عن يعقوب عن اسحاق
عن نعيم ، وقال عباد بن العوام قدم علينا شريك بن عبد الله منذ خمسين سنة فقلت له
يا أبا عبد الله ان عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث « ان الله ينزل
إلى سماء الدنيا » و « ان أهل الجنة يرون ربهم » فحدثني بنحو عشرة أحاديث في هذا
وقال : اما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فهم ممن أخذوا ، وقال عقبة بن قبيصة أتينا أبا نعيم يوماً فنزل
إينا من الدرجة التي في داره فجلس وسطها كأنه مغضب فقل حدثنا سفيان
ابن سعيد ومندر الثوري وزهير بن معاوية وحدثنا حسن بن صالح بن حي
وحدثنا شريك بن عبد الله النخعي هؤلاء أبناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن الله تبارك وتعالى يرى في الآخرة حتى جاء ابن
يهودي صباح يزعم ان الله تعالى لا يرى - يعني بشر المرسي

﴿فصل﴾

في المنقول عن الأئمة الأربعة ونظراتهم وشيوخهم وأتباعهم على طريقهم
ومناهجهم (ذكر قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس) قال أحمد بن صالح المصري
حدثنا عبد الله بن وهب قال قال مالك بن أنس : الناس ينظرون إلى ربه عز
وجل يوم القيامة بأعينهم ؟ وقال الحارث بن مسكين حدثنا أشهب قال سئل مالك
عن قوله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) أتتظار إلى الله عز وجل ؟
قال نعم ، فقلت ان أقوماً يقولون تنظر ما عنده ، قال بل تنظر إليه نظراً وقد قال
موسى يارب أرني أنظر إليك ، قال لن تراني وقال الله تعالى (كلا انهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون) وذكر الطبري وغيره أنه قيل لمالك إنهم يزعمون ان الله لا
يرى ، فقال مالك السيف السيف (ذكر قهبل ابن المانجشون) قال أبو حاتم الرازي
(م - ١٦ - حادي الارواح)

قال أبو صالح كاتب الليث أُملى على عبد العزيز بن أبي سامة الماجشون وسألته عما
جحدت الجهمية فقال لم يزل يملئ لهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى (وجوه
يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) فقالوا لا يراه أحد يوم القيامة فجدوا، وإله
أفضل كرامة الله التي أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونضرت
أيامهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر فورب السماء والأرض ليعلن رؤيته
يوم القيامة للمخلصين له ثوابا لينضر بها وجوههم دون المجرمين وتفلح بها
حجبتهم على الجاحدين وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا يرونه كما زعموا انه
لا يرى ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم (ذكر قول الاوزاعي) ذكر ابن
أبي حاتم عنه قال اني لأرجو ان يحجب الله عز وجل جهما وأصحابه عن أفضل ثوابه
الذي وعد الله أوليائه حين يقول «وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة» فجحدتهم
وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعد الله أوليائه (ذكر قول الليث بن سعد) قال ابن
أبي حاتم حدثنا اسماعيل بن أبي الحارث حدثنا الهيثم بن خارجة قال سمعت الوليد
ابن مسلم يقول سألت الاوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن
سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية فقالوا تمر بلا كيف (قول سفيان بن
عمينة) ذكر الطبري وغيره عنه انه قال من لم يقل إن القرآن كلام الله وإن
الله يرى في الجنة فهو جهمي، وذكر عنه ابن أبي حاتم انه قال يصلى خلف
الجهمي والجهمي الذي يقول لا يرى ربه يوم القيامة (قول جرير بن عبد الحميد)
ذكر ابن أبي حاتم عنه انه ذكر حديث ابن سابط في الزيادة أنها النظر إلى وجه
الله فأناكره رجل فصاح به وأخرجه من مجلسه (قول عبد الله بن المبارك)
ذكر عبد الرحمن بن أبي حاتم عنه ان رجلا من الجهمية قال له يا أبا عبد الرحمن
(خدرا بأن جهنم جون بينند) ومعناه كيف يرى الله يوم القيامة؟
فقال بلعين، وقال ابن أبي الدنيا حدثنا يعقوب بن اسحق قال سمعت نعيم بن
حماد يقول سمعت بن المبارك يقول ما حجب الله عنه أحداً الا عذبه ثم قرأ
(كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم) ثم يقال هذا الذي
كنتم به تكذبون قال ابن المبارك بالرؤية (قول وكيع بن الجراح) ذكر ابن
أبي حاتم عنه انه قال يراه تبارك وتعالى المؤمنون في الجنة ولا يراه الا المؤمنون
(قول قتيبة بن سعيد) ذكر ابن أبي حاتم عنه قال قول الأئمة المأخوذة في
الإسلام والسنة الايمان بالرؤية والتصديق بالأحاديث التي جاءت عن رسول

صلى الله عليه وسلم في الرؤية (قول أبي عبيد القاسم بن سلام) ذكر ابن بطة وغيره عنه أنه ذكرت عنده هذه الأحاديث التي في الرؤية فقال هي عندنا حق رواها الثقات عن الثقات إلى أن صارت إلينا إلا أنا إذا قيل لنا فسروها لنا قلنا لا نفهم منها شيئاً ولكن نمضينا كما جاءت (قول أسود بن سالم شيخ الإمام أحمد) قال المروزي حدثنا عبد الوهاب الوراق قال سألت أسود بن سالم عن أحاديث الرؤية فقال احاف عليهما بالطلاق وبالمشى أنها حق (قول محمد ابن ادريس الشافعي) قد تقدم رواية الربيع عنه أنه قال في قوله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) لما حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا قال الربيع فقلت يا أبا عبد الله ونقول به؟ قال نعم وبه أدين الله، ولو لم يوقن محمد بن ادريس أنه يرى الله عز وجل لماعبد به. وقال ابن بطة حدثنا ابن الانباري حدثنا أبو القاسم الاعماني صاحب المزني قال قل الشافعي رحمه الله (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) دلالة على أن أولياء الله يرونه يوم القيامة بأبصارهم ووجوههم (قول امام السنة أحمد بن حنبل) قال اسحاق ابن منصور قلت لأحمد أليس ربنا تبارك وتعالى يراه أهل الجنة؟ أليس تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد صحيح، قال ابن منصور وقال اسحق بن راهويه صحيح ولا يدعه الاكل مبتدع أو ضعيف الرأي (وقال الفضل بن زياد) سمعت أبا عبد الله وقيل له تقول بالرؤية؟ فقال من لم يقل بالرؤية فهو جهمي، قال سمعت أبا عبد الله وبلغه عن رجل أنه قال ان الله لا يرى في الآخرة فغضب غضباً شديداً ثم قال من قال ان الله لا يرى في الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه، من كان من الناس أليس يقول الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقال أبو داود سمعت أحمد وذكر له عن رجل شيء في الرؤية فغضب وقال من قال ان الله لا يرى فهو كافر، وقال أبو داود سمعت أحمد بن حنبل وقيل له في رجل يحدث بحديث عن رجل عن أبي العتوف ان الله لا يرى في الآخرة فقال لعن الله من يحدث بهذا الحديث اليوم، ثم قال أخزى الله هذا، وقال أبو بكر المروزي قيل لأبي عبد الله تعرف عن يزيد بن هارون عن أبي العتوف عن أبي الزبير عن جابر ان استقر الجبل فسوف تراني وان لم يستقر فلا تراني في الدنيا ولا

في الآخرة فغضب أبو عبد الله غضباً شديداً حتى تبين في وجهه وكان قاعداً
 والناس حوله فأخذ نعله وانتعل وقال أخزى الله هذا لا ينبغي أن يكتب وودفع
 أن يكون يزيد بن هارون رواه أو حدث به وقال هذا جهمي كافر خالف ما قال
 الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال (كلا انهم عن ربهم
 يومئذ لمحجوبون) أخزى الله هذا الخبيث قال أبو عبد الله ومن زعم أن الله
 لا يرى في الآخرة فقد كفر ، وقال أبو طالب قال أبو عبد الله قول الله عز وجل
 (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) (وجاء ربك والملك
 صفاً صفاً) فمن قال ان الله لا يرى فقد كفر ، وقال اسحق بن ابراهيم ابن هاني
 سمعت أبا عبد الله يقول من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمي والجهمي كافر ، وقال
 يوسف بن موسى بن محمد القطان قيل لأبي عبد الله أهل الجنة ينظرون إلى
 ربهم تبارك وتعالى ويكلمونه ويكلمهم قال نعم ينظر اليهم وينظرون اليه ويكلمهم
 ويكلمونه كيف شاؤا اذا شاؤا ، وقال حنبل بن اسحق سمعت أبا عبد الله يقول
 القوم يرجعون إلى التعطيل في أقوالهم ينكرون الرؤية والآثار كلها وما ظننتم
 على هذا حتى سمعت مقالاتهم قال حنبل وسمعت أبا عبد الله يقول من زعم
 أن الله لا يرى في الآخرة فهو جهمي فقد كفر ، ورد على الله وعلى الرسول ومن
 زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلاً فقد كفر ورد على الله قوله قال أبو عبد الله
 فنحن نؤمن بهذه الأحاديث ونقرها ونمرها كما جاءت ، وقال الاثرم سمعت أبا
 عبد الله يقول فأما من يقول ان الله لا يرى في الآخرة فهو جهمي ، قال أبو عبد الله
 وانما تكلم من تكلم في رؤية الدنيا وقال ابراهيم بن زياد الصائغ سمعت أحمد بن حنبل
 يقول : « الرؤية من كذب بها فهو زنديق » وقال حنبل سمعت أبا عبد الله
 يقول : أدركنا الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئاً - أحاديث الرؤية -
 وكانوا يحدثون بها على الجملة يمرونها على حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين ،
 وقال أبو عبد الله قال الله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من
 وراء حجاب أو يرسل رسولا » وكلم الله موسى من وراء حجاب فقال رب أرني
 أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني
 فأخبر الله عز وجل أن موسى يراه في الآخرة وقال (كلا انهم عن ربهم يومئذ
 محجوبون) ولا يكون حجاب إلا لرؤية أخبر الله سبحانه وتعالى ان من

شاء الله ومن أراد يراه والكفار لا يرونه، قال حنبل وسمعت أبا عبد الله يقول قال الله تعالى: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» والاحاديث التي تروى في النظر إلى الله تعالى حديث جابر بن عبد الله وغيره «وتنظرون إلى ربكم» أحاديث صحاح وقال: «للمؤمنين أحسنوا الحسنى وزيادة» انظر إلى وجه الله تعالى قال أبو عبد الله يؤمن بها ونعلم أنها حق أحاديث الرؤية ونؤمن بأن الله يرى، نرى ربنا يوم القيامة لأنشك فيه ولا نرتاب، قال وسمعت أبا عبد الله يقول: من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله أمره يستتاب فإن تاب وإلا قتل، قال حنبل قلت لأبي عبد الله في أحاديث الرؤية فقال هذه صحاح يؤمن بها ونقر بها وكلما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أسناده جيد أقررنا به قال أبو عبد الله إذا لم تقرر بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ودفعناه رددنا على الله أمره قال الله عز وجل (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (قول اسحاق بن راهويه) ذكر الحاكم وشيخ الاسلام وغيرهما عنه أن عبد الله بن طاهر أمير خراسان سأله فقال يا أبا يعقوب هذه الاحاديث التي يروونها في النزول والرؤية ما هن؟ فقال رواها من روى الطهارة والغسل والصلاة والأحكام وذكر أشياء فإن يسكنوا في هذه عدولا والا فقد ارتفعت الأحكام وبطل الشرع فقال شفاك الله كما شفيتني أو كما قال (قول جميع أهل الإيمان) قال امام الأئمة محمد بن اسحاق بن خزيمة في كتابه ان المؤمنين لم يختلفوا أن المؤمنين يرون خالقهم يوم المعاد ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين (قول المزني) ذكر الطبري في السنة عن ابراهيم عن أبي داود المصري قال كنا عند نعيم بن حماد جالوسا فقال نعيم للمزني ما تقول في القرآن؟ فقال أقول انه كلام الله؛ فقال غير مخلوق؟ فقال غير مخلوق؛ قال وتقول ان الله يرى يوم القيامة؟ فقال نعم فلما افرق الناس قام إليه المزني فقال يا أبا عبد الله شهرتني على رؤوس الناس؛ فقال ان الناس قد أكثروا فيك فأردت أن أبرئك (قول جميع أهل اللغة) قال أبو عبد الله بن بطة سمعت أبا عمر محمد بن عبد الواحد صاحب اللغة يقول سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلبا يقول في قوله تعالى (وكان بالمؤمنين رحيما تحميهم يوم يلقونه سلام) أجمع أهل اللغة على أن اللقاء ههنا لا يكون الامعانة ونظرا بالابصار وحسبك بهذا الاسناد صحة؛ واللقاء ثابت بنص القرآن كما تقدم وبالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم وكل أحاديث اللقاء

صحيحة كحديث أنس في قصة حديث بئر معونة «إنا قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا» وحديث عبادة وعائشة وأبي هريرة وابن مسعود «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه» وحديث أنس «إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله» وحديث أبي ذر «لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لقيتكم بقرابها مغفرة» وحديث أبي موسى من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة» وغير ذلك من أحاديث اللقاء التي اطردت كلها بلفظ واحد

(فصل)

(في وعيد منكرى الرؤية)

قد تقدم قوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقول عبد الله ابن المبارك ما حجب الله عنه أحداً إلا أعذبه ثم قرأ قوله تعالى (ثم إنهم لضالوا لالجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) قال بالرؤية وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: «قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست فيها سحابة؟ قالوا لا؛ قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس فيه سحابة؟ قالوا لا؛ قال فوالذي نفس محمد بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما فيلقى العبد فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذكرك ترأس وترفع؟ فيقول بلى، فيقول أظننت أنك ملاقي؟ فيقول لا؛ فيقول فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقي الثاني فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذكرك ترأس وترفع؟ فيقول بلى أي ربني، فيقول أظننت أنك ملاقي فيقول لا؛ فيقول إني أنساك كما نسيتني، ثم يلقي الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يارب آمنت بك وبكتبك ورسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول ههنا إذا، ثم يقال الآن نبعث شاهداً عليك فيتذكر في نفسه من الذي يشهد على فيختم على فيه ويقال لقمضه انطقي فقمضه وخم وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المتناقض وذلك الذي يسخط الله عليه» فاجمع بين قوله فانكم سترون ربكم وقوله لمن ظن انه غير ملاقيه فإني أنساك كما نسيتني واجمع أهل اللغة على ان اللقاء المعاينة بالابصار يحصل لك العلم بان منكر الرؤية أحق بهذا الوعيد

(ومن تراجم أهل السنة على هذا الحديث) باب في الوعيد لمذكرى الرؤية كما فعل شيخ الاسلام وغيره وبالله التوفيق

(فصل)

قد دل القرآن والسنة المتواترة واجماع الصحابة وأئمة الاسلام وأهل الحديث عصابة الاسلام ونزل الايمان وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة بالابصار عيانا كما يرى القمر ليلة البدر صحويا وكما ترى الشمس في الظهيرة فان كان لما أخبر الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة وان له والله حق الحقيقة فلا يمكن ان يروه الا من فوقهم لاستحالة ان يروه من اسفل منهم أو خلفهم أو امامهم أو عن يمينهم أو عن شمالهم وان لم يكن لما أخبر به حقيقة كما يقوله افراخ الصابئة والفلاسفة والمجوس والفرعونية بطل الشرع والقرآن فان الذى جاء بهذه الاحاديث هو الذى جاء بالقرآن والشرعية والذى باعها هو الذى بلغ الدين فلا يجوز ان يجعل كلام الله ورسوله عضين بحيث يؤمن ببعض معانيه ويكفر ببعضها فلا يجتمع في قلب العبد بعد الادلاع على هذه الاحاديث وفهم معناها انكارها والشهادة بان محمدا رسول الله ابدًا. والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق، والمنحرفون في باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوطان (أحدهما) من يزعم انه يرى في الدنيا ويحاضر ويسامر و(الثاني) من يزعم انه لا يرى في الآخرة البتة ولا يكلم عباده وما أخبر الله به ورسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين وبالله التوفيق

— ❧ الباب السادس والستون ❧ —

❧ في تكليمه سبحانه وتعالى لاهل الجنة وخطابه لهم ومحاضرتهم وعلامتهم ❧ قل تعالى (ان الذين يشتركون بهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يذكىهم) وقال في حق الذين يكتفون ما أنزل الله من البينات والهدى (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلا اذ تكليمه لعباده عند الفرعونية والمعلقة مثل ان يقال يؤاكلهم ويشاربهم ونحو ذلك تعالى الله عما يقولون وقد أخبر الله

سبحانه انه يسلم على أهل الجنة وان ذلك السلام حقيقة وهو قول من رب
رحيم وتقدم تفسير النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الآية في حديث جابر في
الرؤية وانه يشرف عليهم من فوقهم ويقول سلام عليكم يا أهل الجنة فيرونه عيانا
وفي هذا اثبات الرؤية والتكليم والعلو والمعضلة تنكر هذه الامور الثلاثة وتكفر
القائل بها وتقدم حديث أبي هريرة في سوق الجنة وقول النبي صلى الله عليه
وسلم «ولا يبقى احد في ذلك المجلس الا حاضره الله محاضرة فيقول يا فلان أتذكر يوم
فعلت كذا وكذا» الحديث وتقدم حديث عدي بن حاتم «ما منكم الا من سيكلمه
ربه يوم القيامة» وحديث أبي هريرة في الرؤية وفيه «يقول الرب تبارك وتعالى
للعبد ألم اكرمك واسودك» الحديث وحديث بريدة «ما منكم من احد الا سيخلو
به ربه وليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب» الحديث وحديث أنس في يوم المزيدي
ومخاطبته فيه لاهل الجنة مرارا وبالجملة فتأمل أحاديث الرؤية تجد في اكثرها
ذكر التكليم قل انبخاري في صحيحه باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة وساق
فيه عدة احاديث فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه لهم
فانكار ذلك انكار لروح الجنة واعلى نعيمها وافضلها الذي ما طابت لاهلها الا به
والله المستعان

(الباب السابع والستون)

(في أبدية الجنة وأنها لا تنفنى ولا تبديد)

هذا مما يعلم بالاضطرار ان الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر به قال تعالى: «وأما
الذين سعدوا ففى الجنة خالدون فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء
غير مجذوذ» أى مقطوع ولا تنافى بين هذا وبين قوله الا ما شاء ربك واختلف السلف
في هذا الاستثناء فقال معمر بن الضحاك هو في الذين يخرجون من النار فيدخلون
الجنة يقول سبحانه انهم خالدون في الجنة مادامت السموات والارض الامدة كنههم
في النار «فأت» وهذا يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون الاخبار عن الذين سعدوا
وقع عن قوم مخصوصين وهم هؤلاء (والثاني) وهو الاظهر ان يكون وقع عن
جملة السعداء والتخصيص بالمذكورين هو في الاستثناء وما دل عليه وأحسن من
هذين التقديرين ان ترد المشيئة الى الجميع حيث لم يكونوا في الجنة في الموقف وعلى
هذا فلا يبقى في الآية تخصيص (وقلت فرقة أخرى) هو استثناء استثناء الرب تعالى

ولا يفعله كما تقول والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وأنت لا تراه بل تجزم بضربه
(وقالت فرقة أخرى) العرب إذا استئنيت شيئاً كثيراً مع مثله ومع ما هو أكثر
منه كان معنى إلا في ذلك ومعنى الواو سواء والمعنى على هذا سوى ما شاء الله
من الزيادة على مدة دوام السموات والأرض هذا قول الفراء (وسيمويه) يجعل
الإ بمعنى لكن (قلوا) ونظير ذلك أن تقول لي عليك ألف إلا الذين الذين
قبلها أي سوى الألفين قال ابن جرير وهذا أحب الوجهين إلى لأن الله تعالى
لاخافه لوعده وقد وصل الاستثناء بقوله عطاء غير مجذوذ، قلوا ونظيره أن
تقول أسكنتك داري حولاً إلا ما شئت أي سوى ما شئت أو لكن ما شئت من
الزيادة عليه (وقالت فرقة أخرى) هذا الاستثناء انما هو مدة احتباسهم عن الجنة
ما بين الموت والبعث وهو البرزخ إلى أن يصيروا إلى الجنة ثم هو خلود الأبد
فلم يغيبوا عن الجنة إلا بمقدار اقامتهم في البرزخ (وقالت فرقة أخرى)
العزيمة قد وقعت لهم من الله بالخلود الدائم إلا أن يشاء الله خلاف
ذلك إعلالاً لهم بأنهم مع خلودهم في مشيئته وهذا كما قال لنبيه (ولئن شئنا
لنذهبن بالذي أوصيناك) وقوله (فإن يشأ الله يختم على قلبك) وقوله (قل
لو شاء الله ما تلوته عليكم) ونظائره وأخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته
ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن (وقالت فرقة أخرى) المراد بمدة دوام السموات
والأرض في هذا العالم فأخبر سبحانه أنهم خالدون في الجنة مدة دوام السموات
والأرض إلا ما شاء الله أن يزيدهم عليه ولعل هذا قول من قال إن إلا بمعنى
سوى ولكن اختلفت عبارته وهذا اختيار ابن قتيبة قال المعنى خالدين فيها
مدة العالم سوى ما شاء أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم (وقالت فرقة
أخرى) ما بمعنى من كقوله (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) والمعنى
إلا من شاء ربك أنت يدخله النار بذنوبه من السعداء (والفرق) بين هذا
القول وبين أول الأقوال أن الاستثناء على ذلك القول من المدة وعلى هذا القول من
الأعيان (وقالت فرقة أخرى) المراد بالسموات والأرض سماء الجنة وأرضها
وهما باقيتان أبداً (وقوله) «إلا ما شاء ربك» إن كانت ما بمعنى من فهم الذين يدخلون
النار ثم يخرجون منها وإن كانت بمعنى الوقت فهو مدة احتباسهم في البرزخ
والموقف، قال الجعفي سألت عبد الله بن وهب عن هذا الاستثناء فقال سمعت

فيه أنه قدر وقوفهم في الموقف يوم القيامة إلى أن يقضى بين الناس (وقالت فرقة أخرى) الاستثناء راجع إلى مدة لبثهم في الدنيا وهذه الأقوال متقاربة ويمكن الجمع بينها بأن يقال أخبر سبحانه عن خلودهم في الجنة كل وقت الا وقتا يشاء أن لا يكونوا فيها وذلك يتناول وقت كونهم في الدنيا وفي البرزخ وفي موقف القيامة وعلى الصراط وكون بعضهم في النار مدة وعلى كل تقدير فهذه الآية من المتشابه وقوله فيها (عطاء غير مجذوذ) محكم وكذلك قوله (ان هذا لرزقنا ماله من نقاد) وقوله (أكلها دائم وظلها) وقوله (وما هم منها بمخرجين) وقد أكد الله سبحانه خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن وأخبر أنهم لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى وهذا الاستثناء منتطع وإذا ضممته إلى الاستثناء في قوله الا ماشاء ربك تبين لك المراد من الآيتين واستثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية وذاك مفارقة للجنة تقدم على الخلودهم فيها وبالله التوفيق وقد تقدم قول النبي صلى الله عليه وسلم « من يدخل الجنة ينعم ولا يبؤس ، ويخلد ولا يموت » وقوله « ينادى مناد يا أهل الجنة ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وان تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وان تحموا فلا تموتوا أبداً » وثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « يجاء بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة فيطلعون مشفقين ويقال يا أهل النار فيطلعون فرحين فيقال هل تعرفون هذا فقولون نعم هذا الموت فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت »

فصل

وهذا موضع اختلف فيه المتأخرون على ثلاثة أقوال (أحدها) ان الجنة والنار فانيتمان غير ابديتين بل كلاهما حادثتان فهما فانيتمان (والقول الثاني) انهما باقيةتان دائمتان لا يفنيان أبداً (والقول الثالث) أن الجنة باقية أبدية والنار فانية ونحن نذكر هذه الأقوال ومقابلها وما احتج به أرباب كل قول ونرد ما خالف كتاب الله وسنة رسوله فأما القول بفنائهما فهو قول قاله جهم بن صفوان إمام المعطلة الجهمية وليس له فيه سلف قط من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد

من أئمة الاسلام ولاقل به أحد من أهل السنة وهذا القول مما أنكره عليه
وعلى أتباعه أئمة الاسلام وكفروهم به وصاحوا بهم من أفطار الارض كما ذكره
عبد الله بن الامام أحمد في كتاب السنة عن خارجة بن مصعب انه قال كفرت
الجهمية بثلاث آيات من كتاب الله عز وجل بقول الله سبحانه وتعالى «أكلها دائم
وظلها» وهم يقولون لا يدوم، ويقول الله عز وجل «ما عندكم ينفد وما عند الله باق» (قال شيخ
الاسلام) وهذا قاله جهيم لاصله الذي اعتقده وهو امتناع وجود مالا يتناهى
من الحوادث وهو عمدة أهل الكلام التي استدلوها على حدوث الأجسام
وحدوث مالم يحل من الحوادث وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم فرأى
الجهيم أن ما يمنع من حوادث لأول لها في الماضي يمنع في المستقبل فدوام الفعل
ممتنع عنده على الرب تبارك وتعالى في المستقبل كما هو ممتنع عنده عليه في الماضي
وأبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة وافقه على هذا الاصل لكن قال ان هذا
يقتضى فناء الحركات لكونها متعاقبة شيئاً بعد شيء فقال بفناء حركات أهل
الجنة والنار حتى يصيروا في سكون دائم لا يقدر أحد منهم على حركة (وزعمت
فرقة) ممن وافقهم على امتناع حوادث لانهاية لها أن هذا القول مقتضى العقل
لكن لما جاء السمع ببقاء الجنة والنار قلنا بذلك، وكأن هؤلاء لم يعلموا ان ما كان
ممتنعاً في العقل لا يحىء الشرع بوقوعه اذ يستحيل عليه ان يخبر بوجود ما هو
ممتنع في العقل وكأنهم لم يفرقوا بين محالات العقول ومجازاتها فالسمع يحىء
بالثاني لا بالاول فالسمع يحىء بما يعجز العقل عن ادراكه ولا يستقل به ولا
يحىء بما يعلم العقل احالته، والاكثر من الذين وافقوا جهيماً وأبا الهذيل على
هذا الاصل فرقوا بين الماضي والمستقبل، وقالوا الماضي قد دخل في الوجود
بخلاف المستقبل، والممتنع انما هو دخول مالا يتناهى في الوجود لا بتقدير
دخوله شيئاً بعد شيء قالوا وهذا نظير ان يقول القائل لاء عطيك درهماً الاو أعطيك
بعده درهماً آخر فهذا ممكن، والاول نظير ان يقول لاء عطيك درهماً الاو أعطيك قبله
درهماً فهذا محال، وهؤلاء عندهم وجود مالا يتناهى في الماضي محال ووجوده
في المستقبل واجب، وفارعه في ذلك آخرون فقالوا بل الامر في الماضي كهو
في المستقبل ولا فرق بينهما بل الماضي والاستقبال أمر نسبي فكل ما يكون مستقبلاً

يصير ماضياً وكل ماض فقد كان مستقبلاً فلا يعقل إمكان الدوام في أحد الصرفين
واحالته في الطرف الآخر (قلوا) وهذه مسألة دوام فاعاية الرب تبارك وتعالى
وهو لم يزل ربا قادرا فعلا فإنه لم يزل حيا دائما قديرا ، ومن المحال ان يكون
الفعل ممتنعا عليه لذاته ثم ينقلب فيصير ممكنا لذاته من غير تجديد شيء وليس
للازل حد محدود حتى يصير الفعل ممكنا له عند ذلك الحد ويكون قبله ممتنعا عليه
فهذا القول تصوره كاف في الجزم بفساده ويكفي في فساد ان الوقت الذي انقلب
فيه الفعل من الاحالة الذاتية الى الامكان الذاتي إما ان يصح ان يفرض قبله
وقت يمكن فيه الفعل أولا يصح ، فإن قلتم لا يصح كان هذا تحكما غير معقول
وهو من جنس الهوس ، وان قلتم يصح قيل وكذلك ما يفرض قبله لا الى غاية فامن
زمن محقق أو مقدر الا والفعل ممكن فيه وهو صفة كمال واحسان ومتعلق حمد
الرب تعالى وربوبيته وماله وهو لم يزل ربا حميدا ما كان قادرا لم تتجدد له هذه
الافوصاف كما أنه لم يزل حيا مريدا دائما والحياة والارادة والعلم والقدرة تقتضي
آثارها ومتعلقاتها ، فكيف يعقل حتى قد ير عليم مريد ليس له مانع ولا قاهر يقهره
يستحيل عليه ان يفعل شيئا البتة؟ وكيف يجعل هذا أصل أصول الدين ويجعل
معيارا على ما أخبر الله به ورسوله ويفرق به بين جائزات العقول ومحالاتها؟ فاذا
كان هذا شأن الميزان فكيف يستقيم الموزون به ، وأما قول من فرق بان الماضي
قد دخل في الوجود دون المستقبل فكلام لا تحقيق وراءه فان الذي يحصره الوجود
من الحركات هو المنتهى ثم يعدم فيصير ماضيا كما كان معدوما لما كان مستقبلا
فوجوده بين عدمين وكلما انقضت جملة حدثت بعدها جملة أخرى فلهذا صار
ماضيا هو بعينه الذي كان مستقبلا فان دل الدليل على امتناع ما لا يتناهى شيئا
قبل شيء فهو بعينه دال على امتناعه شيئا بعد شيء ، وأما تفريقكم بقولكم المستقبل
نظير قوله ما أعطيك درهما الا واعطيك بعده درهما فهذا ممكن والماضي نظير
قوله ما أعطيك درهما الا واعطيك قبله درهما ، فهذا الفرق فيه تاليس لا يخفى
وليس بنظير ما نحن فيه بل نظيره ان يقول ما أعطيك درهما الا وقد تقدم مني
اعطاء درهم قبله فهذا ممكن الدوام في الماضي على حد امكانه في المستقبل ولا
فرق في العقل الصحيح بينهما البتة ، ولما لم يجد الجمهور وأبو الهذيل واتباعها بين
الامرين فرقا قالوا بوجوب تناهي الحركات في المستقبل كما يجب ابتداءها عندهم

في الماضي ، وقل أهل الحديث بل هما سواء في الامكان والوقوع ولم يزل الرب
 سبحانه وتعالى فعالا لما يريد ولم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال منعوتاً
 بنعوت الجلال . وليس المتكبر من الفعل كل وقت كذا لا يمكنه الفعل إلا في
 وقت معين وليس من يخاف كمن لا يخاف ، ومن يحسن كمن لا يحسن . ومن يدبر الامر
 كمن لا يدبر ، وأى كمال في ان يكون رب العالمين معطلا عن الفعل في مدة مقدره أو
 محقة لا تنهاه استحليل منه الفعل وحقيقة ذلك أنه لا يقدر عليه وان ايتهم
 هذا الاطلاق وقلتم ان المحال لا يوصف بكونه غير مقدور عليه فجمعتم بين محالين
 الحكم باباحة الفعل من غير موجب لاحالته وانقلابه من الاحالة الذاتية إلى
 الامكان الذاتي من غير تجدد سبب وزعمتم ان هذا هو الاصل الذي نشبتون به
 وجود الصانع وحدوث العالم وقيامه الا بدان فجئتم على العقل والشرع والرب
 تعالى لم يزل قادراً على الفعل والكلام بمشيئته ولم يزل فعالا لما يريد ولم يزل ربا
 محسناً * والمقصود ان القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة
 ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين والذين قالوا دائماً تلقوه عن قياس فاسد كما اشتبه
 اصله على كثير من الناس فاعتقدوه حقاً وبنوا عليه القول بخاق القرآن ونفى الصفات
 وقد دل القرآن والسنة والعقل الصريح على ان كلمات الله وأفعاله لا تنهاه ولا
 تنقطع بآخر ولا تحد بأول قال تعالى (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد
 البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) وقال تعالى : « ولو أن ما في
 الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله
 ان الله عزيز حكيم » فخير عن عدم نفاد كلماته لعزته وحكمته وهذان وصفان
 ذاتيان له سبحانه وتعالى لا يكون إلا كذلك وذكر ابن أبي حاتم في تفسيره
 عن ساجان بن عامر قال سمعت الربيع بن أنس يقول ان مثل علم العباد كلهم في
 علم الله عز وجل كقطرة من ماء البحر وكلما أُنزل الله سبحانه وتعالى في ذلك
 (ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام الآية) وقوله (قل لو كان البحر مداداً الآية)
 يقول سبحانه وتعالى قل لو كان البحر مداداً لكلمات الله والشجر كلها أقلام
 لا تكتم الاقلام وفي ماء البحر وكلمات الله تعالى بقية لا يفنيها شيء لان احداً
 لا يستطيع ان يقدر قدره ولا يثني عليه كما ينبغي بل هو كما اني على نفسه ان

ربنا كما يقول وفوق ما يقول، ثم ان مثل نعيم الدنيا اوله وآخره في نعيم الآخر
كعبة من خردل في خلال الارض كلها

﴿فصل﴾

وأما ابدية النار ودوامها فقال فيها شيخ الاسلام فيها قولان معروفان عن
السلف والخلف والنزاع في ذلك معروف عن التابعين «قلت» ههنا أقوال سبعة
(احدها) ان من دخلها لا يخرج منها أبدا بل كل من دخلها تخلد فيها أبد الآباد
بإذن الله وهذا قول الخوارج والمعتزلة (والثاني) ان أهلها يعذبون فيها مدة ثم
تنقلب عليهم وتبقى طبيعة نارية لهم يتلذذون بها لموافقتها لطبيعتهم وهذا قول
امام الاتحادية ابن عربي الطائي (قال في فصوصه) انشاء بصدق الوعد لا بصدق
الوعد والحضرة الالهية تطاب انشاء الحمد بلذات فيثنى عليها بصدق الوعد
لا بصدق الوعد بل بالتجاوز (فلا تحسبن الله مخاف وعده رسله) لم يقل وعيده
بل قال (وبتجاوز عن سيائهم) مع أنه توعد على ذلك، واثني على اسماعيل بانه
كان صادق الوعد وقد زال الامكان في حق الحق لما فيه من طلب المرجح

فلم يبق الا صادق الوعد وحده وما لو عيّد الحق عين تغاين
وان دخلوا دار الشقاء فانهم على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنات الخلد والامر واحد وبينهما عند التجلي تبان
يسمى عذابا من عذوبة طعمه وذاك له كالقشر والقشر صاين

وهذا في طرف والمعتزلة الذين يقولون لا يجوز على الله ان يخلف وعيده بل يجب
عليه تعذيب من توعد به بالعذاب في طرف، فاولئك عندهم لا ينجوا من النار من
دخلها اصلا وهذا عنده لا يعذب بها احدا اصلا والفريقان مخالفان لما علم
بالاضطرار ان الرسول جاء به واخبر به عن الله عز وجل (الثالث) قول من يقول
ان أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم
آخرون، وهذا القول حكاه اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم فأكذبهم فيه
وقد أكذبهم الله تعالى في اقرآن فيه فقال تعالى (وقلوا لن تمسنا النار الا
أياماً معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده) ثم تقولون
على الله ما لا تعلمون، بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب
النار هم فيها خالدون) وقال تعالى (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب

يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ، ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ، ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) فهذا القول إنما هو قول أعداء الله اليهود فهم شيوخ أربابه والقائلين به وقد دل القرآن والسنة واجماع الصحابة والتابعين وأئمة الاسلام على فساده قال تعالى (وما هم بخارجين من النار) وقال (وما هم منها بمخرجين) وقال (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) وقال تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) وقال تعالى (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) وقتل تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) وهذا ابلغ ما يكون في الاخبار عن استحالة دخولهم الجنة (الرابع) قول من يقول يخرجون منها وتبقى ناراً على حالها ليس فيها أحد يعذب حكاه شيخ الاسلام والقرآن والسنة أيضاً يردان على هذا القول كما تقدم (الخامس) قول من يقول بل تفنى بنفسها لأنها حادثة بعد أن لم تكن ومثبت حدوثه استحالة بقاؤه وأبديته وهذا قول جهنم بن صفوان وشيعته ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار (السادس) قول من يقول تفنى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جماداً لا يتحركون ولا يحسون بألم وهذا قول أبي الهذيل العلاف امام المعتزلة طارداً لامتناع حوادث لانهاية لها والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم (السابع) قول من يقول بل ينفىها ربها وخالقها تبارك وتعالى فانه جعل لها أمداً تمتهى اليه ثم تفنى ويذول عذابها قال شيخ الاسلام وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم وقد روى عبد بن حميد وهو من أجل أئمة الحديث في تنسيده المشهور حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن قال قال عمر « لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه » وقال حدثنا حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن ان عمر بن الخطاب قال : « لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه » ذكر ذلك في تفسير قوله تعالى (لا تبئنها فيها أحقابا) فقد رواه عبد وهو من الأئمة الحفاظ وعلماء السنة عن هذين الجليلين سليمان بن حرب وحجاج ابن منهال كلاهما عن حماد بن سلمة وحسبك به وحماد يرويه عن ثابت وحميد

وكلاهما يرويه عن الحسن وحسبك بهذا الاسناد جلالة؛ والحسن وان لم يسم
من عمر فانما رواه عن بعض التابعين ولو لم يصح عنده ذلك عن عمر لما جزم
به وقل قل عمر بن الخطاب؛ ولو قدر أنه لم يحفظ عن عمر فتداول هؤلاء الأئمة
له غير مقابلين له بالانكار والرد مع أنهم ينكرون على من خالف السنة بدون
هذا فلو كان هذا القول عند هؤلاء الأئمة من البدع المخالفة لكتاب الله وسنة
رسوله واجماع الأئمة لكانوا أول منكار له؛ قل ولا ريب أن من قل هذا القول
عن عمر ونقله عنه إنما أراد بذلك جنس أهل النار الذين هم أهلها فأما قوم
أصيبوا بذنوبهم فقد علم هؤلاء وغيرهم أنهم يخرجون منها وأنهم لا يلبثون قد
رمل عاج ولا قريباً منه؛ ولفظ أهل النار لا يختص بالموحدين بل يختص بمن
عداهم كي قل النبي صلى الله عليه وسلم؛ أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون
فيها ولا يحيون ولا يناقض هذا قوله تعالى (خالدين فيها) وقوله (وما هم منها
بمفرجين) بل ما أخبر الله به هو الحق والصدق الذي لا يتبع خلافه
لكن إذ انقضى أجلها وفنيت تفتى الدنيا لم تبقى ذرأاً ولم يبق فيها عذاب
قل أرباب هذا القول وفي تفسير على بن أبي ضاحجة الوالبي عن ابن عباس في قوله
تعالى (قل النار مشواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم) قال لا ينبغي
لاحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً قالوا وهذا الوعيد في
هذه الآية ليس مختصاً بأهل القبلة فإنه سبحانه قال (ويوم نحشرهم جميعاً
يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقل أولياؤهم من الانس ربنا استمتع
بعضنا ببعض وباغتنا أجلاً الذي أجلت لنا قال النار مشواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله
ان ربك حكيم عليم؛ وكذلك تولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون) وأولياء
الجن من الانس يدخل فيه الكفار قطعاً فانهم أحق بموالاتهم من عصاة المسلمين
كما قال تعالى: «انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون» وقال تعالى: «انه ليس له
سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه
والذين هم به مشركون» وقال تعالى: «ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فإذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون» وقال تعالى
: «أفنتخذونوه ذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو» وقال تعالى: «فقاتلوا أولياء
الشيطان» وقال تعالى: «أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون»

وقال تعالى: «وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعموهم انكم لمشركون» والاستثناء وقع في الآية التي أخبرت عن دخول أولياء الشياطين النار فمن ههنا قال ابن عباس لا ينبغي لأحد ان يحكم على الله في خلقه (قلوا) قول من قل إن الا بمعنى سوى أى سوى ما شاء الله أن يزيدهم من أنواع العذاب وزمنه لا تخفى منافرتة للمستثنى والمستثنى منه وان الذى يفهمه المخاطب مخالفة ما بعد إلا لما قبلها (قلوا) وقول من قال إنه لاخراج ما قبل دخولهم اليها من الزمان كزمان البرزخ والموقف ومدة الدنيا أيضاً لا يساعد عليه وجه الكلام فانه استثناء من جملة خبرية مضمونها أنهم إذا دخلوا النار لبثوا فيها مدة دوام السموات والارض إلا ما شاء الله وليس المراد الاستثناء قبل الدخول هذا ما لا يفهمه المخاطب ألا ترى أنه سبحانه يخاطبهم بهذا في النار حين يقولون (ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) فيقول لهم حينئذ (النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله) وفي قوله (ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) نوع اعتراف واستسلام وتحسراً أى استمتع الجن بنا واستمتعنا بهم فاشتركننا في الشرك ودواعيه وأسبابه وآثرنا الاستمتاع على طاعتك وطاعة رسلك وانقضت آجالنا وذهبت أعمارنا في ذلك ولم نكتسب فيها رضاك وانما كن غاية أمرنا في مدة آجالنا استمتاع بعضنا ببعض فنامل ما في هذا من الاعتراف بحقيقة ما هم عليه وكيف بدت لهم تلك الحقيقة ذلك اليوم وعلموا ان الذى كانوا فيه في مدة آجالهم هو حظهم من استمتاع بعضهم ببعض ولم يستمتعوا بعبادة ربهم ومعرفة وتوحيده ومحبة وإيثار مرضاته وهذا من نخط قولهم (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) وقوله (فاعترفوا بذنوبهم) وقوله (فاعلموا ان الحق لله) ونظائره والمتنصود ان قوله إلا ما شاء الله عائد إلى هؤلاء المذكورين مختصا بهم او شاملا لهم ولعصاة الموحدين؛ وأما اختصاصه بعصاة المسلمين دون هؤلاء فلا وجه له؛ ولما رأت طائفة ضعف هذا القول للاستثناء يرجع إلى مدة البرزخ والموقف وقد تبين ضعف هذا القول؛ ورأت طائفة أخرى ان الاستثناء يرجع إلى نوع آخر من العذاب غير النار (قلوا) والمعنى أنكم في النار أبداً إلا ما شاء الله أن يعذبكم بغيرها وهو الزمهرير وقد قال تعالى (ان جهنم كانت صادا للطاغين ما بآلأبين فيها أحقابا) قلوا والأبدا لا يقدر بالاحقاب وقوله

(م - ١٧ - حادى الأرواح)

قال ابن مسعود في هذه الآية لياتين على جهنم زمان وليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً، وعن أبي هريرة مثله حكاه البغوي عنهم ثم قال ومعناه عند أهل السنة أن ثبت أنه لا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان (قالوا) قد ثبت ذلك عن أبي هريرة وابن مسعود وعبد الله بن عمر وقد سأل حرب إسحق ابن راهويه عن هذه الآية فقال سألت إسحق قلت قول الله تعالى (خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك) فقال أتت هذه الآية على كل وعيد في القرآن حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا معتمر بن سليمان قال قال أبي حدثنا أبو نضرة عن جابر أو أبي سعيد أو بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه الآية تأتي على القرآن كله (إلا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد) قال المعتمر قل أتى على كل وعيد في القرآن حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة عن أبي بلخ سمع عمرو بن ميمون يحدث عن عبد الله بن عمرو قال لياتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً حدثنا عبيد الله حدثنا أبي حدثنا شعبة عن يحيى بن ايوب عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال ما أنا بلذي لا أقول انه سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد وقرأ قوله (فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الآية) قال عبيد الله كان أصحابنا يقولون يعني به الموحدين حدثنا ابو معن حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن سليمان التيمي عن أبي نضرة عن جابر ابن عبد الله أو بعض أصحابه في قوله (خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك) قال هذه الآية تأتي على القرآن كله وقد حكى ابن جرير هذا القول في تفسيره عن جماعة من السلف فقال وقال آخرون عنى بذلك أهل النار وكل من دخلها (ذكر من قال ذلك ثم ذكر الآثار التي نذكرها) وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن التيمي عن أبيه عن أبي نضرة عن جابر أو أبي سعيد أو عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله (الا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) قال هذه الآية تأتي على القرآن كله يقول حيث كان في القرآن خالدين فيها تأتي عليه قال وسمعت أبا مجاز يقول جزاؤه فان شاء الله تجاوز عن عذابه (وقال ابن جرير) حدثنا الحسن بن يحيى أنبأنا عبد الرزاق فذكره قال وحدث عن المسيب عن ذكره عن ابن عباس (خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ما شاء ربك) قال لا يموتون وما هم منها بمخرجين مادامت السموات والارض

إلا ما شاء ربك قال استئني الله قال أمر الله النار أن تأكلهم قال وقال ابن مسعود
ليأتين على جهنم زمان تحفق أبوابها ليس فيها أحد بعد ما يلبثون فيها أحقاباً حدثنا
ابن حميد حدثنا جرير عن بيان بن الشعبي قال جهنم أسرع الدارين عمراً
واسرعها خراباً وحكى ابن جرير في ذلك قولاً آخر فقال وقال آخرون أخبرنا
الله عز وجل بعشيئته لاهل الجنة فعرفنا معنى ثنياه بقوله عطاء غير مجذوذ وانها
لفى الزيادة على مقدار مدة السموات والارض قلوا ولم يخبرنا بعشيئته في أهل النار
وجائز ان تكون مشيئته في الزيادة وجائز ان تكون في النقصان حدثني يونس
أبنأنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تعالى (خالدين فيها مادامت السموات
والارض إلا ما شاء ربك) فقرأ حتى بلغ عطاء غير مجذوذ فقال أخبرنا بالذي يشاء
لاهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار (وقال ابن مردويه)
في تفسيره حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا جبير بن عرفة حدثنا يزيد بن مروان
الخللال حدثنا أبو خايم حدثنا سفيان يعني الثوري عن عمرو بن دينار عن
جابر قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (فأما الذين شقوا ففي النار لهم
فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ما شاء ربك) قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شاء الله أن يخرج أناساً من الذين شقوا من النار
فيدخلهم الجنة فعل وهذا الحديث يدل على ان الاستثناء إنما هو للخروج من
النار بعد دخولها خلافاً لمن زعم أنه لما قبل الدخول ولو كن إنما يدل على اخراج
بعضهم من النار وهذا حق بلا ريب وهو لا ينفي انقطاعها وفناء عذابها واكلها
لمن فيها وانهم يعذبون فيها دائماً مادامت كذلك وما هم منها بمخرجين فالحديث
دل على امرين (احدهما) ان بعض الاشقياء ان شاء الله أن يخرجهم من النار وهي
نار فعل وان الاستثناء إنما هو فيما بعد دخولها لا فيما قبله وعلى هذا فيكون
معنى الاستثناء إلا ما شاء ربك من الاشقياء فانهم لا يخلدون فيها ويكون
الاشقياء نوعين نوعاً يخرجون منها ونوعاً يخلدون فيها فيكونون من الذين
شقوا اولاً ثم يصيرون من الذين سعدوا فتجتمع لهم الشقاوة والسعادة في
وقتین قالوا وقد قال تعالى (ان جهنم كانت مرصداً للطاغين مآباً) لا بين فيها
أحقاباً لا يدوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حمياً وغساقاً جزاءً وفاقاً إنهم كانوا لا
يرجون حساباً وكذبوا بآياتنا كذاباً) فهذا صريح في وعيد الكفار المكذبين
بآياته ولا يقدر الا بدى بهذه الاحقاب ولا غيرها كما لا يقدر به القديم ولهذا

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو فَيَا رِوَادَ شُعْبَةَ عَنْ أَبِي بَاخٍ سَمِعَ عَمْرٍو بْنَ مَيْمُونٍ يُحَدِّثُ عَنْهُ (لِيَأْتِيَنَّ عَلَى جَهَنَّمَ يَوْمَ تُصَنَّفُ فِيهِ أَبْوَابُهَا لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ ذَلِكَ بَعْدَ مَا يَلْبَثُونَ فِيهَا أَحْقَابًا)

(فصل)

وَالَّذِينَ قَطَعُوا بَدْوَامَ النَّارِ لَهُمْ سِتُّ طُرُقٍ (أَجَدَهَا) اعْتِقَادُ الْإِجْمَاعِ فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ هَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَأَنَّ الْإِخْتِلَافَ فِيهِ حَدَثٌ وَهُوَ مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْبِدْعِ (الطَّرِيقُ الثَّانِي) أَنَّ الْقُرْآنَ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ دَلَالَةً قَطْعِيَّةً فَإِنَّهُ سَبَّحَانَهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ عَذَابٌ مُقِيمٌ وَأَنَّهُ لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ وَأَنَّهُ لَنْ يَزِيدَهُمْ إِلَّا عَذَابًا وَانَّهُمْ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ وَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ وَانَّهُمْ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُلْجَ الْجَلُّ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَانَّهُمْ لَا يَقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يَخْفَفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا وَإِنْ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا أَى مُقِيمًا لِأَزْمَا قَلُّوا وَهَذَا يَقِيدُ الْقَطْعَ بِدَوَامِهِ وَاسْتَمَرَّارِهِ (الطَّرِيقُ الثَّلَاثُ) أَنَّ السَّنَةَ الْمُسْتَفِيضَةَ أَخْبَرَتْ بِخُرُوجِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ دُونَ الْكُفَّارِ وَأَحَادِيثُ الشَّفَاعَةِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا صَرِيحَةٌ بِخُرُوجِ عَصَاةِ الْمُؤَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ وَإِنْ هَذَا حَكْمٌ مُخْتَصٌّ بِهِمْ فَلَوْ خَرَجَ الْكُفَّارُ مِنْهَا لَكَانُوا بِمَنْزِلَتِهِمْ وَلَمْ يَخْتَصَّ الْخُرُوجُ بِأَهْلِ الْإِيْمَانِ (الطَّرِيقُ الرَّابِعُ) أَنَّ الرَّسُولَ وَقَفْنَا عَلَى ذَلِكَ وَعَلَّمَنَا مِنْ دِينِهِ بِالضَّرُورَةِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ بِنَا إِلَى نَقْلِ مَعِينٍ كَمَا عَلَّمَنَا مِنْ دِينِهِ دَوَامَ الْجَنَّةِ وَعَدَمَ فَنَائِهَا (الطَّرِيقُ الْخَامِسُ) أَنَّ عَقَائِدَ السَّلَفِ وَأَهْلَ السَّنَةِ مُصَرِّحَةٌ بِأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ وَانَّهُمَا لَا يَفْنِيَانِ بَلْ هُمَا دَائِمَتَانِ وَأَنَّمَا يَذْكُرُونَ فَنَاءَهُنَّ عَنْ أَهْلِ الْبِدْعِ (الطَّرِيقُ السَّادِسُ) أَنَّ الْعَقْلَ يَقْضَى بِخُلُودِ الْكُفَّارِ فِي النَّارِ وَهَذَا مَبْنًى عَلَى قَاعِدَةٍ وَهِيَ أَنَّ الْمَعَادَ وَنَوَابِغَ النُّفُوسِ الْمَطْمِئِنَّةِ وَعَقُوبَةُ النُّفُوسِ الْفَاجِرَةِ هَلْ هُوَ مِمَّا يَعْلَمُ بِالْعَقْلِ أَوْ لَا يَعْلَمُ إِلَّا بِالسَّمْعِ؟ فِيهِ طَرِيقَتَانِ لِنَظَرِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ يَعْلَمُ بِالْعَقْلِ مَعَ السَّمْعِ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ كَانْكَارِهِ سَبَّحَانَهُ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَسُوَّى بَيْنَ الْإِبْرَارِ وَالْفُجَّارِ فِي الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ وَعَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ خَلَقَهُ عِبْنًا وَانَّهُمْ إِلَيْهِ لَا يَرْجِعُونَ وَأَنَّهُ يَتْرَكُهُمْ سُدًى أَى لَا يَشِيهِهِمْ وَلَا يَعَاقِبُهُمْ وَذَلِكَ يَقْدَحُ فِي حِكْمَتِهِ وَكَمَالِهِ وَأَنَّهُ نَسَبَهُ إِلَى مَا لَا يَلِيقُ بِهِ وَرَبَّمَا قَرَّرُوهُ بِأَنَّ النُّفُوسَ الْبَشَرِيَّةَ بَاقِيَةٌ وَاعْتِقَادَاتُهَا وَصِفَاتُهَا لِأَزْمَةٍ لَهَا لَا تَفَارِقُهَا وَإِنْ نَدِمَتْ عَلَيْهَا لَمَّا رَأَتْ الْعَذَابَ فَلَمْ تَنْدَمْ عَلَيْهَا لِقَبْحِهَا أَوْ كَرَاهَةِ رُبِّهَا لِهَا بَلْ لَوْ فَارَقَهَا الْعَذَابَ رَجَعَتْ كَمَا كَانَتْ أَوَّلًا (وَلَوْ تَرَى إِذْ وَفَّقُوا عَلَى النَّارِ

فقالوا يا ليتنا نردو لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدلهم ما كانوا يخفون
 من قبل لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) فهو لاء قد ذاقوا العذاب
 وبأشروده ولم ينزل سببه ومقتضيه من نفوسهم بل خبثها وكفرها ثم بها لم يفارقها بحيث
 لو ردوا لعادوا كفارا كما كانوا وهذا يدل على ان دوام تعذيبهم يقضى به العقل
 كما جاء به السمع وقال أصحاب الفناء الكلام على هذه الطرق يبين الصواب في
 هذه المسألة (فأما الطريق الاول) فالاجماع الذي ادعيتموه غير معلوم وانما
 يظن الاجماع في هذه المسألة من لم يعرف النزاع وقد عرف النزاع فيها قديما
 وحديثا بل لو كلف مدعى الاجماع ان ينقل عن عشرة من الصحابة فما دونهم إلى
 الواحد أنه قل ان النار لا تنفنى أبدا لم نجد إلى ذلك سبيلا ونحن قد نقلنا عنهم
 التصريح بخلاف ذلك فما وجدنا عن واحد منهم خلاف ذلك بل التابعون حكموا
 عنهم هذا وهذا قلوا والاجماع المعتمد به نوعان متفق عليهما ونوع ثالث مختلف
 فيه ولم يوجد واحد منها في هذه المسألة (النوع الاول) ما يكون معلوما من
 ضرورة الدين كوجوب أركان الإسلام وتحريم المحرمات الظاهرة (الثاني) ما ينقل
 من أهل الاجتهاد التصريح بحكمه (الثالث) ان يقول بعضهم القول وينشر في
 الامامة ولا ينكره أحد فإين معكم واحد من هذه الانواع ولو أن قائل الادعى الاجماع
 من هذه الطرق واحتج بان الصحابة صح عنهم ولم ينكر أحد منهم عليه نكاح
 أسعد بالاجماع منكم قلوا (وأما الطريق الثاني) وهو دلالة القرآن على بقاء النار وعدم
 فنائها فإين في القرآن دليل واحد يدل على ذلك نعم الذي دل عليه القرآن أن
 الكفار خالدون في النار أبدا وأنهم غير خارجين منها وأنه لا يفتر عنهم عذابها
 وانهم لا يموتون فيها وأن عذابهم فيها مقيم وأنه غرام لازم لهم وهذا كله مما لا
 نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وليس هذا مورد النزاع وانما
 النزاع في أمر آخر وهو أنه هل النار أبدية أو مما كتب عليه الفناء، وأما كون
 الكفار لا يخرجون منها ولا يفتر عنهم من عذابها ولا يقضى عليهم فيموتوا
 ولا يدخلون الجنة حتى يابح الجمل في سم الخياط فلم يختلف في ذلك الصحابة ولا
 التابعون ولا أهل السنة وإنما خالف في ذلك من قد حكينا أقوالهم من اليهود
 والاتحادية وبعض أهل البدع وهذه النصوص وأمثالها تقتض خلودهم في دار
 العذاب مادامت باقية ولا يخرجون منها مع بقائها البتة كما يخرج أهل التوحيد
 منها مع بقائها فالفرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله وبين من
 يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه (قلوا وأما الطريق الثالث) وهو مجيء

السنة المستفيضة بخروج أهل الكبائر من النار دون أهل الشرك
فهى حق لاشك فيه وهى إنما تدل على ما قلناه من خروج الموحدين منها وهى
دار عذاب لم تكن ويبقى المشركون فيها مادامت باقية والنصوص دلت على هذا
وعلى هذا (قالوا وأما الطريق الرابع) وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقفنا على ذلك ضرورة فلا ريب أنه من المعلوم من دينه بالضرورة أن الكفار
باقون فيها مادامت باقية هذا معلوم من دينه بالضرورة وأما كونها أبدية لا انتهاء
لها ولا تنفى كالجنة فاين فى القرآن والسنة دليل واحد يدل على ذلك (قالوا وأما
الطريق الخامس) وهو ان فى عقائد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان لا ينفيان
ابدا فلا ريب ان القول بفنائهما قول أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وهذا
القول لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين وأما فناء
النار وحدها فقد أوجدنا كم من قال به من الصحابة وتفريقهم بين الجنة والنار
فكيف يكون القول به من أقوال أهل البدع مع انه لا يعرف عن أحد من
أهل البدع التفريق بين الدارين فقولكم إنه من أقوال أهل البدع كلام
من لا خبرة له بمقالات بنى آدم وآرائهم واختلافهم ، قالوا والقول الذى يعد
من أقوال أهل البدع ما خالف كتاب الله وسنة رسوله واجماع الأمة أما الصحابة
أو من بعدهم ، وأما قول يوافق الكتاب والسنة وأقوال الصحابة فلا يعد من
أقوال أهل البدع وان دانوا به واعتقدوه فالحق يجب قبوله بمن قاله وبالباطل يجب رده
على من قاله وكان معاذ بن جبل يقول : « الله حكم قسط هلك المرتابون ان من ورائكم فتننا
يكثرفيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يقرؤه المؤمن والمنافق والمرأة والصبي والاسود
والأحمر فيموشك أحدهم أن يقول قد قرأت القرآن فما أظن أن يتبعونى حتى ابتدع
بذلهم غيره فأياكم وما ابتدع فان كل بدعة ضلالة وإياكم وزينة الحكيم ؟ فان الشيطان
قد يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة ، وان المنافق قد يقول كلمة الحق فقتلوا
الحق عمن جاء به فان على الحق نورا ، قالوا وكيف زينة الحكيم ، قال هى الكلمة تروكم
وتذكرونها وتقولون ما هذه ؟ فاحذروا زينته ولا تصدكم عنه فانه به شك أن
ينفى وان يراجع الحق ، وان العلم والايمان مكانهما إلى يوم القيامة » والذى اخبر به
أهل السنة فى عقائدهم هو الذى دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف
أن الجنة والنار مخلوقتان وان أهل النار لا يخرجون منها ولا يخفف عنهم من
عذابها ولا يفتر عنهم وانهم خالدون فيها ، ومن ذكر منهم ان النار لا تنفى

ابدا فانما قاله لظنه ان بعض أهل البدع قال بفنائها ولم يبلغه تلك الآثار التي تقدم ذكرها (قلوا وأما حكم العقل) بتخليد أهل النار فيها فاخبار عن العقل بما ليس عنده فان المسألة من المسائل التي لا تعلم إلا بخبر الصادق (وإن أصل الثواب والعقاب) فهل يعلم بالعقل مع السمع أولا يعلم إلا بالسمع وحده؟ ففيه قولان لنظار المسلمين من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم؛ والصحيح ان العقل دل على المعاد والثواب والعقاب اجمالا واما تفصيله فلا يعلم إلا بالسمع ودوام الثواب والعقاب مما لا يدل عليه العقل بمجرد واما علم بالسمع وقد دل السمع دلالة قاطعة على دوام ثواب المطيعين؛ واما عقاب العصاة فقد دل السمع أيضا دلالة قاطعة على انقطاعه في حق الموحدين؛ واما دوامه وانقطاعه في حق الكفار فهذا معترك النزاع فمن كان السمع من جانبه فهو أسعد بالصواب وبالله التوفيق

فصل

ونحن نذكر الفرق بين دوام الجنة والنار شرعا وعقلا وذلك يظهر من وجوه (أحدها) أن الله سبحانه وتعالى أخبر ببقاء نعيم أهل الجنة ودوامه وأنه لا تنفاد له ولا انقطاع وأنه غير مجذوذ؛ وأما النار فلم يخبر عنها بأكثر من خلود أهلها فيها وعدم خروجهم منها وأنهم لا يموتون فيها ولا يبعثون وأنها مؤبدة عليهم وأنهم كلما أرادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وان عذابها لازم لهم وأنه مقيم عليهم لا يفتر عنهم والفرق بين الخبرين ظاهر (الوجه الثاني) ان النار قد أخبر سبحانه وتعالى في ثلاث آيات عنها بما يدل على عدم ابديتها «الاولى» قوله سبحانه وتعالى (قال النار مثواكم خالدون فيها إلا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم) «الثانية» قوله (خالدون فيها مادامت السموات والارض إلا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد) «الثالثة» قوله (لا تبين فيها أحقابا) ولولا الأدلة القطعية الدالة على أبدية الجنة ودوامها لكان حكم الاستثنائيين في الموضوعين واحدا كيف وفي الآيتين من السياق ما يفرق بين الاستثنائيين فإنه قال في أهل النار (ان ربك فعال لما يريد) فعلمنا انه سبحانه وتعالى يريد ان يفعل فعلا لم يخبرنا به؛ وقال في أهل الجنة عطاء غير مجذوذ فعلمنا ان هذا العطاء والنعيم غير مقطوع عنهم ابدا فالعذاب موقت معلق والنعيم ليس بموقت ولا معلق (الوجه الثالث) أنه قد ثبت ان الجنة لم يدخلها من لم يعمل خيرا قط من المعذبين الذين يخرجهم الله من النار وأما النار فلم يدخلها من لم يعمل سوءا قط ولا يعذب الا من عصاه (الوجه الرابع) أنه قد ثبت ان الله سبحانه وتعالى ينشيء للجنة خلقا آخر يوم

القيامة يسكنهم اياها ولا يفعل ذلك بالنار، وأما الحديث الذي قد ورد في صحيح البخارى من قوله «وأما النار فينشىء الله لها خلقا آخرين» فغلط وقع من بعض الرواة انقلب عليه الحديث وإنما هو ما ساقه البخارى في الباب نفسه وأما الجنة فينشىء الله لها خلقا آخرين ذكره البخارى رحمه الله مبينا ان الحديث انقلب لفظه على من رواه بخلاف هذا وهذا، والمقصود أنه لا تقاس النار بالجنة في التأييد مع هذه الفروق (يوضحه الوجه الخامس) ان الجنة من موجب رحمته ورضاه، والنار من غضبه وسخطه، ورحمته سبحانه تغلب غضبه وتسبقة كما جاء في الصحيح من حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده موضوع على العرش ان رحمتي تغلب غضبي» وإذا كان رضاه يسبق غضبه وهو يغلبه كان اتسوية بين ما هو من موجب رضاه وما هو من موجب غضبه متمنعا (يوضحه الوجه السادس) أن ما كان بالرحمة والرحمة فهو مقصود لذاته قصد الغايات وما كان من موجب الغضب والسخط فهو مقصود لغيره قصد الوسائل فهو مسبوق مغلوب مراد لغيره وما كان بالرحمة فغالب سابق مراد لنفسه (يوضحه الوجه السابع) وهو أنه سبحانه قال، للجنة انت رحمتي أرحم بك من أشاء وقال للنار أنت عذابي أعذب بك من أشاء، وعذابه منفعل منفصل، وهو ناشئ عن غضبه، ورحمته هيناهي الجنة وهي رحمة مخلوقة ناشئة عن الرحمة التي هي صفة الرحمن فهنا أربعة أمور رحمة هي وصفه سبحانه، وثواب منفصل هو ناشئ عن رحمته، وغضب يقوم به سبحانه، وعقاب منفصل ينشأ عنه فاذا غلبت صفة الرحمة صفة الغضب فلا أن يغلب ما كان بالرحمة لما كان بالغضب أولى وأحرى، فلا تقاوم النار التي نشأت عن الغضب الجنة التي نشأت عن الرحمة (يوضحه الوجه الثامن) أن النار خلقت تخويفا للمؤمنين وتطهيراً للخطائين والمجرمين، فهي طهرة من الخبث الذي اكتسبته النفس في هذا العالم فان تطهرت ههنا بالتوبة النصوح والحسنات الماحية والمصائب المكفرة لم يحتاج إلى تطهير هناك وقيل لها مع جملة الطيبين سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وان لم تتطهر في هذه الدار ووافت الدار الأخرى بدرنها ونجاستها وخبثها أدخلت النار طهرة لها ويكون مكثها في النار بحسب زوال ذلك الدرن والخبث والنجاسة التي لا يغسلها الماء فاذا تطهرت الطهر التام أخرجت من النار والله سبحانه خلق عباده حنفاء وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، فلو خلوا وفطروهم لما

نشأوا على التوحيد ولكن عرض لاكثر الفطر ماغيرها، ولهذا كان نصيب النار أكثر من نصيب الجنة وكان هذا التغيير مراتب لا يحصيها الا الله فأرسل الله رساله وأنزل كتبه يذكر عباده بفطرته التي فطرهم عليها فعرف الموفقون الذين سبقت لهم من الله الحسنی صحة ما جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب بالفطرة الأولى فتوافق عندهم شرع الله ودينه الذي أرسل به رساله وفطرته التي فطرهم عليها فمنعتهم الشرعة المنزلة والفطرة المكملة، ان تسكتب نفوسهم خبثا ونجاسة ودرنا يعلق بها ولا يفارقها، بل كلما ألم بهم شيء من ذلك ومسهم طائف من الشيطان أغاروا عليه بالشرعة والفطرة فازالوا موجبيه وأثره، وكل هم الرب تعالى ذلك باقضية يقضيه الله مما يحبون أو يكرهون تمحص عنهم تلك الآثار التي شوشت الفطرة فجاء مقتضى الرحمة فصادف مكانا قابلا مستعدا لها ليس فيه شيء يدافعه فقال ههنا أمرت * وليس لله سبحانه غرض في تعذيب عباده بغير موجب كما قال تعالى (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليا) واستدر الاشقياء مع تغيير الفطرة ونقلها مما خلقت عليه إلى ضده حتى استحكم الفساد وتم التغيير فاحتاجوا في ازالة ذلك إلى تغيير آخر وتطهير ينقلهم إلى الصحة حيث لم تنقلهم آيات الله المتلوة والمخلوقة واقداره المحبوبة والمكروهة في هذه الدار فأتاح لهم آيات أخر وأقضية وعقوبات فوق التي كانت في الدنيا تستخرج ذلك الخبث والنجاسة التي لا تزول بغير النار فاذا زال موجب العذاب وسببه زال العذاب وبقي مقتضى الرحمة لامعارض له فان قيل هذا حق ولكن سببا التعذيب لا يزول إلا إذا كان السبب عارضا كعاصي الموحدين أما إذا كان لازما كالكفر والشرك فان أثره لا يزول كما لا يزول السبب، وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى بعينه في مواضع من كتابه * (منها) قوله تعالى (ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه) فهذا إخبار بان نفوسهم وطبائعهم لا تقتضي غير الكفر والشرك وأنها غير قابلة للإيمان أصلا (ومنها) قوله تعالى: « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا » فأخبر سبحانه ان ضلالهم وعماهم عن الهدى دائم لا يزول حتى مع معانة الحقائق التي أخبرت بها الرسل وإذا كان العمى والضلال لا يفارقهم فان موجبيه وأثره ومقتضاه لا يفارقهم * (ومنها) قوله تعالى (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) وهذا يدل على انه ليس فيهم خير

يقتضى الرحمة ولو كان فيهم خير لما ضيع عليهم اثره، ويدل على انهم لا خير فيهم هناك أيضاً قوله «اخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى مثقل ذرة من خير» فلو كان عند هؤلاء أدنى مثقال ذرة من خير لخرجوا منها مع الخارجين (قيل) لعمر الله إن هذا لمن أقوى ما يتمسك به في المسئلة وإن الامر كما قلتم ، وإن العذاب أي دوم بدوام موجبه وسببه ، ولاريب انهم في الآخرة في عصى وضلال كما كانوا في الدنيا وبواطنهم خبيثة كما كانت في الدنيا والعذاب مستمر عليهم دائماً ماداموا كذلك * ولكن هل هذا الكفر والتكذيب والخبث أمر ذاتي لهم زواله مستحيل أم هو أمر عارض طارئ على الفطرة قابل للزوال وهذا حرف المسئلة وليس بأيديكم ما يدل على استحالة زواله وأنه أمر ذاتي وقد أخبر سبحانه أنه فطر عباده على الخنيفة وأن الشياطين اجتالاهم عنها فلم يفطروهم سبحانه على الكفر والتكذيب كما فطر الحيوان البهيمة على طبيعته وإنما فطروهم على الاقرار بخالقهم ومحبة وتوحيده فاذا كان هذا الحق الذي قد فطروا عليه وخلقوا عليه قد امكن زواله بالكفر والشرك الباطل فامكان زوال الكفر والشرك الباطل بضده من الحق أولى وأحرى، ولاريب انهم لوردوا على تلك الحال التي هم عليها لعادوا لما نهوا عنه ولكن من أين لكم ان تلك الحال لا تزول ولا تتبدل بنشأة أخرى ينشئهم فيها تبارك وتعالى إذا أخذت النار مأخذها منهم، وحصلت الحكمة المطلوبة من عذابهم فأن العذاب لم يكن سدى وإنما كان الحكمة المطلوبة فاذا حصلت تلك الحكمة لم يبق في التعذيب أمر يطلب ولا غرض يقصد والله سبحانه ليس يشتفى بعذاب عباده كما يشتفى المظلوم من ظالمه وهو لا يعذب عبده لهذا الغرض وإنما يعذبه طهرة له ورحمة به فعذابه مصلحة له وإن تألم به غاية الألم كما ان عذابه بالحدود في الدنيا مصلحة لاربابها، وقد سمي الله سبحانه الحد عذاباً وقد اقتضت حكمته سبحانه ان جعل لكل داء دواء يناسبه ودواء الداء العضال يكون من أشق الادوية، والطبيب الشفيق يكوى المريض بالنار كيما بعد كي ليخرج منه المادة الرديئة الطارئة على الطبيعة المستقيمة وإن رأى قطع العضو أصحح للعامل قطعاه وأذاقه أشد الألم فهذا قضاء الرب وقدره في ازالة مادة غريبة طرأت على الطبيعة المستقيمة بغير اختيار العبد فكيف إذا طرأ على الفطرة السليمة مواد فاسدة باختيار العبد وارادته * وإذا تأمل اللبيب شرع الرب تعالى وقدره في الدنيا وثوابه وعقابه

في الآخرة وجد ذلك في غاية التناسب والتوافق وارتباط ذلك بعضه ببعض فان
مصدر الجميع عن علم تام وحكمة بالغة ورحمة سابعة وهو سبحانه الملك الحق المبين
وملكه ملك رحمة واحسان وعدل (الوجه التاسع) أن عقوبته للعبد ليست
لحاجته إلى عقوبته لالمنفعة تعود اليه ولا لدفع مضرته وألم يزول عنه بالعقوبة بل يتعالى
عن ذلك ويتنزه كما يتعالى عن سائر العيوب والنقائص ولا هي عبث محض خال عن
الحكمة والغاية الحميدة فانه أيضاً يتنزه عن ذلك ويتعالى عنه؛ فاما ان يكون من تمام
نعيم أوليائه وأحبابه؛ وإما ان يكون من مصلحة الأشقياء ومداواتهم أو لهذا ولهذا؛
وعلى التقادير الثلاث فالتعذيب أمر مقصود لغيره قصد الوسائل لا قصد الغايات والمراد
من الوسيلة إذا حصل على الوجه المطلوب زال حكمها؛ ونعيم أوليائه ليس متوقفاً في أصله
ولا في كماله على استمرار عذاب أعدائه ودوامه ومصلحة الأشقياء ليست في الدوام
والاستمرار وإن كان في أصل التعذيب مصلحة أهم (الوجه العاشر) أن رضا الرب تبارك
وتعالى ورحمته صفتان ذاتيتان له فلا منتهى لرضاه بل كما قال أعلم الخلق به سبحانه الله
وبحمده عند خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته فإذا كانت رحمته غلبت
غضبه فإن رضى نفسه أعلى وأعظم؛ فإن رضوانه أكثر من الخنات ونعيمها وكل
ما فيها وقد أخبر أهل الجنة أنه يحمل عليهم رضوانه فلا يسيخط عليهم أبداً* وأما
غضبه تبارك وتعالى وسخطه فليس من صفاته الذاتية التي يستحيل انفكاكها عنها
بحيث لم يزل ولا يزال غضبان* والناس لهم في صفة الغضب قولان (أحدهما)
انه من صفاته الفعلية القائمة به كسائر أفعاله (والثاني) أنه صفة فعل منفصل
عنه غير قائم به وعلى القولين فليس كالحياة والعلم والقدرة التي يستحيل مفارقتها
له والعذاب إنما ينشأ من صفة غضبه وما سعت النار إلا بغضبه؛ وقد جاء في
أثر مرفوع «إن الله خلق خلقاً من غضبه وأسكنهم بالمشرق وينتقم بهم ممن عصاه»
فخلوقاته سبحانه نوعان نوع مخلوق من الرحمة وبالرحمة ونوع مخلوق من الغضب
وبالغضب فانه سبحانه له الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي يتنزه عن تقدير
خلافه ومنه أنه يرضى ويغضب ويثيب ويعاقب ويعطي ويمنع ويعز ويذل وينتقم
ويعفو بل هذا موجب ما ملكه الحق وهو حقيقة الملك المقرون بالحكمة والرحمة
والحمد فإذا زال غضبه سبحانه وتبدل برضاه زالت عقوبته وتبدلت برحمته
فانقلب العقوبة رحمة بل لم تزل رحمة وان تنوعت صفاتها وصورتها كما كان

عقوبة العصاة رحمة واخراجهم من النار رحمة فتقبلوا في رحمته في الدنيا وتقبلوا فيها في الآخرة لكن تلك رحمة يحبونها وتوافق طبائعهم وهذه رحمة يكرهونها وتشق عليهم كرحمة الطبيب الذي يبضع لحم المريض ويبقى عليه المسكوى ليستخرج منه المواد الرديئة الفاسدة * (فان قيل) هذا اعتبار غير صحيح فان الطبيب يفعل ذلك بالعليل وهو يحبه وهو راض عنه ولم ينشأ فعله به عن غضبه عليه ولهذا لا يسمى عقوبة ، وأما عذاب هؤلاء فانه انما حصل بغضبه سبحانه عليهم وهو عقوبة محضة (قيل) هذا حق ولكن لا ينافي كونه رحمة بهم وان كان عقوبة لهم وهذا كقائمة الحدود عليهم في الدنيا فانه عقوبة ورحمة وتخفيف وطهرة فالحدود طهرة لأهلها وعقوبة وهم لما أغضبوا الرب تعالى وقابلوه بما لا يليق أن يقابل به وعاملوه أقبح المعاملة وكذبوه وكذبوا رسله وجعلوا أقل خلقه وأخبثهم وأمقتهم له ندا له وآلهة معه وآثروا رضاهم على رضاه وطاعتهم على طاعته وهو ولي الانعام عليهم وهو خالقهم ورازقهم ومولاهم الحق اشتد مقتهم لهم وغضبه عليهم وذلك يوجب كمال اسمائه وصفاته التي يستحيل عليه تقدير خلافها ويستحيل عليه تخلف آثارها ومقتضاها عنها بل ذلك تعطيل لأحكامها كما أن نفيها عنه تعطيل لحقائقها وكلا التعطيلين محال عليه سبحانه ، فالمعطون نوحان (أحدهما) عطل صفاته (الثاني) عطل أحكامها وموجباتها وكان هذا العذاب عقوبة لهم من هذا الوجه ودواء لهم من جهة الرحمة السابقة للغضب فاجتمع فيه الامران * فاذا زال الغضب بزوال سببه وزالت المادة الفاسدة بتغيير الطبيعة المقتضية لها في الجحيم بمرور الاحقاب عليها وحصت الحكمة التي أوجبت العقوبة عملت الرحمة عملها وطلبت أثرها من غير معارض (يوضحه الوجه الحادى عشر) وهو أن العفو أحب اليه سبحانه من الانتقام ، والرحمة أحب اليه من العقوبة * والرضا أحب اليه من الغضب * والفضل أحب اليه من العدل * ولهذا ظهرت آثار هذه المحبة في شرعه وقدره ويظهر كل الظهور لعباده في ثوابه وعقابه ، واذا كان ذلك أحب الامرين اليه وله خلق الخلق وأنزل الكتب وشرع الشرائع وقدرته سبحانه صالحة لكل شيء لا يقصور فيها بوجه ما ، وتلك المواد الرديئة الفاسدة مرض من الامراض ويبيده سبحانه الشفاء التام والادوية الموافقة لكل داء ، وله القدرة التامة والرحمة السابغة بالغنى المطابق ، وبالعبد أعظم حاجة

إلى من يداوى علة التي بلغت به غاية الضرر والمشقة وقد عرف العبد انه عليل
وأن دواءه بيد الغنى الحميد، فتضرع اليه ودخل به عليه واستكان له وانكسر
قلبه بين يديه وذلل لعزته وعرف أن الحمد كله له ، وأن الخلق كله له وأنه هو
الظلمون الجهول وأن ربه تبارك وتعالى شامله بكل عدله لا يبعض عدله وإن له
غاية الحمد فيما فعل به، وأن حمده هو الذى أقامه فى هذا المقام وأوصله اليه وأنه
لاخير عنده من نفسه بوجه من الوجوه بل ذلك محض فضل الله وصدقته
عليه وأنه لا نجاة له مما هو فيه الا بمجرد العفو والتجاوز عن حقه فنفسه أولى
بكل ذم وعيب ونقص وربه تعالى أولى بكل حمد ومال ومدح ، فلو أن أهل
الجحيم شهدوا نعمته سبحانه ورحمته ومكانه وحمده الذى أوجب لهم ذلك
فطلبوا مرضاته ولو بدوامهم فى تلك الحال وقالوا ان كان مانحن فيه
رضاك فرضاك الذى نريد ، وما أوصانا الى هذه الحال إلا طلب مالا
يرضيك فأما اذا أرضاك هذا منا فرضاك غاية ما نقصده (وما لجرح اذا
أرضاك من ألم) وأنت أرحم بنا من أنفسنا وأعلم بمصالحنا ولك الحمد كله طابقت
أو عفوت لا تقلبت النار عليهم بردا وسلاما (وقد روى الامام أحمد) فى مسنده
من حديث الاسود بن سريع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يأتى أربعة
يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئا ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات
فى فترة ، فأما الأصم فيقول رب لقد جاء الاسلام وما أسمع شيئا . وأما
الأحمق فيقول رب لقد جاء الاسلام والصبيان يحذفوني بالبرع ، وأما
الهرم فيقول ربى لقد جاء الاسلام وما أعقل شيئا ، وأما الذى مات فى
الفترة فيقول رب ما أتانى لك من رسول فيأخذ موافيقهم ليطيعه فيرسل
اليهم أن ادخلوا النار ، قال فوالذى نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم
بردا وسلاما » (وفى المسند أيضا) من حديث قتادة عن الحسن عن أبي رافع
عن أبي هريرة مثله وقال « فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها يسحب
اليها » فهو لألأ لما راضوا بتعذيبهم وبادروا اليه لما علموا أن فيه رضى ربهم وموافقة
أمره ومحبة انقلب فى حقهم نعيما (ومثل هذا) مارواه عبد الله بن المبارك
حدثني رشدين قال حدثني ابن أنعم عن أبي عثمان أنه حدثه عن أبي هريرة
رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن رجلين ممن دخلا
النار يشتمد صياحهما فقال الرب جل جلاله أخرجوهما فاذا أخرجا فقال لهما
لائى شيء اشتد صياحكما ؟ قل فعلنا ذلك لرحمنا ، قال رحمتي لكما أن تنطلقا

فقلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار قال فينطلقان فيلقى أحدهما نفسه فيجعلها الله سبحانه عليه بردا وسلاما ويقوم الآخر فلا يلقي فيقول له الرب مامنك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك؟ فيقول رب انى أرجوك أن لاتعبدنى فيها بعدما أخرجتنى منها، فيقول الرب تعالى لك رجاؤك فيدخلان الجنة جميعاً برحمة الله (وذكر الأوزاعى) عن بلال بن سعد قال: «يؤمر باخراج رجلين من النار فاذا أخرجا ووقفا قال الله لهما كيف وجدتما مقيكما وسوء مصيركما؟ فيقولان شر مقيل وأسوأ مصير صار اليه العباد فيقول لهما بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد قال فيؤمر بصرفهما إلى النار فأما أحدهما فيغدو في أغلاله وسلاسله حتى يقتحمها وأما الآخر فيمتلك فيؤمر بردها فيقول للذى غدا في أغلاله وسلاسله حتى اقتحمها ما حملك على ما صنعت وقد خرجت منها فيقول إنى خبرت من وبال معصيتك ما لم أكن أتعرض لسخطك ثانياً ويقول للذى تملك ما حملك على ما صنعت؟ فيقول حسن ظنى بك حين أخرجتنى منها أن لاتردنى إليها فيرحمهما جميعاً ويأمر بهما إلى الجنة» (الوجه الثانى عشر) أن النعيم والثواب من مقتضى رحمته ومغفرته وبزوه وكرمه ولذلك يضيف ذلك إلى نفسه وأما العذاب والعقوبة فانما هو من مخلوقاته، ولذلك لا يسمى بالمعاقب والمعذب بل يفرق بينهما فيجعل ذلك من أوصافه وهذا من مفعولاته حتى فى الآية الواحدة كقوله تعالى (نبي عبادى أتى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم) وقول تعالى (اعملوا ان الله شديد العقاب ، وأن الله غفور رحيم) وقال تعالى (إن ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم) ومثلها فى آخر الأنعام ، فما كان من مقتضى أسمائه وصفاته فانه يدوم بدوامها ولا سيما إذا كان محبوباً له وهو غاية مطلوبة فى نفسها وأما الشر الذى هو العذاب فلا يدخل فى أسمائه وصفاته وإن دخل فى مفعولاته لحكمة إذا حصلت زال وفنى بخلاف الخير فانه سبحانه دائم المعروف لا ينقطع معروفه أبداً وهو قديم الاحسان أبدى الاحسان فلم يزل ولا يزال محسناً على الدوام وليس من موجب أسمائه وصفاته أنه لا يزال معاقباً على الدوام غضبان على الدوام منتقمنا على الدوام ، فتأمل هذا الوجه تأمل فقيه فى باب أسماء الله وصفاته يفتح لك باباً من أبواب معرفته ومحبه (يوضحه الوجه الثالث عشر) وهو قول أعلم خلقه به ، وأعرفهم بأسمائه وصفاته (والشر ليس إليك) ولم يقف على

المعنى المقصود من قال الشر لا يتقرب به اليك بل الشر لا يضاف اليه سبحانه بوجه لافي ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا في أسمائه فان ذاته لها الكمال المطلق من جميع الوجود، وصفاته كلها صفات كمال محمد عليها ويثنى عليه بها وأفعاله كلها خير ورحمة وعدل وحكمة لا شر فيها بوجه ما، وأسماءه كلها حسنى فكيف يضاف الشر اليه بل الشر في مفعولاته ومخلوقاته وهو منفصل عنه اذ فعله غير مفعوله ففعله خير كله وأما المخلوق المفعول ففيه الخير والشر: وإذا كان الشر مخلوقاً منفصلاً غير قائم بالرب سبحانه فهو لا يضاف اليه وهو صلى الله عليه وسلم لم يقل أنت لا تخلق الشر حتى يطلب تأويل قوله وإنما نفى اضافته اليه وصفاً وفعلًا وأسماء * وإذا عرف هذا فالشر ليس الا الذنوب وموجباتها وأما الخير فهو الأيمان والطاعات وموجباتها والأيمان والطاعات متعلقة به سبحانه ولأجلها خلق خلقه وأرسل رسله وأنزل كتبه، وهى ثناء على الرب وإجلاله وتعظيمه وعبوديته وهذه لها آثار تطلبها وتقتضيها فتدوم آثارها بدوام متعلقها * وأما الشرور فليست مقصودة لذاتها ولا هى الغاية التى خلق لها الخلق فهى مفعولات قدرت لأمر محبوب وجعلت وسيلة إليه فاذا حصل ما قدرت له اضمحلت وتلاشت وعاد الأمر إلى الخير المحض (الوجه الرابع عشر) أنه سبحانه قد أخبر أن رحمته وسعت كل شيء فليس شيء من الأشياء الا وفيه رحمته ولا ينافى هذا أن رحم العبد بما يشق عليه ويؤلمه وتشتد كراهته له فان ذلك من رحمته أيضاً كما تقدم * وقد ذكرنا حديث أبى هريرة أنفاً وقوله تعالى لذينك الرجلين * رحمتى لكما أن تنطلقا فمبقيا أنفسكما حيث كنتما من النار * وقد جاء فى بعض الآثار أن العبد إذا دعا لمبتلى قد اشتد بلاؤه وقال اللهم ارحمه يقول الرب تبارك وتعالى كيف أرحمه من شيء به أرحمه فالاتلاء رحمة منه لعباده (وفى أثر الهى) يقول الله تعالى: «أهل ذكرى أهل مجالستى * وأهل طاعتى أهل كرامتى، وأهل شكرى أهل زيادتى، وأهل معصيتى لا أقنطهم من رحمتى ان تابوا فانا حبيبهم وان لم يتوبوا فانا طيبهم أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المصائب» * فالبلاء والعقوبة أدوية قدرت لأزالة أدواء لاتزول الا بها والنار هى الدواء الأكبر فمن تداوى فى الدنيا أغنا ذلك عن الدواء فى الآخرة والا فلا بد له من الدواء بحسب دائه ومن عرف الرب تبارك وتعالى بصفات جلاله

ونعوت كماله من حكمته ورحمته وبره واحسانه وغناه وجوده ومحبه إلى عباده وارادة الانعام عليهم وسبق رحمته لهم لم يبادر إلى انكار ذلك ان لم يبادر إلى قبوله (يوضحه الوجه الخامس عشر) أن أفعاله سبحانه لا تخرج عن الحكمة والرحمة والمصلحة والعدل فلا يفعل عبثاً ولا جوراً ولا باطلاً بل هو المنزه عن ذلك كما ينزه عن سائر العيوب والنقائص * وإذا ثبت ذلك فتعذيبهم ان كان رحمة بهم حتى يزول ذلك الخبث وتكمل الطهارة فظاهر ، وان كان للحكمة فاذا حصت تلك الحكمة المطلوبة زال العذاب وليس في الحكمة دوام العذاب أبد الآباد بحيث يكون دائماً بدوام الرب تبارك وتعالى وان كان لمصلحة فان كان يرجع اليهم فليست مصلحتهم في بقاءهم في العذاب كذلك ، وان كانت المصلحة تعود إلى أوليائه فان ذلك أكمل في نعيمهم فهذا لا يقتضي تأييد العذاب وليس نعيم أوليائه وكأله موقوفاً على بقاء آبائهم وأبنائهم وأزواجهم في العذاب السرمد * فان قلتم إن ذلك هو موجب الرحمة والحكمة والمصلحة قلتم ما لا يعقل ، وان قلتم إن ذلك عائد إلى محض المشيئة ولا تطلب له حكمة ولا غاية لجوابه من وجهين (أحدهما) أن ذلك محال على أحكم الحاكمين وأعلم العالمين ان تكون أفعاله معطلة عن الحكم والمصالح والغايات المحمودة والقرآن والسنة وأدلة العقول والفطر والآيات المشهودة شاهدة بطلان ذلك (والثاني) انه لو كان الامر كذلك لكان ابقاؤهم في العذاب وانقطاعه عنهم بالنسبة إلى مشيئته سواء ولم يكن في انقضائه ما ينافي كماله وهو سبحانه لم يخبر بابدية العذاب وانه لا نهاية له * وغاية الامر على هذا التقدير ان يكون من الجائزات الممكنات الموقوف حكمها على خبر الصادق فان سلكت طريق التعليل بالحكمة والرحمة والمصلحة لم يقتض الدوام وان سلكت طريق المشيئة المحضة التي لا تعمل لم تقتضه أيضاً وان وقف الامر على مجرد السمع فليس فيه ما يقتضيه (الوجه السادس عشر) أن رحمته سبحانه سبقت غضبه في المعذبين فانه أنشأهم برحمته ، ورباهم برحمته ورزقهم وعافاهم برحمته وأرسل اليهم الرسل برحمته ، وأسباب النعمة والعذاب متأخرة عن أسباب الرحمة طارئة عليها فرحمته سبقت غضبه فيهم وخلقهم على خلقه تسكون رحمته اليهم أقرب من غضبه وعقوبته ، ولهذا ترى أطفال الكفار قد أتت عليهم رحمته فمن رآهم رحمهم ، ولهذا نهى عن قتلهم فرحمته سبقت

غضبه فيهم، فكانت هي السابقة اليهم ففي كل حال هم في رحمته في حال معافاتهم
وابتلائهم وإذا كانت الرحمة هي السابقة فيهم لم يبطل أثرها بالكلية وإن عارضها
أثر الغضب والسخط فذلك لسبب منهم ، وأما أثر الرحمة فسببه منه سبحانه
فما منه يقتضى رحمته وما منهم يقتضى عقوبتهم والذي منه سابق وغالب
وإذا كانت رحمته تغلب غضبه فلائن يغلب أثر الرحمة أثر الغضب أولى وأحرى
(الوجه السابع عشر) أنه سبحانه يخبر عن العذاب أنه عذاب يوم عقيم وعذاب
يوم عظيم ، وعذاب يوم اليم ، ولا يخبر عن النعيم أنه نعيم يوم ولا في موضع
واحد ، وقد ثبت في الصحيح تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنة والمعذبون
متفاوتون في مدة لبثهم في العذاب بحسب جرائمهم والله سبحانه جعل العذاب
على ما كان من الدنيا وأسبابها، وما أريد به الدنيا ولم يرد به الله العذاب على ذلك
وأما ما كان للآخرة وأريد به وجه الله فلا عذاب عليه ، والدنيا قد جعل لها
أجل تنتهى إليه فما انتقل منها الى تلك الدار ما ليس لله فهو المعذب به ، وأما
ما أريد به وجه الله والدار الآخرة فقد أريد به ما لا ينفى ولا يزول فيدوم
بدوام المراد به، فإن الغاية المطلوبة إذا كانت دائمة لا تزول لم يزل ما تعاقب بها
بخلاف الغاية المضمحلة الثانية فما أريد به غير الله يضمحل ويزول بزوال مراده
ومطلوبه، وما أريد به وجه الله يبقى بمقاء المطلوب المراد فإذا اضمحلت الدنيا
وانقطعت أسبابها وانتقل ما كان فيها لغير الله، من الأعمال والذوات وانقلب عذابا
وآلاما لم يكن له متعلق يدوم بدوامه بخلاف النعيم (الوجه الثامن عشر) أنه
ليس في حكمة أحكم الحاكمين أن يخاق خلقا يعذبهم أبد الآباد عذابا سرمداً
لأنهاية له ولا انقطاع أبداً وقد دلت الأدلة السمعية والعقلية والفطرية على أنه
سبحانه حكيم وأنه أحكم الحاكمين فإذا عذب خلقه عذبهم بحكمة كما يوجد
التعذيب والعقوبة في الدنيا في شرعه وقدره فإن فيه من الحكم والمصالح وتطهير
العبد بمداواته وإخراج المواد الرديئة عنه بتلك الآلام ما تشهد العقول الصحيحة
وفى ذلك من تزكية النفوس وصلاحها وزجرها وردع نظائرها وتوقيفها على
فقرها وضرورتها الى ربها وغير ذلك من الحكم والغايات الحميدة ما لا يعلمه إلا
الله ، ولا ريب أن الجنة طيبة لا يدخاها الا طيب ولهذا يحاسبون اذا قطعوا
الصراط على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم

في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة ومعلوم ان النفوس
 الشريرة الخبيثة المضاعة التي لو ردت الى الدنيا قبل العذاب لعادت لما نهيت عنه
 لا يصلح أن تسكن دار السلام في جوار رب العالمين ، فإذا عذبوا بالنار عذابا
 تخلص نفوسهم من ذلك الخبث والوسخ والدرن كان ذلك من حكمة أحكم الحاكمين
 ورحمته ولا ينافي الحكمة خلق نفوس فيها شر يزول بالبلاء الطويل والنار كم
 يزول بها خبث الذهب والفضة والحديد فهذا معقول في الحكمة وهو من لوازم
 العالم الخلق على هذه الصفة ، أما خلق نفوس لا يزول شرها أبدا وعذابها لا انتهاء
 له فلا يظهر في الحكمة والرحمة وفي وجود مثل هذا النوع نزاع بين العقلاء أعنى
 ذواتها هي شر من كل وجه ليس فيها شيء من خير أصلا وعلى تقدير دخوله في
 الوجود فالرب تبارك وتعالى قادر على قلب الأعيان واحالتها و إحالة صفاتها فإذا
 وجدت الحكمة المطلوبة من خلق هذه النفوس والحكمة المطلوبة من تعذيبها فالله
 سبحانه قادر أن ينشئها نشأة أخرى غير تلك النشأة ويرحمها في النشأة الثانية نوعا آخر
 من الرحمة (يوضحه الوجه التاسع عشر) وهو انه قد ثبت أن الله سبحانه ينشئ للجنة
 خلقا آخر يسكنهم اياها ولم يعملوا خيرا تكون الجنة جزاء لهم عليه فاذا أخذ
 العذاب من هذه النفوس مأخذة وبلغت العقوبة ببلغها فانكسرت تلك النفوس
 وخضعت وذلت واعترفت لربها وفاطرها بالحمد ، وأنه عدل فيها كل العدل ، وانها
 في هذه الحال كانت في تخفيف منه ولو شاء أن يكون عذابهم أشد من ذلك لفعل
 وشاء كتب العقوبة طلبا لموافقة رضاه ومحبته وعلم أن العذاب أولى بها وأنه
 لا يليق بها سواه ولا تصلح إلا له فذابت منها تلك الخبائث كلها وتلاشت
 وتبدلت بذل وانكسار وحمد وثناء على الرب تبارك وتعالى لم يكن في حكمته أن
 يستمر بها في العذاب بعد ذلك اذ قد تبدل شرها بخيرها ، وشرها بتوحيدها
 وكبرها بخضوعها وذلتها ، ولا ينتقض هذا بقوله عز وجل (ولو ردوا لعادوا لما
 نهوا عنه) فان هذا قبل مباشرة العذاب الذي يزيل تلك الخبائث وانما هو عند
 المعينة قبل الدخول فانه سبحانه قال (ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا
 نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، بل بدا لهم ما كانوا يخفون من
 قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) فهذا اما قلوه قبل أن
 يستخرج العذاب منهم تلك الخبائث ، فأما إذا لبسوا في العذاب أحقابا والحقب

كما رواه الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة رضى الله عنه عن النبي صلى
عليه وسلم أنه قال « الحطب خمسون ألف سنة » فإنه من الممتنع أن يبقى ذا
الكبر والشرك والخبث بعد هذه المدة المتطاولة في العذاب ؛ (الوجه العشرون)
انه قد ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري في حديث الشفاعة « فيقول
عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين
فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا جميعا فيلقينهم
في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل
فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا
خير قدموه » هؤلاء احرقتهم النار جميعهم فلم يبق في بدن أحدهم موضع لما
تمسه النار بحيث صاروا جميعا وهو الفحيم المحترق بالنار ، وظاهر السياق انه لم يكن
في قلوبهم مثقال ذرة من خير فان لفظ الحديث هكذا « فيقول ارجعوا فن وجدتم
في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلعا كثيرا ثم يقولون ربنا لم
نذر فيها خيرا فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون
ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض الله قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا
خيرا قط » فهذا السياق يدل على أن هؤلاء لم يكن في قلوبهم مثقال ذرة من خير
ومع هذا فأخرجتهم الرحمة ومن هذا رحمة سبحانه للذي أوصى أهله أن يحرقوه
بالنار ويذروه في البر والبحر زعمانه بأنه يفوت الله سبحانه فهذا قد شك في المعاد
والقدرة ولم يعمل خيرا قط ومع هذا فقال له ما حملك على ما صنعت ؟ قال خشيتك
وأنت أعلم فما تلافاه أن رحمه الله فله سبحانه في خلقه حكم لا تبلغه عقول البشر
وقد ثبت في حديث أنس رضى الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يقول
الله عز وجل أخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني في مقام » قالوا ومن
ذا الذي في مدة عمره كلها من أولها إلى آخرها لم يذكر ربه يوما واحدا ولا خافه
ساعة واحدة ولا ريب أن رحمة سبحانه إذا أخرجت من النار من ذكره وقتا أو
خافه في مقام ما ، فيغير بدع أن تنفى النار ولكن هؤلاء خرجوا منها وهي نار
(الوجه الحادي والعشرون) أن اعتراف العبد بذنبه حقيقة الاعتراف المتضمن
لنسبة السوء والظلم واللوم اليه من كل وجه ونسبة العدل والحمد والرحمة والكمال
المطلق إلى ربه من كل وجه يستعطف ربه تبارك وتعالى عليه ويستدعي رحمته

له وإذا أراد أن يرحم عبده ألقى ذلك في قلبه والرحمة معه ولا سيما إذا اقترن
بذلك جزم العبد على ترك المعادة لما يسخط ربه عليه وعلم الله أن ذلك داخل
قلبه وسويدائه فانه لا تتخلف عنه الرحمة مع ذلك ، وفي معجم الطبراني من
حديث يزيد بن سنان الرهاوي عن سليمان بن عامر عن أبي امامة رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان آخر رجل يدخل الجنة رجل يتقلب
على الصراط ظهرا لبطن كالغلام يضربه أبوه وهو يفر منه يعجز عنه عمله
ان يسعى فيقول يارب بلع بي الجنة ونجني من النار فيرحي الله تبارك وتعالى
اليه عبدى إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة أتعترف لي بذنوبك وخطاياك
فيقول العبد نعم يارب وعزتك وجلالك إن نجيتني من النار لأعترفن لك بذنوب
وخطاياى فيجوز الجسر ويقول العبد فيما بينه وبين نفسه لئن اعترفت له بذنوبي
وخطاياى ليردنى إلى النار، فيوحى الله اليه عبدى اعترف لي بذنوبك وخطاياك
أغفرها لك وأدخلك الجنة فيقول العبد لا وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنبا قط
ولا أخطأت خطيئة قط فيوحى الله اليه عبدى ان لي عليك بينة فيلتفت العبد يمينا
وشمالا فلا يرى أحدا فيقول يارب أرني بينتك فيستنطق الله تعالى جلده بالحقرات
فاذا رأى ذلك العبد فيقول يارب عندى وعزتك العظام فيوحى الله اليه عبدى
انا أعرف بها منك اعترف لي بها أغفرها لك وأدخلك الجنة فيعترف العبد بذنوبه
فيدخل الجنة ثم ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه يقول
هذا ادنى أهل الجنة منزلة فكيف بالذى فوقه؟» فالرب تعالى يريد من عبده
الاعتراف والانكسار بين يديه والخضوع والدلة له والعزم على مرضاته* فإدام أهل
النار فاقدين لهذا الروح فهم فاقدون لروح الرحمة فاذا أراد عز وجل ان يرحمهم
أو من يشاء منهم جعل في قلبه ذلك فتدركه الرحمة وقدرة الرب تبارك وتعالى غير
قاصرة عن ذلك وليس فيه ما يناقض موجب أسمائه وصفاته وقد أخبرانه فعال لما
يريد* (الوجه الثانى والعشرون) انه سبحانه قد أوجب الخلود على معاصى من
الكبائر وقيد بالتأبيد ولم يناف ذلك انقطاعه وانتهائه (فمنها) قوله تعالى: «ومن يقتل
مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً
عظيماً» (ومنها) قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته في
يده يتوجأ بها في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً» وهو حديث صحيح* وكذلك

قوله في الحديث الآخر في قاتل نفسه « فيقول الله تبارك وتعالى بادرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة » وأبلغ من هذا قوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله فإن له نارجهنم خالدین فیها أبدا) فهذا وعيد مقيد بالخلود والتأيد مع انقطاعه قطعاً بسبب من العبد وهو التوحيد * فكذلك الوعيد العام لاهل النار لا يمتنع انقطاعه بسبب من كتب على نفسه الرحمة وغلبت رحمته غضبه ، فلو يعلم الكافر بكل إمام عنده من الرحمة لما يئس من رحمته كما في صحيح البخارى عنه صلى الله عليه وسلم : « خلق الله الرحمة يوم خلقها مائة رحمة ، وقال في آخره فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم يئأس من الجنة ، ولو يعلم المسلم بكل الذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار » (الوجه الثالث والعشرون) انه لو جاء الخبر منه سبحانه صريحاً بان عذاب النار لا انتهاء له وانه أبدي لا انقطاع له ، لكان ذلك وعيداً منه سبحانه والله تعالى لا يخلف وعده * وأما الوعيد فذهب أهل السنة كلهم ان اخلافه كرم وعفو وتجاوز يمدح الرب تبارك وتعالى به ويثنى عليه به فانه حق له ان شاء تركه وان شاء استوفاه والكریم لا يستوفى حقه فكيف باكرم الاكرمين !! وقد صرح سبحانه في كتابه في غير موضع بانه لا يخلف وعده ولم يقل في موضع واحد لا يخلف وعيده ، وقد روى أبو يعلى الموصلى ثنا هبة بن خالد ثنا سهيل ابن أبى حزم ثنا ثابت البناني عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه ، ومن أوعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار » وقال أبو الشيخ الاصبهاني ثنا محمد بن حمزة ثنا أحمد ابن الخليل ثنا الاصمعي قال : « جاء عمرو بن عبيد الى أبى عمرو بن العلاء فقال يا أبا عمرو يخلف الله ما وعده ؟ قال لا ، قال أفرأيت من أوعده الله على عمله عقابا يخلف الله وعده عليه ؟ فقال أبو عمرو بن العلاء من العجمة أتيت يا أبا عثمان ان الوعد غير الوعيد ان العرب لا تعد عاراً ولا خلفاً أن تعد شراً ثم لا تفعله ترى ذلك كرماً وفضلاً وانما الخلف أن تعد خيراً ثم لا تفعله ، قال فأوجدنى هذا في كلام العرب قال نعم أما سمعت إلى قول الاول

ولا يرهب ابن العم ما عشت سطوتي ولا أخشى من صولة المتهدد
وإني وإن أوعدت أو وعدته لخلف إيعادى ومنجز موعدى
قال أبو الشيخ وقال يحيى بن معاذ الوعد والوعيد حق فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم اذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا ومن أولى بالوفاء من الله ، والوعيد

حقه على العباد قال لا تفعلوا كذا فأعذبكم ففعلوا فان شاء عفا وان شاء أخذ لانه
حقه وأولاهما برئنا تبارك وتعالى العفو والكرم انه غفور رحيم ، ومما يدل على
ذلك ويؤيده خبر كعب بن زهير حين أوعده رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : نبئت أن رسول الله أوعدني * والعفو عند رسول الله مأمول
فاذا كان هذا في وعيد مطاق فكيف بوعيد مقرون باستثناء معقب بقوله ان ربك
فعال لما يريد وهذا اخبار منه أنه يفعل ما يريد عقيب قوله إلا ما شاء ربك فهو
عائد اليه ولا بد ، ولا يجوز أن يرجع إلى المستثنى منه وحده بل اما أن يختص
بالمستثنى أو يعود اليها وغير خاف أن تعلقه بقوله إلا ما شاء ربك أولى من تعلقه
بقوله خالدين فيها وذلك ظاهر للمتأمل وهو الذي فهمه الصحابة فقالوا أنت هذه
الآية على كل وعيد في القرآن ، ولم يريدوا بذلك الاستثناء وحده فان الاستثناء
مذكور في الأنعام أيضا وانما أرادوا أنه عقب الاستثناء بقوله ان ربك فعال
لما يريد وهذا التعقيب نظير قوله في الانعام (خالدين فيها إلا ما شاء الله ان ربك
حكيم عليم) فأخبر ان عذابهم في جميع الاوقات ورفع عنهم في وقت يشاء
صادر عن كمال علمه وحكمته لا عن مشيئة مجردة عن الحكمة والمصاحبة والرحمة
والعدل إذ يستحيل تجرد مشيئته عن ذلك ، (الوجه الرابع والعشرون) أن جانب
الرحمة أغلب في هذه الدار الباطلة الفانية الزائلة عن قرب من جانب العقوبة
والغضب ولولا ذلك لما عمرت ولا قام لها وجود كما قال تعالى (ولو يؤاخذ الله
الناس بظلمهم ما ترك عامها من دابة) وقال (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا
ما ترك على ظهرها من دابة) فلولا سعة رحمته ومغفرته وعفوه لما قام العالم ومع
هذا فالذي أظهره من الرحمة في هذه الدار وأزله بين الخلائق جزء من مائة جزء
من الرحمة فاذا كان جانب الرحمة قد غاب في هذه الدار ونالت البر والفاجر
والؤمن والكافر مع قيام مقتضى العقوبة به ومباشرة له وتمكنه من إغصاب
ربه والسعي في مساخطه فكيف لا يغلب جانب الرحمة في دار تكون الرحمة
فيها مضاعفة على ما في هذه الدار تسعاً وتسعين ضعفاً ، وقد أخذ العذاب من
الكفار مأخذه وانكسرت تلك النفوس ونهكها العذاب وأذاب منها خبثا
وشرآ لم يكن يحول بينها وبين رحمته لها في الدنيا بل كان يرحمها مع قيام مقتضى
العقوبة والغضب بها فكيف اذا زال مقتضى الغضب والعقوبة وقوى جانب

الرحمة أضعاف أضعاف الرحمة في هذه الدار واضمححل الشر والخبث الذي فيها فأذا بته النار وأكلمته ، وسر الامر أن أسماء الرحمة والاحسان أغاب وأظهر وأكثر من أسماء الانتقام وفعل الرحمة أكثر من فعل الانتقام ، وظهور آثار الرحمة أعظم من ظهور آثار الانتقام ، والرحمة أحب اليه من الانتقام ، وبالرحمة خلق خلقه ولها خلقهم ، وهي التي سبقت غضبه وغلبته وكتبها على نفسه ووسعت كل شيء وما خلقها فطوب لذاته ، وما خلق بالغضب فراد لغيره كما تقدم تقرير ذلك والعقوبة تأديب وتطهير ، والرحمة احسان وكرم وجود والعقوبة مداواة ، والرحمة عطاء وبذل . (الوجه الخامس والعشرون) انه سبحانه لا بد أن يظهر خلقه جميعهم يوم القيامة صدقه وصدق رسله وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين المنترين ، ويظهر لهم حكمه الذي هو أعدل حكم في أعدائه وأنه حكم فيهم حكما يحمدهم عليه فضلا عن أوليائه وملائكته ورسله بحيث ينطق الكون كله بالحمد لله رب العالمين ولذلك قل تعالى : «وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين» نحذف فاعل القول لارادة الاطلاق وان ذلك جار على لسان كل ناطق وقوله ، قل الحسن لقد دخلوا النار وان قلوبهم لممتلئة من حمده ما وجدوا عليه سبيلا * وهذا هو الذي حسن حذف الفاعل من قوله «قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها» حتى كان الكون جميعه قائل ذلك لهم اذ هو حكمه العدل فيهم ومقتضى حكمته وحمده * وأما أهل الجنة فقال تعالى (وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) فهم لم يستحقوها بأعمالهم وإنما استحقوها بعفوه ورحمته وفضله فاذا أشهد سبحانه ملائكته وخلقهم كلهم حكمه العدل وحكمته الباهرة ووضع العقوبة حيث تشهد العقول والنظر والخليقة أنه أولى المواضع وأحقها بها وان ذلك من كمال حمده الذي هو مقتضى أسمائه وصفاته وأن هذه النفوس الخبيثة الظالمة الفاجرة لا يليق بها غير ذلك ، ولا يحسن بها سواد ، بحيث تعترف هي من ذواتها بانها أهل ذلك ، وأنها أولى به حصص الحكمة التي لاجلها وجد الشر وموجباته في هذه الدار وتلك الدار * وليس في الحكمة الالهية ان الشرور تبقى دائما لانهاية لها ولا انقطاع أبدا فتكون هي والخيرات في ذلك على حد سواء ، فهذا نهاية أقدام الفريقين في هذه المسئلة ولعلك لا تنظر به في غير هذا الكتاب ، فان قيل فإين أين انهي قدمكم في هذه المسئلة العظيمة

الشأن : التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة؟ قيل إلى قوله تبارك وتعالى : « ان ربك فعال لما يريد » وإلى هنا انتهى قدم أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه فيها حيث ذكر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء وأقال ثم يفعل الله بعد ذلك ما يشاء ، بل وإلى هنا انتهت أقدم الخلائق وما ذكرنا في هذه المسئلة بل في الكتاب كله من صواب فمن الله سبحانه وهو المان به وما كان من خطأ فني ومن الشيطان والله ورسوله برىء منه وهو عند لسان كل قائل وقلبه وقصده والله أعلم .

❦ الباب الثامن والستون ❦

(في ذكر آخر أهل الجنة دخولها)

في الصحيحين من حديث منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فيأتها فيمخيل اليه انها ملائ فيرجع فيقول يارب وجدتها ملائ فيقول الله له اذهب فادخل الجنة قال فيأتها فيمخيل اليه انها ملائ فيرجع فيقول يارب وجدتها ملائ فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا ، قال فيقول أنسخرك بي وأنضحك بي وأنت الملك قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه قال فكان يقول ذلك أدنى أهل الجنة منزلة » (وفي صحيح مسلم) من حديث الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها ، فيعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له فان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا فلقد رأيت رسول الله

صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه» وقال الطبراني حدثنا عبد الله ابن سعد بن يحيى الزرقى ، حدثنا أبو فروة يزيد بن محمد بن سنان الرهاوى قال حدثني أبي عن أبيه قال حدثني أبو يحيى السكلاعى عن أبي أمامة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ان آخر رجل يدخل الجنة رجل يتقلب على الصراط ظهرا لبطن كالغلام يضربا أبوه وهو يفر منه يعجز عنه عمله أن يسعى فيقول يارب بلغنى الجنة ونجنى من النار، فيوحى الله تبارك وتعالى اليه عبدى إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة أتعترف لى بذنوبك وخطاياك؟ فيقول العبد نعم يارب وعزتك وجلالك لئن نجيتنى من النار لا أعترف لك بذنوبى وخطاياى فيجوز الجسر فيقول العبد فيما بينه وبين نفسه لئن اعترفت له بذنوبى وخطاياى ليردنى الى النار فيوحى الله اليه عبدى اعترف لى بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنة، فيقول العبد لا وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنباً قط ولا أخطأت خطيئة قط فيوحى الله اليه عبدى ان لى عليك بينة فيلتفت العبد يمينا وشمالا فلا يرى أحداً فيقول يارب أرنى بينتك فيستنطق الله جلده بالمحقرات فاذا رأى ذلك العبد فيقول يارب عفى عدى وعزتك العظام فيوحى الله اليه عبدى أنا أعرف بها منك اعترف لى بها أغفرها لك وأدخلك الجنة، فيعترف العبد بذنوبه فيدخل الجنة ثم ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه يقول هذا أدنى أهل الجنة منزلة فكيف بالذى فوقه» ورواه ابن أبى شيبة عن هاشم بن القاسم ثنا أبو عقيل عبد الله بن عقيل الثقفى عن يزيد بن سنان به (وقى صحيح مسلم) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «آخر من يدخل الجنة رجل فهو عشى على الصراط مرة ويكبو مرة وتسعفه النار مرة فاذا جاوزها التفت اليها فقال تبارك الذى نجانى منك ، لقد أعطانى الله شيأ ما أعطاه أحدا من الاولين والآخرين ، فترتفع له شجرة فيقول أى رب ادنى من هذه الشجرة أستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله تبارك وتعالى يا ابن آدم لعلنى أن أعطيتكها سألتنى غيرها، فيقول لا يارب ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربها يعذره لانه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الاولى فيقول يارب أدنى من هذه لا شرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدنى انك لا تسألنى غيرها؟ فيقول لعلنى أن أدنيتك منها أن

تسألني غيرها فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربّه يعذره لانه يرى مالا صبرله عليه
فيدينه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة
هي أحسن من الاولين ، فيقول أى رب ادنى من هذه الشجرة لاستظل بظلها
وأشرب من مائها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني
غيرها؟ قال بلى يارب هذه لا أسألك غيرها وربّه يعذره لانه يرى مالا صبر له عليه
فيدينه منها فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول يارب أدخلنيها فيقول
يا ابن آدم ما يرضيك مني أيرضيك أني أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال يارب أتستهنى
مني وأنت رب العالمين فضحك ابن مسعود فقال الا تسألوني مم أضحك؟ قالوا
مم تضحك؟ قال ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا مم تضحك يا رسول الله؟
قال من ضحك رب العالمين حين قال أتستهنى بي وأنت رب العالمين، فيقول
لا استهنى بك ولكن على ما أشاء قادر * وفي صحيح البرقاني عن أبي سعيد
البرقاني من حديث أبي سعيد الخدري نحو هذه القصة ونحن نسوقه بتمامه من
عنده وهو باسناد مسلم سواء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان أدنى أهل
النار عذابا منتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه ، وان أدنى أهل
الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة، ومثل له شجرة ذات ظل
فقال أى رب قدمني إلى هذه الشجرة لأكون في ظلها فقال الله عز وجل هل
عسيت أن فعلت ان تسألني غيره قال لا وعزتك فقدمه الله اليها ومثل له شجرة
ذات ظل وثمر أخرى فقال أى رب قدمني إلى هذه الشجرة أستظل بظلها وآكل
من ثمرها قال فقال هل عسيت ان أعطيتك ذلك أن تسألني غيره، قال لا وعزتك
فيقدمه الله اليها فيمثل له شجرة أخرى ذات ظل وثمر وماء فيقول أى رب
قدمني إلى هذه الشجرة فأكون في ظلها وآكل من ثمرها وأشرب من مائها فيقول
هل عسيت ان فعلت ذلك ان تسألني غيره فيقول لا وعزتك لا أسألك غيره
فيقدمه الله اليها فتبرز له الجنة فيقول أى رب قدمني إلى باب الجنة فأكون نجاف
الجنة» وفي رواية « تحت نجاف الجنة انظر إلى أهلها فيقدمه الله إليهم
فيرى أهل الجنة وما فيها فيقول أى رب ادخلني الجنة فيدخله الجنة ، فإذا
دخل الجنة قال هذا لي فيقول الله له تمن قال فيتمنى ويذكره الله كذوكذا
فإذا انقطعت به الاماني قال الله هو لك وعشرة أمثاله، قال ثم يدخل بيته ويدخل

عليه زوجته من الحور العين فيقولان الحمد لله الذي احياك اما واحيانا لك فيقول ما أعطى احد مثل ما اعطيت » وفي (صحيح مسلم) من حديث المغيرة ابن شعبة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «سأل موسى ربه من ادنى أهل الجنة منزلة؟ فقال هو رجل يحبىء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول أى رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له أترضى ان يكون لك مثل مالك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب فيقال ذلك لك ومثله ومثله ومثله واشتبهت نفسك ولدت عينك فيقول رضيت رب ، قال فاعلاهم منزلة قال ذلك الذى أردت غرس كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ، ومصادقه في كتاب الله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين

﴿الباب التاسع والستون﴾

(وهو باب جامع فيه فصول منشورة لم تذكر فيما تقدم من الابواب)

(فصل)

(فى لسان أهل الجنة)

قال ابن أبى الدنيا حدثنا القاسم بن هاشم ثنا صفوان بن صالح حدثني رواد ابن الجراح العسقلاني ، ثنا الاوزاعي عن هارون بن زباب عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثون سنة ، وعلى لسان محمد صلى الله عليه وسلم جرد مرد مكحلون » (وروى) داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : « لسان أهل الجنة عربى » وقال عقيل قال الزهرى : لسان أهل الجنة عربى

﴿فصل﴾

(فى احتجاج الجنة والنار)

فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « احتجت النار والجنة فقالت هذه يدخلني الجبارون والمتكبرون

وقالت هذه يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله عز وجل لهذه أنت عذابي أعذب بك من أشاء، وقال لهذه أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكها مئوها، وفي رواية أخرى «تراجت النار والجنة فقالت النار أو ثرت بالمكبرين والمتهجرين وقالت الجنة مالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم فقال الله سبحانه للجنة : « أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ، ولكل واحدة منكها مئوها » فأما النار فلا تمتليء حتى يضع قدمه عليها فتقول قط قط فهناك تمتليء وينزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحداً ، وإنما الجنة فان الله عز وجل ينشئ لها خلقاً

— فصل —

(في أن الجنة يبقى فيها فضل)

فينشئ الله لها خلقاً دون النار في الصحيحين عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد ، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط بعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة » وفي لفظ مسلم : « يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى ثم ينشئ الله سبحانه لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة » وفي لفظ مسلم « يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى مما يشاء » وأما اللفظ الذي وقع في صحيح البخاري في حديث أبي هريرة « وأنه ينشئ للنار من يشاء فيلقى فيها فتقول هل من مزيد » فغلط من بعض الرواة انقلب عليه لفظه والرايات الصحيحة ونص القرآن يرده فان الله سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من ابليس وأتباعه فإنه لا يعذب الا من قامت عليه حجته وكذب رسله قال تعالى (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ؟ فلو ابلوا قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء) ولا يظلم الله أحداً من خلقه

❦ فصل ❦

(في امتناع النوم على أهل الجنة)

روى ابن مردويه من حديث سفیان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر

رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون» (وذكر) العابر أني من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد ابن المنكدر عن جابر قال: «سئل نبي الله صلى الله عليه وسلم ف قيل أينام أهل الجنة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون»

(فصل)

(في ارتقاء العبد وهو في الجنة من درجة إلى درجة أعلى منها)

قال الامام أحمد ثنا يزيد أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يا رب أني لى هذه؟ فيقول باستغفار ولدك لك»

(فصل)

(في إلحاق ذرية المؤمن به في الدرجة وإن لم يعملوا عمله)

قال تعالى (والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين) وروى قيس عن عمرو ابن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليرفع ذرية المؤمن اليه في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقربهم عيته ثم قرأ (والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) قال ما نقصنا الآباء مما أعطينا البنين » (وذكر) ابن مردويه في تفسيره من حديث شريك عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال شريك أظنه حكاه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال إنهم لم يبلغوا درجتك أو عملك فيقول يارب قد عملت لى ولهم فيؤمر بالالحاق بهم ثم تلا ابن عباس (والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان) إلى آخر الآية ، وقد اختلف المفسرون في الذرية في هذه الآية هل المراد بها الصغار أو الكبار أو النوعان؟ على ثلاثة أقوال واختلافهم مبنى على أن قوله بإيمان حال من الذرية التابعين أو المؤمنين المتبعين فقالوا : الأئمة المعنى والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمانهم فأثروا من الإيمان بمن ما أثروا به ألحقناهم بهم في الدرجات قالوا ويدل على هذا قراءة من قرأ (واتبعتهم ذرياتهم) فجعل الفعل في الاتباع لهم ، قالوا وقد أطلق الله سبحانه

الذرية على الكبار كما قال «ومن ذريته داود وسليمان» وقال «ذرية من حمدنا مع
 نوح» وقال (وكذا ذرية من بعدنا فتهاكتا بما فعل المبطلون) وهذا قول الكبار
 المقلد (قلوا) ويدل على ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس يرفعه عن
 الله يرفع ذرية المؤمن إلى درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه، فهذا
 يدل على أنهم دخلوا بأعمالهم ولكن لم يكن لهم أعمال يبلغوا بها درجة آبائهم
 فبلغتهم إليها وإن نقصت أعمالهم عنها (قلوا) وأيضا لايمان هو القول والعمل
 والنية وهذا ما يمكن من الكبار وعلى هذا فيكون المعنى أن الله سبحانه يجمع
 ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من الايمان بمثل ايمانه اذ هذا حقيقة التبعية وإن كانوا
 دونه في الايمان رفعهم الله إلى درجته اقرارا لعينه وتكبيلا لشيعته وهذا كما أن
 روحات النبي صلى الله عليه وسلم معه في الدرجة تبعها وإن لم يبلغوا تلك الدرجة
 بأعمالهم (وقد كانت قائمة أخرى الذرية ههنا الصغار والمعنى والذين آمنوا وتبعناهم
 ذريتهم في إيمان الآباء والذرية تتبع الآباء وإن كانوا صغارا في الايمان وأحكامهم
 من الميراث والدية والصلاة عليهم والدفن في قبور المسلمين وغير ذلك إلا فيما
 كان من أحكام البالغين ويكون قوله بايمان على هذا في موضع نصب على الحال
 من المفعولين أي وأتبعناهم ذريتهم بايمان الآباء (قلوا) ويدل على صحة هذا
 القول أن الله تعالى لم يحكم أنفسهم في النوايا والعقاب فانهم مستقلون بأنفسهم
 ليسوا تابعين لآباء في شيء من أحكام الدنيا ولا أحكام النوايا والعقاب لاستقلالهم
 بأنفسهم ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون معهم في
 درجة آبائهم وتكون أولاد التابعين البالغون معهم في درجة آبائهم وهم جرا
 إلى يوم القيامة فيكون الآخرون في درجة السابقين (قلوا) ويدل عليه أيضا
 أنه سبحانه جعلهم معهم تبعاً في الدرجة كما جعلهم تبعاً معهم في الايمان ولو
 كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعاً بل إيمان استقلال (قلوا) ويدل عليه أن الله
 سبحانه حمل الميراث في الجنة بحسب الأعمال في حق المستقلين وأما التابع
 فإن الله سبحانه يرفعهم إلى درجة آباءهم وإن لم يكن لهم أعمالهم كما تقدم وأيضا
 في الحور العين والخدم في درجة آباءهم وإن لم يكن لهم عمل بخلاف المسلمين
 البالغين فانهم يرفعون إلى حيث يستحقهم أعمالهم (وقد فرقة منهم الواحدى)
 الوجه أن تحمل الذرية على الصغار والكبار لأن الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه

والصغير يتبع الاب بايمان الاب * (قلوا) والذرية تقس على الصغير والكبير
والواحد والكثير والابن والاب كما قال تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك
المشحون) اى آباءهم * والايان يقع على الايمان التبعي وعلى الاختيارى الكسبي
فن وقوعه على التبعي قوله «فتحرير رقبة، مؤمنة» فهو أعتق صغيراً جاز (قلوا)
وأقوال السلف تدل على هذا قال سعيد بن جبير عن ابن عباس إن الله يرفع
ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقربهم عيولهم ثم قرأ هذه
الآية: وقال ابن مسعود في هذه الآية الرجل يكون له التقدم ويكون له الذرية
فيدخل الجنة فيرفعون اليه لتقربهم تبينه وإن لم يبلغوا ذلك * وقال أبو مجاز
يجمعهم الله له كما كان يحب أن يجتمعوا في الدنيا، وقال الشعبي أدخل الله الذرية
بعمل الآباء الجنة * وقال السكابي عن ابن عباس إن كان الآباء أرفع درجة من
الابناء رفع الله الابناء إلى الآباء * وإن كان الابناء أرفع درجة من الآباء رفع
الله الآباء إلى الابناء، وقال ابراهيم أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء
من أجورهم شيئاً قل ويدل على صحة هذا القول أن القراءتين كالآيتين فمن قرأ
«واتبعهم ذريتهم» فهذا من حق البالغين الذين تصح نسبة الفعل اليهم كما قل
تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار * والذين اتبعوهم باحسان)
ومن قرأ «وأتبعناهم ذرياتهم» فهذا في حق الصغار الذين اتبعهم الله اياهم في الايمان
حكماً فدلّت القراءتان على النوعين * قالت واختصاص الذرية ههنا بالصغار أظهر
لأنه يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات ولا يلزم مثل هذا في
الصغار فإن أطفال كل رجل وذريته معه في درجته والله أعلم

(فصل)

(في أن الجنة تسكّم)

قد تقدم قول صلى الله عليه وسلم: «احتجت الجنة والنار» وقوله «قالت الجنة
يا رب قد اتردت أنهارى * وطابت ثمارى فعجل على بأهلى» وقال اسماعيل
ابن ابي خالد عن سعيد الطائي «أخبرت أن الله تعالى لما خاق الجنة قل لها تزيني
فتزينت ثم قل لها تسكّمى فتكلمت فقالت ذوبى لمن رضيت عنه» وقال قتادة
«لما خاق الله الجنة قل لها تسكّمى فقالت ذوبى لمتعّين» وقال الطبراني حدثنا
أحمد بن نعلي ثنا هشام بن خالد ثنا بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس

رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما خلق الله الجنة عدن خلق فيها ملاعين رأيت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون»

— فصل —

(في أز الجنة تزدد حسناً على الدوام)

قال عبد الله بن أحمد ثنا خلف بن هشام ثنا خالد بن عبد الله عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن كعب قل : «ما ننظر الله الى الجنة الا قال طيبى لاهلك فتزداد ضعفاً حتى يدخاها أهلها»

— فصل —

(في أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبهن أزواجهن)

كما تقدم حديث معاذ بن جبل في ذلك * وقول الحوراء لامرأته في الدنيا لا تؤذيه فيوشك أن يفارقك إلينا * وحديث عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الحور العين اللهم أعنه على دينك وأقبل بقلبه على طاعتك ، وذكر ابن أبي الدنيا عن أبي سليمان الداراني قل : كان شاب بالعراق يتعبد فيخرج مع رفيق له الى مكة فكان ان نزلوا فهو يعلى وان أكلوا فهو صائم ، فصبر عليه رفيقه ذاهباً وجائياً فلما أراد أن يفارقه قل له يا أخى أخبرنى ما الذى هيجك الى ما رأيت ؟ قال رأيت فى النوم قصرأ من قصور الجنة واذا لينة من فضة ولينة من ذهب فلما تم البناء اذا شرافة من زبرجدة وشرافة من ياقوت وبينهما حوراء من حور العين مرخية شعرها ، عاينها ثوب من فضة يانشى معها كلما تلتفت ، فقالت جد الى الله فى طابى فقد والله جددت اليه فى طلبك فهذا الذى تراه فى طلبها . قال أبو سليمان هذا فى طلب حوراء فكيف بمن قد طاب ما هو أكثر منها

— فصل —

(فى ذبح الموت بين الجنة والنار)

قال الله تعالى (وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون) وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «يحجاء بالموت كانه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل

تُعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت ثم يقال يا أهل النار هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت، قال فيؤمر به فيذبح، قال ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون متفق عليه * وفي الصحيحين أيضاً من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يدخل أهل الجنة الجنة ويدخل أهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه» * وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وصار أهل النار إلى النار أتى بالموت حتى يجعل بين النار والجنة ثم ينادى مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً ويزداد أهل النار حزناً إلى جهنم» وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتى بالموت ملبياً فيوقف على السور الذى بين أهل الجنة وأهل النار ثم يقال يا أهل الجنة فيطلعون خائفين ثم يقال يا أهل النار فيطلعون مبشرين يرجون الشفاعة فيقال لاهل الجنة وأهل النار هل تعرفون هذا؟ فيقول هؤلاء وهؤلاء قد عرفناه هو الموت الذى وكل بنا فيضجع فيذبح ذبحاً على السور ثم يقال يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت، رواه النسائي والترمذى وقال حديث حسن صحيح وهذا الكبر والاضجاع والذبح ومعانة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً وقال الموت عرض والعرض لا يتجسم فضلاً عن أن يذبح وهذا لا يصح فان الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كبش يذبح كما ينشئ من الأعمال صوراً معانة يثاب بها ويعاقب والله تعالى ينشئ من الاعراض أجساماً تكون الاعراض مادة لها وينشئ من الاجسام أعراضاً كما ينشئ سبحانه من الاعراض أعراضاً ومن الاجسام أجساماً فألأقسام الاربعة ممكنة مقدورة للرب تعالى ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من الحال ولا حاجة إلى تكلف من قل ان الذبح لملك الموت فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله والتأويل

الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل وسببه قلة الفهم لمراد الرسول صلى الله عليه وسلم من كلامه فظن هذا القائل ان لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض يذبح وظن غلط آخر أن العرض يعدم ويزول ويصير مكانه جسم يذبح ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه وأن الله سبحانه ينشئ من الاعراض أجساما ويجعلها مادة لها كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم «تجئ البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان» الحديث فهذه هي القراءة التي ينشئها الله سبحانه غمامتين وكذلك قوله في الحديث الآخر «ان ما تذكرون من جلال الله من تسبيحه وتحميده وتهليله ينعاطفن حول العرش لهن دوى كدوى النحل يذكرن بإصاحبهن» ذكره أحمد وكذلك قوله في حديث عذاب القبر ونعيمه للصورة التي يراها «فيقول من أنت فيقول أنا عملك الصالح وأنا عملك السيء» وهذا حقيقة لاخيال ولكن الله سبحانه أنشأ له من عمله صورة حسنة وصورة قبيحة وهل النور الذي يقسم بين المؤمنين يوم القيامة الا نفس إيمانهم أنشأ الله سبحانه لهم منه نورا يسعى بين أيديهم فهذا امر معقول لو لم يرد به النص فورود النص به من باب تطابق السمع والعقل (وقال) سعيد بن قتادة بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة وبشارة حسنة فيقول له من أنت فوالله اني لأراك أمراً الصديق فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا إلى الجنة . وأما الكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة وبشارة سيئة فيقول ما أنت فوالله اني لأراك أمراً سوء فيقول له أنا عملك فيمنطق به حتى يدخله النار» وقال مجاهد مثل ذلك وقال ابن جريج يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة يعارض صاحبه ويبشره بكل خير فيقول له من أنت فيقول أنا عملك فيجعل له نورا بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله (يهدى بهم ربهم بإيمانهم) والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح منتهنة فيلزم صاحبه ويلاده حتى يقذفه في النار ، وقال ابن المبارك ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن انه ذكر هذه الآية (أما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين) قل علموا ان كل نعيم بعده الموت أنه يقطعهم فقالوا أأما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين قيل لا قالوا ان هذا هو الفوز العظيم وكان يزيد الرقاشي يقول في كلامه أمن أهل الجنة من الموت فطاب لهم العيش وأمنوا من الأسقام فهناهم في جوار الله طول يبكى حتى تجرى دموعه على لحية

(فصل)

(فى ارتفاع العبادات فى الجنة الا عبادة الذكر فانها دائمة)

(روى) مسلم فى صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون ويكون طعامهم ذلك جشاء ورشحا كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس» وفى رواية «التسبيح والتكبير كما تلهمون» بالتاء المثناة من فوق أى تسبيحهم وتحميدهم يجرى مع الانفاس كما تلهمون أتم النفس

(فصل)

(فى تذاكر أهل الجنة ما كان بينهم فى دار الدنيا)

قال الله تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتسألون قال قائل منهم انى كان لى قرين) الآيات وقد تقدم الكلام عليها وقال تعالى (فأقبل بعضهم على بعض يتسألون قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين فى الله علينا ووقانا عذاب السموم) وذكر ابن أبى الدنيا من حديث الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس يرفعه: «إذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الإخوان بعضهم الى بعض فيسير سرير هذا الى سرير هذا وسرير هذا الى سرير هذا حتى يجتمعوا جميعا فيتسكى هذا ويتسكى هذا فيقول أحدهما لصاحبه تعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه نعم يوم كذا وكذا فى موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا وإذا تذاكروا ما كان بينهم فتذاكرهم فيما كان يشكل عليهم فى الدنيا من مسائل العلم وفهم القرآن والسنة وصحة الاحاديث أولى وأحرى فان المذاكرة فى الدنيا فى ذلك أذمن الطعام والشراب والجماع فتذاكر ذلك فى الجنة اعظم لذة وهذه لذة يختص بها أهل العلم ويتميزون بها على من عداهم

﴿الباب السبعون﴾

(فى ذكر من يستحق هذه البشارة دون غيره)

قال الله تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها) وقال تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبدل كلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) وقال تعالى (ان الذين قالوا ربنا

الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة
 التي كنتم توعدون (وقل تعالى (بشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون
 أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب) وقال تعالى (الذين
 آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله
 وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وحنان لهم فيها نعيم مقيم خالدين
 فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم) (والذين آمنوا وعملوا الصالحات
 في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير الذي
 يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال تعالى (انما تنذر من اتبع
 الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم) وقال تعالى (يا أيها النبي
 انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر
 المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) وقال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل
 الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون
 بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون
 بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) وقال تعالى (ان الله اشترى
 من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فيقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون
 وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله؟ فاستبشروا
 ببعضكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) وقال تعالى (ولنبلونكم بشيء من
 الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين
 إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم
 ورحمة وأولئك هم المهتدون) وقال تعالى (وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح
 قريب وبشر المؤمنين) وقال في الجنة (أعدت للمتقين) وقال (أعدت للذين آمنوا
 بالله ورسله) وقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنة الفردوس نزلا)
 وقال تعالى (قد أفلح المؤمنون) الى قوله (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
 هم فيها خالدون) وفي المسمند وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قد أنزلت
 على عشر آيات من أدامهن دخل الجنة ثم تلا قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر
 آيات» وقال تعالى (ان المسلمين والمسلمات) الى قوله (أعد الله لهم مغفرة وأجرا
 عظيما) وقال تعالى (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون)

الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين)
وقال تعالى (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً) وقال تعالى (وسارعوا إلى
مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون
في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين
والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن
يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة
من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين)
وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم
تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير
لكم إن كنتم تعلمون) الى قوله (وبشر المؤمنين) وقال تعالى (ولمن خاف
مقام ربه جنتان) وقال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن
الهلوى فان الجنة هي المأوى) وهذا في القرآن كثير مقداره على ثلاث قواعد
إيمان وتقوى وعمل خالص لله على موافقة السنة فأهل هذه الأصول الثلاثة هم
أهل البشري دون من عداهم من سائر الخلق وعليها دارت بشارات القرآن والسنة
جميعها وهي تجتمع في أصاين اخلاص في طاعة الله واحسان إلى خلقه وضدها
يجمع في الذين يراؤون ويمنعون الماعون وترجع إلى خصلة واحدة وهي موافقة
الرب تبارك وتعالى في محابه ولا طريق إلى ذلك الا بتحقيق القدوة ظاهرا
وباطنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الاصل
فهى بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها إمطة الاذى عن
الطريق وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التي مرجعها تصديق الرسول في كل
ما أخبر به وطاعته في جميع ما أمر به إيجابا واستحبابا كالإيمان بأسماء الرب وصفاته
وأفعاله وآياته من غير تحريف لها ولا تعطيل ومن غير تكليف ولا تمثيل كما
قال الشافعى رحمه الله: الحمد لله الذى هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصف به خلقه،
وكانه أخذ هذا من قول النبى صلى الله عليه وسلم «اللهم لك الحمد كلذى تقول
وخيراً مما نقول» وقد ذكرنا في أول الكتاب جملة مقالات أهل السنة والحديث
التي أجمعوا عليها كما حكاه الأشعرى عنهم ونحن نحكى إجماعهم كما حكاه حرب
صاحب الامام أحمد عنهم بلفظه ، قال في مسائله المشهورة هذه مذاهب أهل
العلم وأصحاب الاثر وأهل السنة المتمسكين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب

الذي صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا وادركت من أدركت من علماء أهل
الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو
عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق
قال وهو مذهب أحمد واسحق بن ابراهيم وعبد الله بن مخلد وعبد الله بن الزبير
الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم، وكان من
قولهم ان الايمان قول وعمل ونية وتمسك بالسنة، والايمان يزيد وينقص *
ويستثنى من الايمان غير أن لا يكون الاستثناء شكاً إنما هي سنة ماضية بعد
العلماء فاذا سئل الرجل أمؤمن أنت فانه يقول أنا مؤمن ان شاء الله *
أو مؤمن ارجوا، ويقول آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسوله، ومن زعم أن
الايمان قول بلا عمل فهو مرجىء * ومن زعم أن الايمان هو القول والاعمال
شرائع فهو مرجىء، ومن زعم أن الايمان يزيد ولا ينقص فقد قال بقول المرجئة
ومن لم ير الاستثناء في الايمان فهو مرجىء * ومن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل
والملائكة فهو مرجىء * ومن زعم أن المعرفة في القلب وان لم يتكلم بها فهو
مرجىء * والقدر خيره وشره وقليله وكثيره وظاهره وباطنه وحلوه ومره
ومحبوبه ومكروهه وحسنه وسيئه وأوله وآخره من الله عز وجل قضاء وقضاء
على عباده . وقدر قدره عليهم لا يعدو واحد منهم مشيئة الله ولا يجاوزه
تضاؤه بل هم كلهم صائرون الى ما خلقهم له، واقعون فيما قدر عليه وهو عدل منه جل
ربنا وعز، والزنا والسرقه وشرب الخمر وقتل النفس وأكل المال الحرام والشرك
والمعاصي كلها بقضاء الله من غير أن يكون لأحد من خلقه على الله حجة بل
لله الحجة البالغة على خلقه، لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون، وعلم الله عز وجل ماض
في خلقه بمشيئة منه فهو سبحانه قد علم من ابليس ومن غيره ممن عصاه من لدن
عصى الله تبارك وتعالى الى قيام الساعة المعصية وخلقهم لها، وعلم الطاعة من
أهل الطاعة وخلقهم لها، فكل يعمل لما خلق له وصائر الى ما قضى عليه لا يعدو
أحد منهم قدر الله ومشيئته، والله الفاعل لما يريد، ومن زعم ان الله سبحانه
وتعالى شاء لعباده الذين عصوه وتكبروا الخير والطاعة وأن العباد شاءوا
لا أنفسهم الشر والمعصية فعملوا على مشيئتهم فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب
من مشيئة الله تعالى، وأى افتراء على الله أكبر من هذا ؟ ومن زعم أن الزنا
ليس بقدر قليل له أرأيت هذه المرأة حملت من الزنا وجاءت بولد هل شاء الله عز
وجل أن يخلق هذا الولد وهل مضى في سابق علمه؟ فان قال لا فقد زعم أن مع

الله خالقا وهذا الشرك صراحا ، ومن زعم أن السرقة وشرب الخمر وأكل المال الحرام ليس بقضاء وقد زعم أن هذا الانسان قادر على أن يأكل رزق غيره وهذا صراح قول المجوسية بل أكل رزقه الذي قضى الله أن يأكله من الوجه الذي أكله ، ومن زعم أن قتل النفس ليس بمقدر من الله عز وجل فقد زعم أن المقتول مات بغير أجله ، وأى كفر أوضح من هذا ؟ بل ذلك بقضاء الله عز وجل وذلك عدل منه في خلقه وتدبيره فيهم وما جرى من سابق علمه فيهم وهو العدل الحق الذي يفعل ما يريد ، ومن أقر بالعلم لزومه الاقرار بالقدر والمشيدة على الصغر والقامة * ولا تشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار لذنوب عمله ولا لسكينة أتاها الا أن يكون في ذلك حديث كما جاء في حديث ولا بنص الشهادة ولا نشهد لاحد أنه في الجنة بصالح عمله ولا خيرا أتاه الا أن يكون في ذلك حديث كما جاء على ما روى ولا بنص الشهادة والخلافة في قریش ما بقى من الناس اثنان وليس لاحد من الناس أن ينازعهم فيها ولا تخرج عليهم ولا نقر لغيرهم بها الى قيام الساعة ، والجهاد ماض قائم مع الأئمة بروا أو يجرؤا لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل ، والجمعة والعيدان والحج مع السلطان وان لم يكونوا بررة عدولا أتقياء ، ودفع الصدقات والخراج والاعشار والفيء والغنائم اليهم عدلوا فيها أو جاروا والالتقياد لمن ولاه الله عز وجل امركم لا تنزع يدا من طاعته ولا تخرج عليه بسيف حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا ، ولا تخرج على السلطان وتسمع وتطيع ولا تنكث ببيعته فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة ، وان أمرك السلطان بأمر فيه لله معصية فليس لك أن تطيعه البتة وليس لك أن تخرج عليه ولا تمنعه حقه والامساك في الفتنة سنة ماضية واجب احترامها ، فان ابتليت فقدم نفسك دون دينك ، ولا تعن على الفتنة بيد ولا لسان ولكن اكف لسانك ويدك وهواك * والله المعين * والكف عن أهل القبلة فلا تنكف أحدا منهم بذنب ، ولا تخرجه عن الاسلام بعمل إلا أن يكون في ذلك حديث كما جاء ، وما روى فتصدقه وتقبله وتعلم أنه كما روى نحو كفر من يستحل نحو ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها الى الكفر والخروج من الاسلام فاتبع ذلك ولا تجاوز * والأعور الدجال خارج لا شك في ذلك ولا ارتياب وهو أكذب الكاذبين ، وعذاب القبر حق يسأل العبد عن دينه وعن ربه وعن الجنة وعن النار * ومنكر ونكير حق وهما فئانا القبر نسأل الله الثبات * وحوض محمد صلى الله عليه وسلم حق ، حوض ترده أمة ولهم آنية يشربون بها منه ، والصراط حق

يوضع على سواء جهنم ويمر الناس عليه والجنة من وراء ذلك والميزان حق
يوزن به الحسنات والميئات كما شاء الله أن يوزن * والصور حق ينفخ فيه
اسرافيل فتموت الخلق ثم ينفخ فيه الاخرى فيقومون لرب العالمين للحساب
وفصل القضاء والثواب والعقاب * والجنة والنار * واللوحي محفوظ يستنسخ
منه أعمال العباد لما سبق فيه من التقادير والقضاء * والقلم حق كتب الله به
مقادير كل شيء وأحصاه في الذكر، والشفاعة يوم القيامة حق، يشفع قوم في قوم
فلا يصيرون إلى النار * ويخرج قوم من النار بعد ما دخلوها ولبنوا فيها ما شاء
الله ثم يخرجهم من النار، وقوم يخلدون فيها أبداً وهم أهل الشرك والتكذيب
والجحود والكفر بالله عز وجل، ويذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار، وقد
خالقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها خلقهما الله عز وجل وخلق الخلق
لها ولا يفتنيان ولا يفتني ما فيها أبداً فاذا احتجج مبتدع أو زنديق بقول الله عز
وجل « كل شيء هالك الا وجهه » ونحو هذا من متشابه القرآن قيل له كل شيء
مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقهما الله لا للفناء ولا
للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا والخور العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا
عند النفخة ولا أبداً لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن
الموت؛ فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع ضل عن سواء السبيل، وخلق سبع
سموات بعضها فوق بعض، وسمع أرضين بعضها أسفل من بعض، وبين الأرض
العليا والسماء الدنيا مسيرة خمس مائة عام وبين كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة
عام، والماء فوق السماء العليا السابعة وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء والله
عز وجل على العرش والكرسي موضع قدميه وهو يعلم ما في السموات والأرضين
وما بينهما وما تحت الثرى، وما في قعر البحر ومنبت كل شعرة وشجرة وكل
زرع وكل نبات * ومسقط كل ورقة وعدد كل كلمة وعدد الرمل والحصى والتراب
ومناقيل الجبال، وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ويعلم كل شيء، ولا
يخفى عليه من ذلك شيء، وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب
من نار ونور وظلمة وما هو أعلم به فان احتجج مبتدع أو مخالف بقول الله عز
وجل (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد)، وقوله تعالى (ما يكون من نجوى
ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر
إلا هو معهم أينما كانوا) ونحو هذا من متشابه القرآن فقل أنما يعني بذلك العلم
أن الله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا يعلم ذلك كله وهو بائن

من خاقه لا يخلو من غمه مكان * والله عز وجل عرش وللعرش حملة يحملونه
والله عز وجل مستو على عرشه وليس له حد * والله عز وجل سميع لا يشك ، بصير
لا يرتاب ، عليم لا يجهل ، جواد لا يبخل ، حلیم لا يعجل ، حفيظ لا ينسى ، ولا يسهو ،
قريب لا يغفل ويتكلم وينظر ويبسط ، ويضحك ويفرح ، ويحب ويكره ، ويغضض ،
ويرضى ويغضب ويسخط ويرحم ، ويعفو ويغفر ، ويعطي ويمنع ، وينزل كل ليلة الى
السماء الدنيا كيف شاء ليس كغله شيء وهو السميع البصير ، وقلوب العباد بين
أصبعين من أصابع الرحمن يقامها كيف يشاء ويوعيتها ما أراد ، وخلق آدم بيده
على صورته ، والسموات والارض يوم القيامة في كفه ، ويضع قدمه في النار
فتزوى ويخرج قوما من النار بيده ، وينظر الى وجهه أهل الجنة يروونه فيكرههم
ويتجلى لهم وتعرض عليه العباد يوم القيامة ويتولى حسابهم بنفسه ولا يلى ذلك
غيره عز وجل ، والقرآن كلام الله الذي تكلم به ليس بمخلوق فمن زعم أن القرآن
مخلوق فهو جهمي كافر ، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس
بمخلوق فهو أخبث من القول الأول ، ومن زعم أن ألفاظنا وتلاوتنا مخلوقة
والقرآن كلام الله فهو جهمي ، وكلم الله موسى تكليماً منه اليه ، وناوله التوراة
من يده الى يده ، ولم يزل الله عز وجل متكلماً ، والرؤيا من الله وهي حق اذا
رأى صاحبها في منامه ما ليس ضغناً فقصها على عالم وصدق فيها فأولها العالم
على أصل تأويلها الصحيح ولم يحرف فالرؤيا تأويلها حينئذ حق وقد كانت الرؤيا
من الانبياء وحيا فاي جاهل أجهل ممن يطعن في الرؤيا ويزعم أنها ليست
بشيء ؟ وبلغني أن من قال هذا القول لا يرى الاغتسال من الاحتلام ، وقدرى
عن النبي صلى الله عليه وسلم . « إن رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده » وقال
: « ان الرؤيا من الله » وذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم
والكف عن ذكر مساوئهم التي شجرت بينهم فمن سب أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم او واحداً منهم أو نقصه أو طعن عليه أو عرض بعيبهم أو
عاب أحداً منهم فهو مبتدع رافض خبيث مخالف لا يقبل الله منه صرفاً ولا
عدلاً ، بل حبهم سنة والدعاء لهم قرينة والافتداء بهم وسيلة للاختذاب آثارهم فضيلة
وخير الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر بعد أبي بكر وعثمان
بعد عمر وعلى بعد عثمان ووقف قوم على عثمان ، وهم خلفاء راشدون مهديون
ثم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هؤلاء الاربعة خير الناس ، لا يجوز
لأحد ان يذكر شيئاً من مساوئهم ولا أن يطعن على واحد منهم بعيب ولا نقص

فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ، ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتبيه فان تاب قبل منه وان لم يتب أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت أو يرجع ، ونعرف للعرب حقها وفضاها وسابقتها ونحبهم الحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فان حبهم ايمان وبغضهم نفاق ولا نقول بقول الشعوبية وأراذل الموالي الذين لا يحبون العرب ولا يقررون لهم بفضل فان قوهم بدعة، ومن حرم المكاسب والتجارات وطلب المال من وجهه فقد جهل وأخطأ وخالف بل المكاسب من وجوها خلال قد أحلها الله عز وجل ورسوله فالرجل ينبغي له أن يسعى على نفسه وعياله من فضل ربه فان ترك ذلك على أنه لا يرى الكسب فهو مخالف ، والدين انما هو كتاب الله عز وجل وآثار وسنن وروايات صحاح عن الثقات بالاخبار الصحيحة القوية المعروفة يصدق بعضها بعضها حتى ينتهي ذلك الى رسول الله ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم والتابعين وتابعي التابعين ومن بعدهم من الائمة المعروفين المقتدى بهم المتمسكين بالسنة والمعلقين بالآثار، ولا يعرفون بدعة ولا يطعن فيهم بالكذب ولا يرمون بخلاف الى أن قال فهذه الاقاويل التي وصفت مذاهب أهل السنة والجماعة والائر وأصحاب الروايات وحملة العلم الذين أدركناهم وأخذنا عنهم الحديث وتعلمنا منهم السنن وكانوا أئمة معروفين ثقات أهل صدق وأمانة يقتدى بهم ويؤخذ عنهم ولم يكونوا أهل بدعة ولا خلاف ولا تخليط وهو قول أئمتهم وعلمائهم الذين كانوا قبائهم فتمسكوا بذلك وتعلموه وعلموه * قلت حرب هذا صاحب أحمد وإسحاق وله عنها مسائل جليلة وأخذ عن سعيد بن منصور وعبد الله بن الزبير الحميدى وهذه الطبقة وقد حكى هذه المذاهب عنهم واتفاقهم عليها * ومن تأمل المنقول عن هؤلاء وأضعاف أضعافهم من أئمة السنة والحديث وجده مطابقا لما نقله حرب ولو تتبعناه لكان بمقدار هذا الكتاب مرارا وقد جمعت منه في مسألة علو الرب تعالى على خلقه واستوائه على عرشه وحدها سفرا متوسطا فهذا مذهب المستحقين لهذه البشرية قولا وعملا واعتقادا وبالله التوفيق

(فصل)

(ونختم الكتاب بما ابتدأنا به أولا وهو خاتمة دعوى أهل الجنة)
قال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار

في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحميتهم فيها سلام وآخر دعواهم
 أن الحمد لله رب العالمين (قال حجاج عن ابن جريج أخبرني أن قوله دعواهم
 فيها سبحانك اللهم قال إذا مر بهم الطير ليشتبهونه قالوا سبحانك اللهم وذلك
 دعواهم فيأتيتهم الملك بما اشتهوا فيسلم عليهم فيردون عليه فذلك قوله تعالى
 وتحميتهم فيها سلام، قال فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم فذلك قوله تعالى وآخر
 دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (قال سعيد) عن قتادة قوله تعالى دعواهم
 فيها سبحانك اللهم يقول ذلك دعاؤهم فيها وتحميتهم فيها سلام (وقال) الأشجعي
 سمعت سفیان الثوري يقول إذا أرادوا الشيء قالوا سبحانك اللهم فيأتيتهم
 مادعوا به ومعنى هذه الكلمة تنزيه الرب تعالى وتعظيمه وإجلاله عما لا يليق
 به (وذكر) سفیان عن عبد الله بن موهب سمعت موسى بن طلحة قال: «سئل رسول
 الله صلى الله عليه وسلم عن سبحان الله فقال تنزيه الله عن السوء» وسأل ابن
 الكواء علياً عنها فقال كلمة رضيها الله تعالى لنفسه وقال حفص بن سليمان بن طلحة
 ابن يحيى بن طلحة عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله قال: «سألت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله فقال هو تنزيه الله عن كل سوء» فأخبر الله
 تعالى عن أول دعواهم إذا استدعوا شيئاً قالوا سبحان الله وعن آخر دعواهم
 عند ما يحصل لهم وهو قَوْلُهُم الحمد لله رب العالمين ومعنى الآية اعم من هذا
 والدعوى مثل الدعاء والدعاء يراد به الثناء ويراد به المسئلة وفي الحديث أفضل
 الدعاء الحمد لله رب العالمين فهذا دعاء ثناء وذكر يلهيهم الله أهل الجنة فأخبر سبحان
 عن أوله وآخره فأوله تسبيح وآخره حمد يلهيهم بها كما يلهيهم النفس * وفي
 هذا إشارة إلى أن التكليف في الجنة يسقط عنهم ولا تبقى عبادتهم إلا هذه
 الدعوى التي يلهيهم بها، وفي لفظة اللهم إشارة إلى صريح الدعاء فأنها متضمنة لمعنى
 يا الله فهي متضمنة للسؤال والثناء وهذا هو الذي فهمه من قال إذا أرادوا الشيء
 قالوا سبحانك اللهم فذكروا بعض المعنى ولم يستوفوه مع أنهم قصرُوا به، فإنهم
 أوهموا أنهم إنما يقولون ذلك عند ما يريدون الشيء، وليس في الآية ما يدل على
 ذلك، بل يدل على أن أول دعائهم التسبيح وآخره الحمد وقد دل الحديث الصحيح
 على أنهم يلهيهم ذلك كما يلهيهم النفس فلا تختص الدعوى المذكورة بوقت
 إرادة الشيء وهذا كما أنه لا يليق بمعنى الآية فهو لا يليق بحالهم والله تعالى أعلم
 بالصواب

فهرس

الموضوع

الصفحة

- ٤ فصل ولما علم الموقنون ما خلقوا له إلى آخره
- ٥ شعر في وصف الجنة
- ٧ فصل وهذا كتاب اجتهدت في جمعه وترتيبه الخ
- ١١ الباب الاول في بيان وجود الجنة الآن
- ١٩ « الثاني في اختلاف الناس في الجنة التي اسكنها آدم هل هي جنة الخلد ام جنة أخرى
- ٢١ الباب الثالث في سياق حجج من اختار أنها جنة الخلد
- ٢٥ « الرابع في سياق حجج الطائفة التي قالت ليست جنة الخلد
- ٢٩ « الخامس في جواب ارباب هذا القول لاصحاب القول الاول
- ٣٢ « السادس في جواب من زعم انها جنة الخلد عما احتج به منازعهم
- ٣٣ « السابع في ذكر شبه من زعم أن الجنة لم تخلق بعد
- ٣٥ « الثامن في الجواب عما احتجت به هذه الطائفة
- ٣٧ « التاسع في ذكر عدد ابواب الجنة
- ٤٢ « العاشر في ذكر سعة ابوابها
- ٤٤ « الحادي عشر في صفة ابوابها وانها ذات حلق
- ٤٤ فصل ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض الخ
- ٤٥ الباب الثاني عشر في ذكر مسافة ما بين الباب والباب
- ٤٦ « الثالث عشر في مكان الجنة وأين هي؟
- ٤٨ « الرابع عشر في مفتاح الجنة
- ٤٩ الباب الخامس عشر في توقيع الجنة ومثورها الذي يوقع به لاصحابها عند الموت وعند دخولها
- ٥١ فصل وما المنشور الثاني
- ٥١ الباب السادس عشر توحيد في طريق الجنة وأنه ليس لها إلا طريق واحد
- ٥٣ « السابع عشر في درجات الجنة
- ٥٦ « الثامن عشر في ذكر اعلا درجاتها واسم تلك الدرجة
- ٥٨ « التاسع عشر في عرض الرب تعالى سلطته الجنة على عباده ومنها الذي طلبه منهم الخ
- ٦١ فصل وهنا امر يجب التنبيه عليه وهو أن الجنة انما تدخل برحمة الله تعالى الخ
- ٦١ الباب العشرون في طلب أهل الجنة لها من ربهم وطلبها لهم الخ
- ٦٥ « الحادي والعشرون في اسماء الجنة ومعانيها واشتقاقاتها الخ
- ٧١ « الثاني والعشرون في عدد الجنات وأنواعها
- ٧٣ « الثالث والعشرون في خلق الرب تبارك وتعالى بعض الجنان وغرسها
- بيده تفضيلا لها على سائر الجنان
- ٧٥ « الرابع والعشرون في ذكر بوابي الجنة وخزنتها واسم مقدمهم ورئيسهم
- ٧٦ « الخامس والعشرون في ذكر أول من يقرع باب الجنة
- ٧٧ « السادس والعشرون في ذكر أول الامم دخول الجنة
- ٧٨ « السادم والعشرون في ذكر السابقين من هذه الامة إلى الجنة وصفتهم
- ٨٠ « الثامن والعشرون في سبق الفقراء الاغنياء إلى الجنة
- ٨١ « التاسع والعشرون في ذكر اصناف أهل الجنة الذين ضمنت لهم دون غيرهم
- ٨٤ « الثلاثون في ان اكثر أهل الجنة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم
- ٨٥ « الحادي والثلاثون في أن النساء في الجنة اكثر من الرجال وكذلك هم في النار
- ٨٨ « الثاني والثلاثون في من يدخل الجنة من هذه الامة بغير حساب وذكر اوصافهم

- ٩٠ « الثالث والثلاثون في ذكر حثيات الرب تبارك وتعالى الذين يدخلهم الجنة
 ٩٢ « الرابع والثلاثون في ذكر تربة الجنة وطينتها وحصبائها وبنائها
 ٩٥ « الخامس والثلاثون في ذكر نورها وبياضها
 ٩٦ « السادس والثلاثون في ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها
 ٩٩ « الباب السابع والثلاثون في ذكر معرفتهم لمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة
 ١٠ « الثامن والثلاثون في كيفية دخولهم الجنة وما يستقبلون عند دخولها
 ١٠٣ « التاسع والثلاثون في ذكر صفة أهل الجنة في خلقهم وخلقتهم وطولهم وعرضهم ومقدار استانهم
 ١٠٤ « الباب الأربعون في ذكر أعلا أهل الجنة منزلة وأدناها
 ١٠٦ « الحادى والأربعون في تحفة أهل الجنة إذا دخلوها
 ١٠٨ « الثانى والأربعون في ذكر ريح الجنة ومن مسيرة كم يشق
 ١١٠ « الثالث والأربعون في ذكر الأذان الذى يؤذن به مؤذن الجنة فيها
 ١١١ « الرابع والأربعون في اشجار الجنة وبساتينها وظلالها
 ١١٢ « فصل وأما الطلع فأكثر المفشرين قالوا إنه شجرة الموز
 ١١٦ « الباب الخامس والأربعون في ثمارها وتعداد أنواعها وصفاتها وربانها
 ١٢٠ « السادس والأربعون في زرع الجنة
 ١٢١ « السابع والأربعون في ذكر انهار الجنة وعيونها واصنافها وبحرها الذى تجرى عليه
 ١٢٣ « فصل وأنهار الجنة تنفجر من اعلاها ثم تنحدر نازلة إلى اقصى درجاتها
 ١٢٦ « فصل وأما العيون
 ١٢٧ « الباب الثامن والأربعون في ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفهم
 ١٣٢ « التاسع والأربعون في ذكر آيتهم التى يأكلون فيها ويشربون وأجناسها وصفاتها
 ١٣٥ « الخمسون في ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم الخ
 ١٤٠ « فصل ومن ملابسهم التيجان على رؤوسهم
 ١٤١ « فصل وأما الفرش
 ١٤٢ « فصل وأما البسط والزرابي
 ١٤٣ « فصل وأما الرفرف
 ١٤٣ « فصل وأما العبقري
 ١٤٤ « الباب الحادى والخمسون في ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم الخ
 ١٤٦ « فصل وأما الارائك
 ١٤٧ « الباب الثانى والخمسون في ذكر خدمهم وغلماهم
 ١٤٩ « الباب الثالث والخمسون في ذكر نساء أهل الجنة وأصنافهن وحسنهن وأوصافهن وجمالهن الخ
 ١٥١ « فصل وقوله تعالى وزوجناهم بحور عين
 ١٥٣ « وقال تعالى في وصفهن حور مقصورات فى الخيام
 ١٥٤ « « « (فبين خيرات حسان)
 ١٥٤ « « « لأن أسماهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لاصحاب اليمين .
 ١٥٧ « فصل روى البخارى في صحيحه (لعدوة فى سبيل الله أو روعة خير من الدنيا الخ)
 ١٦٠ « فصل والأحاديث الصحيحة انما فيها أن لكل منهم زوجتين الخ
 ١٦١ « الباب الرابع والخمسون في ذكر المادة التى خلق منها الحور العين وما ذكر فيها من الآثار الخ
 ١٦٤ « الباب الخامس والخمسون في ذكر نكاح أهل الجنة الخ
 ١٦٦ « الباب السادس والخمسون في ذكر اختلاف الناس هل فى الجنة حمل وولادة أم لا
 ١٧٣ « « السابع والخمسون في ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين وما فيه من الطرب واللذة

- ١٧٥ فصل ولهم سماع أعلا من هذا
- ١٧٧ » » » » » يضمحل دونه كل سماع
- الباب الثامن والخمسون في ذكر مطايا أهل الجنة وخيرولهم ومراكبهم
- ١٧٩ الباب التاسع والخمسون في زيارة أهل الجنة بعضهم بعضا وتذاكرهم ماكان بينهم في الدنيا
- ١٨٢ فصل ولهم زيارة أخرى أعلا من هذه وأجل
- ١٨٢ الباب الستون في ذكر سوق الجنة وما أعد الله تعالى فيه لأهلها
- ١٨٤ الباب الحادي والستون في ذكر زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى
- ١٨٧ الباب الثاني والستون في ذكر السحاب والمطر الذي يصيبهم في الجنة
- ١٨٨ فصل وقد جعل الله سبحانه وتعالى السحاب ومايمطره سببا للرحمة والحياة في هذه الدار النخ
- ١٨٨ الباب الثالث والستون في ذكر ملك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها
- ١٩١ الباب الرابع والستون في أن الجنة فوق مايحظر بالبال أو يدور في الخيال
- ١٩٦ الباب الخامس والستون في رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جبهة وبيان الأدلة
- ١٠٠ وأما الأحاديث الدالة على الرؤية فتواترة وبيانها.
- ٢٢١ فصل وهاك بعض ماقاله بعض أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون، أئمة الاسلام بعدم في الرؤية
- ٢٣٤ فصل وأما التابعون أي وقولهم في الرؤية النخ
- ٢٣٥ » في المنقول عن الأئمة الاربعة النخ
- ٢٤٠ » في وعيد منكرى الرؤية
- ٢٤١ الباب السادس والستون في تكليمه سبحانه وتعالى لأهل الجنة وخطابه لهم ومحاضراته اياهم وسلامه عليهم
- ٢٤٢ الباب السابع والستون في أبدية الجنة وانها لا تنفنى ولا تبيد وفيه فصول
- ٢٤٤ فصل وهذا موضع اختلف فيه المتأخرون على ثلاثة أقوال النخ
- ٢٤٨ فصل وأما أبدية النار ودوامها
- ٢٥٤ فصل والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق وبيانها
- ٢٥٧ فصل ونحن نذكر الفرق بين دوام الجنة والنار شرعا وعقلا النخ
- ٢٧٤ الباب الثامن والستون في ذكر آخر أهل الجنة دخولا اليها
- ٢٧٧ الباب التاسع والستون وهو باب جامع فيه فصول مشورة
- » فصل في لسان أهل الجنة
- » فصل في احتجاج الجنة والنار
- ٢٧ فصل في أن الجنة يبقى فيها فضل
- » فصل في امتناع النوم على أهل الجنة
- ٢٨٩ فصل في ارتقاء العبد وهو في الجنة من درجة إلى درجة
- » فصل في إلحاق ذرية المؤمن به في الدرجة وإن لم يعملوا عمله
- ٢٨١ فصل في أن الجنة تتكلم
- ٢٨٢ فصل في أن الجنة تزاد حسنا على الدوام
- » فصل في أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبن أزواجهن
- » فصل في ذبح الموت بين الجنة والنار
- ٢٨٥ فصل في ارتفاع العبادات في الجنة النخ
- » فصل في تذاكر أهل الجنة ماكان بينهم في دار الدنيا
- الباب السبعون في ذكر من يستحق هذه البشارة دون غيره
- ٢٩٢ فصل ونختم الكتاب بما ابتدأنا به أولا النخ



3 1761 07295077 7